الفنون الشعبية

العدد الثامن • تشرين الثاني ١٩٧٥



الفنون الشعبية

مجلة متخصصة تصدر كل ٣ أشهر عن
دائرة الثقافة والفنون
عمـان ـ الاردن
ص٠ب ٦١٤٠

العدد الثامن ● تشرين الثاني ١٩٧٥

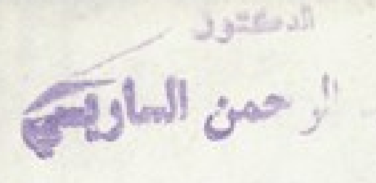
الموزعون
وكالة التوزيع الاردنية ـ عمان
هاتف ٣٠١٩١ ـ ص٠ب ٣٧٥

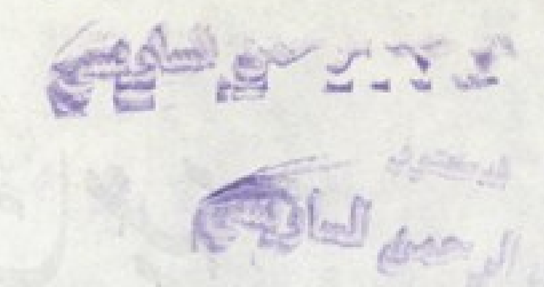
الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
عمان ـ هاتف ٣٧٧٧١

ثمن النسخة في الاردن ٩٠ فلسا
الاشتراك السنوي (اربعة اعداد) ٥٠٠ فلس

لوحة الغلاف الأول
رحاب المجالي
في زي شعبي كركي

صورة الغلاف الأخير
مشاهد من الحياة الشعبية
في الكرك







في هذا العدد

- **الافتتاحية** — سكرتير التحرير — ٢

- **الأبحـــاث**

ـ تربية الخيول الأصيلة في الكرك	نجيب القسوس	٤
ـ الشاعر الشعبي الكركي ابراهيم الصعوب	عيسى جراجرة الضمور	١١
ـ الطب الشعبي في الكرك	نصر المجالي	٣٣
ـ مركز المرأة في الوسط الشعبي الكركي	نمر سرحان	٤١
ـ ملامح الزي الشعبي الكركي	محمد طاهات	٤٨
ـ المزارات في محافظة الكرك	محمد الدويري	٥٦
ـ الغزل والنسيج في الكرك	جهاد خصاونة	٦٣

- **عالم الفنون الشعبية**

القرينية : عيسى جراجرة الضمور (٧٢) ـ التاريخ الشعبي : نصر المجالي (٧٦) ، اغاني الفلاحين في الكرك : نجيب القسوس (٨٠) ـ الايدي التي باركها الله : فاروق جرار (٨٤) ـ الأواني والأدوات المنزلية في قرية السافريـــة : حسن عوض (٨٨) ـ البحث الفولكلوري السوفييتي والمعاصرة : ترجمة د. حسين جمعة (١٠٢) ـ الطب في البادية : من قلم روكس العزيزي (١٠٩) ـ التجربة الرومانية في احياء التراث الشعبي : ترجمة سليم ايوب (١١٦) ـ المركز الفولكلوري العراقي : عمر الساريسي (١١٩) ـ بيركهارت يصف الحياة الشعبية في الكرك : شعيب الدربي (١٢١) ـ رسائل الى المحرر (١٢٦) ـ الدراسات الفولكلوريـــة في الكويت : محمد عوني الخصاونة (١٣٢) ـ رسالة بغداد : عبد الجبار محمود السامرائي (١٣٦) ـ الملخص الانجليزي : فاروق جرار .

الإفتتاحية



هذه هي التجربة الثانية في الدراسات الفولكلورية الميدانية التي تظهر نتائجها مباشرة في مجلة الفنون الشعبية ... وكان ميدان هذه التجربة في محافظة الكرك واعتمدت على دراسات أجرتها بعثة من قسم الفنون الشعبية في دائرة الثقافة والفنون بالاضافة الى دراسات ميدانية أخرى أعدها دارسون من أبناء محافظة الكرك نفسها .

ونقول انها مجرد تجربة ... ونعتقد أن أساليب المسح الفولكلوري



وتكنيك العملية الميدانية ، هي موضع اختبار وتطوير مستمر ، ذلك اننا نامل في تحسين العملية وتطوير مردودها بشكل أفضل ، وفي تجارب اخرى عند اجراء دراسات ميدانية شاملة لمنطقة فولكلورية آخرى في البلد .

لقد قصدنا من وراء هذه التجربة اصدار وثيقة علمية عن الحياة الشعبة في منطقة فولكلورية معينة لتكون مرجعا للدراسات الفولكلورية في المستقبل ، ولتكون عونا أيضا لكل من يحاول استلهام الحياة الشعبية في أي عمل تشكيلي مستقبلي والأمل معقود على أن تستمر مثل هذه التجارب بحيث تصدر في المستقبل أعداد خاصة من المجلة تتناول بالدراسة مناطق فولكلورية اردنية أخرى بما يوضح ملامح الحياة الشعبية في بلدنا ويزيح الستار عن قدرات فنية كامنه ظلت طويلا تتحرك في دائرة الظل وبعيدا عن عدسة الدراسة المجهرية .

سكرتير التحرير

تربية الخيول الأصيلة في الكرك

بقلم : نجيب القسوس

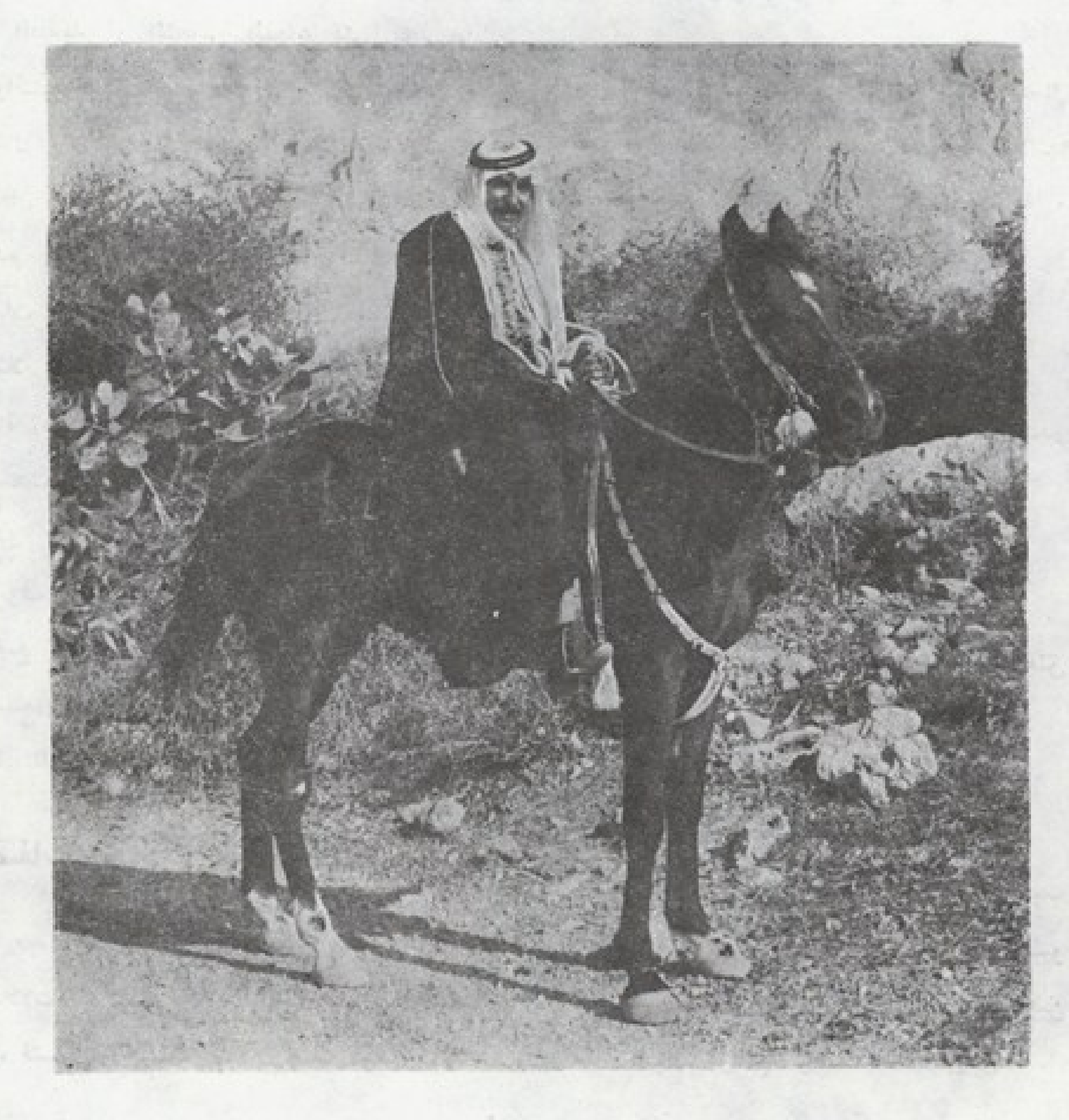
توجد في محافظة الكرك سلائل من أجود الخيول العربية الأصيلة يعتني السكان بتربيتها اعتناء كبيرا لا بل وسمعت أحدهم يصرح بأنه يحافظ على جواده ويعتني به كمحافظته على أولاده . وأنا لا ألومه في هذا . فالخيل قبل شيوع استعمال السيارات والمركبات الأخرى كانت تعتبر من أحسن وسائط السفر وأسرعها فبواسطتها ينتقل الفرد من قرية الى أخرى ويستخدمها كذلك في الاشراف على شؤون فلاحته وتصريف أموره مما يتطلب السرعة في التنقل والانجاز . وبالاضافة الى ما تقدم فقد كانت تقام حلبات السباق على ظهور الجياد ولا سيما في الأعياد والأعراس والمناسبات الأخرى يتبارى فيها الفرسان وكل واحد منهم يحاول اظهار براعة جواده في السباق والعدو وهو يثب هنا وهناك في حركات رائعة وقفزات مثيرة حيث يشتد التنافس ويرتفع الصياح وتصفيق الجماهير المحتشدة واستحسانهم وثناؤهم على الفارس المجلي .

سلائل الخيل :

لسلائل الخيل في محافظة الكرك وانسابها أسماء والقاب معروفة يتداولونها ويعرفونها معرفة جيدة . ومن الضروري جدا ان يكون صاحب الجواد ملما بنسب جواده الماما تاما كالمامه بنسبه هو لان ذلك يفيده عند المقايضة عليه أو فيما لو حاول بيعه . لان معظم الناس لا يشترون جوادا مغمور النسب والسلالة . ومن أسماء هذه السلائل : القلاوية ، الحمدانية : وهي في زعمهم من انسال خيول الحمدانيين . المخلدية : ويدعون انها من سلالة فرس سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه . العبية ، عبية ام اجريس ، عبيه شراكيه ، الجلفه ، سقلاويه قدرانيه ، معنقيه ، كحيله ، كبيشه . واسماء كثيرة لم يصل الي علمها غير التي ذكرت .

سرج الفرس وتوابعه :

يتباهى الفرسان بخيولهم ويدللونها كما يدللون زوجاتهم ، فكما يجب أن يرى الواحد منهم هذه الزوجة لابسة ومهندمة فهو يطبق نفس النظرية على فرسه أيضا ، لذلك نجد الفرسان يتباهون بزينة الفرس وعدتها ، فقد صنعوا لها السروج الجلدية الفاخرة مع غطاء مخملي مزركش محلى بالخيوط الفضية او خيوط القصب او مطرز بخيوط ذات الوان زاهية · وهذا الغطاء يتصل بالسرج من الخلف بحيث يغطي ظهر الجواد وتتدلى أهدابه الكثيرة على فخذيه قليلا · وهناك سير من الجلد او نسيج الصوف ويكون مرصعا بالخرز والودع ومربوطا بحلقتين على مقدم السرج ويحيط بعنق الجواد ويدخل فرع منه بين قائمتيه الاماميتين ليعقد في حزام السرج عند زوره مباشرة ويسمى (الشابند) · واعتاد بعض الفرسان أن يعلق في هذا الشابند أهدابا طويلة ملونة وبعض الاجراس الصغيرة تتناثر فوق عنقه وصدره · أما العذار الذي يوضع في راس الجواد وفيه المقود (الرسن) فينسج من الصوف الملون أو الابيض الناصع ومحلى بالخرز الازرق والودع وتتصل به من الاعلى



من بين أذنيه قلادة من نفس النسيج تولج في عنق الجواد وتنتهي بعقدة ذات أهداب ملونة تضفي على الجواد بهاء ورونقا . ومن الفرسان من يثبت مرآة صغيرة مستديرة فوق جبين فرسه بالاضافة الى ريشتين او ثلاث ريشات من ريش النعام يشبكها في العذار بينه وبين القلادة فتظل منتصبة بين اذنيه واثناء حفلات السباق يحركها الهواء فتوسوس في صوت رقيق الخاذ يختلط بصوت الاجراس وخفيف اهداب الشابند مما يزيد في اندفاع الفرس وحماس الفارس فيكتسبه الفوز في اشواط السباق . ويوضع في فم الجواد لجام من الحديد او النحاس اللماع لكي يحد من غلوائه ويمنع جماحه فيبقى ذليلا طيعا . وهناك ركابان من الحديد المطعم بالنحاس معلقان على جانبي السرج يضع الفارس مشط القدم في كل واحد منهما ويساعدانه في الثبات فوق السرج اثناء الركوب وعندما يهم باعتلاء الجواد . ويجب ان يعقد الفارس في حذائه من الخلف مهمازين من الحديد لكي يستحث بهما الجواد اثناء السير العادي أو العدو . وهناك خرج مصنوع من خيوط الصوف الملونة ذو فتحتين واهداب طويلة يوضع تحت الفارس على طرف السرج الخلفي ويستعمل لنقل امتعة الفارس وطعام الجواد اثناء السفر الطويل .

الصفات الواجب توفرها في الجواد :

يجب أن يكون الجواد أصيلا منتسبا لاحدى السلالات التي ذكرناها آنفا وكل فرس تخالف ذلك فتسمى (كديشه) فاذا وجدت فرس كاملة الاوصاف مستوفية لشروط الاصالة ولكنها مجهولة النسب والسلالة فانها يجب ان تلقح من حصان أصيل معروف الى أن تبلغ البطن الخامس فهذا الاخير يعتبر هو الاصيل بين هذه البطون الخمسة ويحق لاصحابه نسبته الى الجواد الذي لقحوا منه الفرس . والناس يفضلون الفرس الغراء المحجلة . ولقد قال الشاعر البدوي :

اللي تكم التسع ذاك تشريه
بضف شيخا عند لتوالي هجرها
مطبها بالقاع تروي الرتل بيه
وفزاتها تقول الزبيدي حفرها

وهذان البيتان يشيران الى تسع خصال يجب توفرها في الفرس بالاضافة الى سلالتها العريقة وهذه الصفات هي : ثلاث واسعة . وثلاث طويلة . وثلاث قصيرة .

١ ـ الثلاث الواسعة :

هي أن تكون واسعة العين واسعة الصدر وكذلك واسعة المنخر أي الانف .

٢ ـ الثلاث الطويلة :

وهي ان تكون طويلة الساق وطويلة العنق وكذلك طويلة الاذن .

٣ ـ الثلاث القصيرة :

ان تكون قصيرة الظهر وقصيرة العسيب أي شعر الذيل وكذلك قصيرة القين وهو الجزء الذي يلي الحافر من الاعلى بينه وبين الساق حيث يوضع فيه القيد الحديدي .

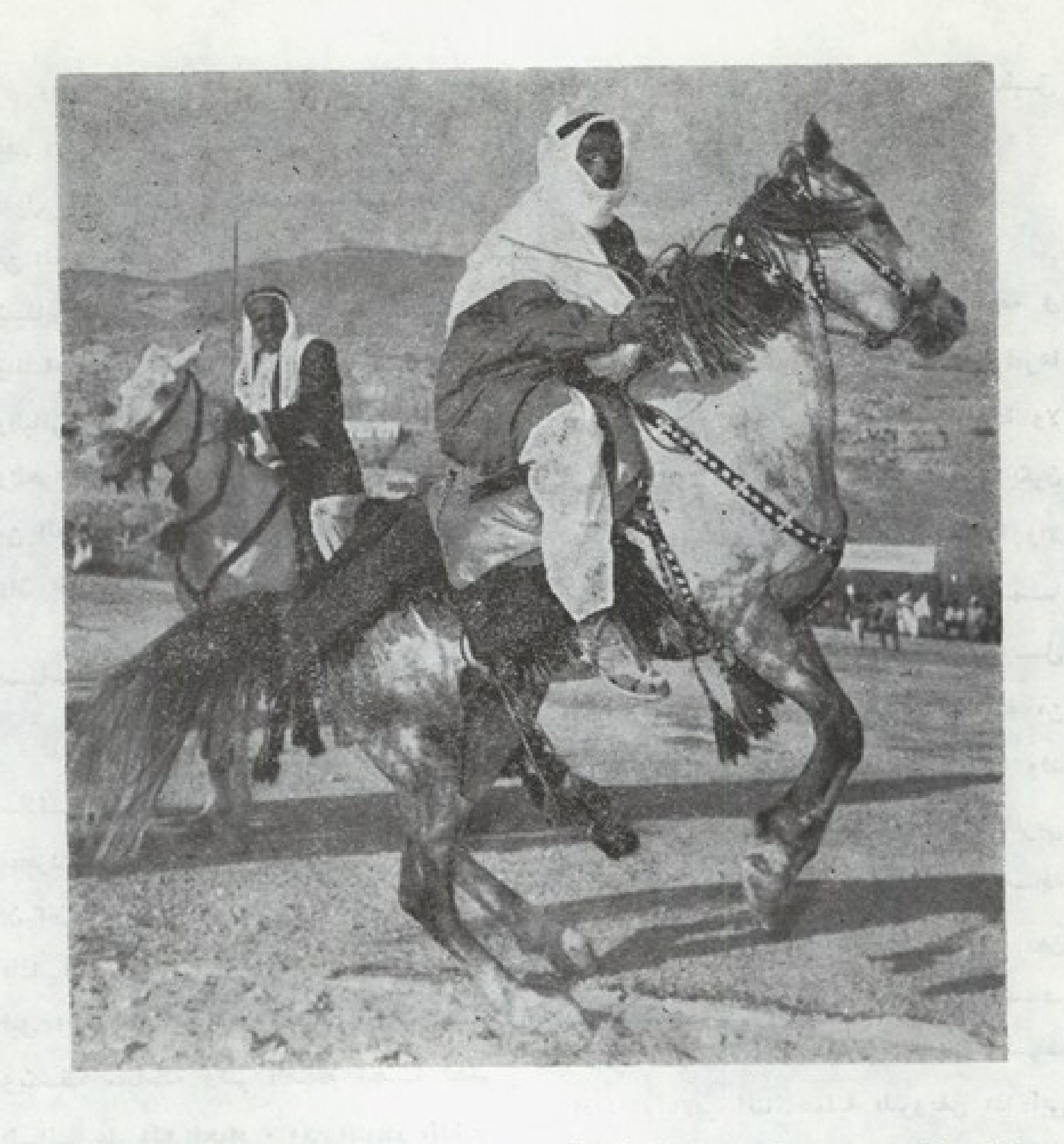
فاذا توفرت مثل هذه الصفات في احدى هذه الافراس فهو جواد كريم اصيل ٠ ولكنني اقول بكل اسف ان هذه السلائل الممتازة من الخيول العربية الاصيلة قد اخذت تنقرض شيئا فشيئا بالنسبة لوجود السيارات والشاحنات ووسائط النقل السريعة الاخرى ٠ والباقي منها تحول مع الايام الى ادوات للحمل والحراثة كما عمد بعض اصحابها الى تلقيحها من الحمير بغية الحصول على البغال القوية ٠ وان هذا الشيء المحزن فعلا يحز في النفس ٠

سياسة الخيل :

لقد ظهر خبراء وسواس ماهرون يعرفون سلائل الخيل جيدا ويقراون طالع الفرس بمجرد النظر الى وجهه او التحديق في صدره ان كان مقدمه شؤما او بركة وخيرا على صاحبه٠ فاذا اراد احدهم شراء فرس فهو يعرضه قبل ابرام الصفقة على السائس لينظر فيه ويكشف سياسته وتتم الصفقة تبعا لحكم السائس على هذا الجواد ٠ ومن النوادر اللطيفة ان احد الناس عرض على احد السائسين فرسا يود شراءه ٠ فلما امعن النظر فيه وحدق في صدره فوق لبانه مباشرة ، اخبره بانه يرى قبرا لفتاة صغيرة ٠ فهو يحذره من شرائه ولكن الرجل ركب راسه واشتراه ٠ وبعد مدة قصيرة مرضت ابنته الصغيرة وتوفيت ٠ فندم اشد الندم لعدم سماعه نصح السائس ولات ساعة مندم ٠ وقد اضطر لبيعه بثمن بخس ٠ ومن الحقائق الجديرة بالذكر ان الجواد يجب ان يقتل بالرصاص اذا مرض واشرف على الموت حفظا لكرامته لا ان يطرح جيفة نتنة تنهشها الضواري ، نفس المبدا الذي يطبق على العسكريين وقت اعدامهم ٠

ترويض الخيول :

يتطلب ترويض الخيول خبرة واسعة في هذا الفن وسعة صدر لانها تكون في اول امرها شرسة الطباع مشاكسة تثب لاقل حركة ولا تستجيب للترويض بسهولة ٠ ويجب ان يكون مروضها فارسا ماهرا ومتمرسا بركوبها والا فقد يلقيه الجواد من فوق ظهره مهشما داميا ٠ ويجري ترويض الواحدة من الخيل بامتطائها والسير بها في الطرق القريبة من خطوط السيارات حتى تالف اصواتها ٠ وقد رايت بعض المروضين يقبض على زمام الفرس ويعدو به جنبا الى جنب مع السيارة في مسافة طويلة قد تتعدى الخمسة كيلومترات ٠ ومن الجدير بالذكر ان الجواد يجب ان يخاف مروضه ويخشاه ولا باس من استعمال السوط اذا لزم الامر اثناء عملية الترويض اذا ابى ان يستجيب لذلك بسهولة ٠ وتجري هذه العملية ساعات طويلة اثناء النهار حتى ياوى الفرس الى حظيرته منهوك القوى ، عاجزا عن اتيان اية حركة من شدة التعب والركض ٠ وقد تتراوح مدة الترويض هذه من اسبوع الى شهر حسب قابلية الفرس ٠ وتغدو عملية الترويض هذه صعبة جدا مع الخيول التي لم تروض وهي جذعة على ابواب الركوب لان المروض يضطر لان يقسو عليها ويكثر من استعمال السوط ٠ وقد لا ينفع معها الترويض فتظل شرسة جامحة لان هناك انواعا عنيدة لا تقبل الترويض ابدا ٠



وكان والدي رحمه الله من هواة تربية الخيل • وقد اقتنى منها أنواعا كريمة ممتازة كان آخرها فرسا شرسا جدا وجموحا القاه من فوق ظهره مرتين وكسر ضلعين من أضلاعـه لزم الفراش عـلى اثر ذلك شهرا كاملا • وبالرغم مما سببه له هذا الجواد من الاذى فقد كان عزيزا عليه أثيرا عنده لا بـل ويعتبره كواحد من أولاده • وذلك بما كان يغدقـه عليه من التدليل والمداراة • ولقد رأيته عند موته يذرف الدموع السخية عليه كـاحسن عزيز فارقه • وحين حضوري مرة بالاجازة أثناء خدمتي بالجيش امتطيت هـذا الجواد وبدأت بترويضه وتعليمه ولكن بشيء مـن الشدة والقسوة لانه عنيد غليظ الرقبة أفسده الدلال وأبطره الكسل وعدم الترويض تثيره أيـة حركة حتى ولو كانت خفقة جناح لعصفور مرق من جانب راسه أو ورقة طائرة حركتها الرياح امام عينيه على مبعدة • فـكان يثب ويقفز بشكل جنوني ويقف على قائمتيه الخلفيتين • وعندما كنت أعود به في المساء والعرق يسح مـن جسمه والزبد يطفو على شدقيه فانني أتعرض للوم والدي وتأنيبه ولا سيما عنـد رؤيته اياه وقد أنهكه التعب وأضناه النصب لا يستطيع الركض أو القفز وكأنه الحمـل

الوديع . فكان مقابل ذلك ولكي يشعرني بفداحة ما اقترفت بحق فرسه انه كان يخلط عشاءه بشيء من الحلوى ويمزج شرابه بقليل من السكر حتى يرغبه فيهما عندما يراه عازفا عن تناولهما فكان رحمه الله يسكت على مضض . ولكني بعد انتهاء مدة الترويض تلقيت شكره وثناءه اذ اخبرني أن الجواد قد أصبح فرسا مثاليا هادئا اذ أقلع عن جميع طباعه الشرسة واعتذر الي كثيرا عما بدر منه في حقي .

والفرس العربي الاصيل ذكي نابه سريع الفهم مخلص لفارسه يتلقى التعليم والتدريب ولا ينساهما وقد يستجيب احيانا لبعض التعليمات التي تلقى اليه باللغة العربية وحتى بلغة غير العربية حسب البلد الذي يوجد فيه . ومن الامثلة الكثيرة الدالة على وفاء الخيل واخلاصها ما أخبرني به أحد اصدقائي وهو أنه كان مسافرا في احدى الليالي الحالكة السواد وقد امتطى جواده وكان الوقت قريبا من منتصف الليل . وقد هبت في الجو نسمات عليلة اثقلت أجفانه فداعبها النعاس وخشي السقوط من فوق ظهر الجواد الى الحضيض فتتهشم اضلاعه . وكان قد وصل الى خربة مهجورة فيها مغاور وكهوف كثيرة تقع بين الكرك وقرية حمود ولعلها خربة (القمرين) فترجل عن ظهر الجواد وربط زمامه الى ذراعه ثم توسد حجرا ونام لعله بذلك يكسر حدة النعاس ويتمكن من مواصلة السفر بعد ان وضع بندقيته في حضنه وهو ملتف داخل الفروة . ولكنه لم يغف الا قليلا حتى خرج من احدى المغاور ضبع كاسر عضه الجوع فاخذ يحوم حول النائم لعله يصيب منه ما يسد رمقه . ولكن الجواد لم يمكنه من الاقتراب من فارسه . وظلا على هذه الحال مدة من الزمن حتى كل الجواد اخيرا من مراوغة الوحش . فما كان منه الا ان اقترب من النائم وبطرف شفتيه قبض على فروته من جهة الكتف وجذبه جذبة كانت كافية لايقاظه فهب مذعورا واشتم من حركات الجواد وشخيره ان في الجو شيئا غير طبيعي فتعوذ من الشيطان وبسمل وحوقل ثم سوى ثيابه واصلح هندامه وبعدها حمل بندقيته واعتلى ظهر جواده وواصل السفر ولكن الجواد لم يهدأ بل ما فتيء يصهل ويضرب الارض بحوافره ولكنه لم يسر به الا قليلا حتى لمح الى الجهة الشرقية دابة تسير على مسافة قصيرة منه وكانها العجل الحولي . عندئذ تجلت له الحقيقة وايقن ان فرسه قد فعل ذلك خوفا عليه من الوحش الكاسر . فتناول البندقية وبرصاصة واحدة اطلقها عليه فارداه قتيلا .

وتعتبر اساءة للجواد وامتهانا لكرامته ان يوضع أكله في مذود او صندوق اسوة بباقي الدواب بل يجب أن يوضع له الشعير في وعاء من الجلد او النسيج الصوفي يسمى (عليقة) لانها تعلق براس الحصان عند الاكل . ويظل عليق الحصان موجودا في الخرج اثناء الاسفار الطويلة لاستعماله لهذه الغاية .

الطرق المتبعة في بيع الخيول :

لا يجوز بيع الخيول الاصيلة بيعا عاديا كباقي أنواع الحيوانات والدواب الاخرى بل يجب أن يتم ذلك امام شهود كثيرين حيث يقودون الجواد امام البيت ان كان من بيوت

الشعر فيقف صاحب الجواد أمام الشهـود ويطلب من الشاري أن يقبض على ناصية الفرس وهي خصلة الشعر التي تتدلى فوق جبينه ويعترف مالكها السابق مقرا امام الحضور أنه قد باع فرسه لهذا الشاري حسب الشروط المتفق عليها . وهناك ثلاث طرق رئيسيـة متبعة في هذه البيوع وهي :

١ ـ بيع المثاني :

يعطي البائع فرسه للشاري لقاء ثمـن معلوم يتفق عليه . وكانت الخيل قديما غالية جدا وثمنها باهظا . ويشترط البائـع على الشاري ان تكون الانثى الاولى والثانية مما تلده الفرس بعد اتمام الصفقة من نصيبه لان ذلك يعتبر قاعدة مرعية يجري اتباعها حقا شرعيا لمالكها السابق ولا يسري هـذا الحق على الذكور المواليد . فعندما تلد الفرس مهرة يقوم صاحبها الاخير بابلاغ ذلك لبائعهـا السابق امام الحضور ويشهدهم بان هـذه المهرة له حتى اذا توفيت فهي « على حظه » كما يقولون اذ لا يحق للبائع مطالبة الاخير باخرى بدلا منها او ان يطالبه بالتعويض . ويبقى حقه مقتصرا على المهرة الثانية فقط . ويجب ان تبقى المهرة على ثدي امها مائة ليلة كما اصطلحوا على ذلك يسلمها بعد ذلك الى صاحبها وهو البائع السابق امام الشهود وكذلك يفعل بالمهرة الثانية جريا على نفس القاعدة . وبعد تسليم المثاني تصبح الفرس وما تلده في المستقبل ملكا حلالا للشاري .

٢ ـ بيع المقلفع :

وهذا البيع يعتبر قطعيا بدون « مثاني » ولا يلتزم الشاري برد مثانيها الى بائعهـا السابق . ويجب أن تتم الصفقة أمام شهود العيان كما اسلفنا واذا جرت هذه المقايضة أو الاتفاق في احدى المدن أو القرى فانه من المفيد ان يحرر صك خطي يتضمن هذا الاتفاق يحمل كل منهما نسخة منه وهو يحمي الشاري في المستقبل من مطالبة البائع بمثاني الفرس لان الراي العام يقف في صف البائـع ضد الشاري حسب القاعدة الجارية في مثل هذه البيوع . ولكن الصك يمنع اي خصام أو نزاع بينهما في المستقبل بهذا الخصوص .

٣ ـ بيع المناصفة :

وهـو اتفاق يبرم بين البائع والشاري تكون الفرس بموجبه مشتركة بينهما هي وجميع ما تلده من ذكور واناث بمعدل النصف لكل منهما . وهذا النوع من البيع يلجا اليـه مالكها السابق عندما يعجز عن اطعامها ولا سيما في سني القحط الذي يتعذر فيه توفير الاعلاف اللازمة . فيبيع نصفها لشريك امين بعد أن يتـم تخمين ثمنهـا بمعرفة خبراء مختصين يختارون برضى الطرفين . فيدفع الشاري نصف الثمن المقرر ويأوي الفرس عنده وقد لا يكون هناك ثمن سوى المأوى والطعام وتبقى الفرس ملكا للشريكـين يستخدمانها حسب الحاجة . فاذا ولدت هذه الفرس ذكرا أو انثى يبلغ عنه امام الشهود انه من نصيب الشريك فلان حسب الدور الجاري حتى اذا مات هذا المهر أو المهرة فهو على ذمة صاحبه وتبرم هذه الصفقة بموجب عقد خطي موقع منهما وممهور بتوقيع شهود الحال تلافيا لاي نزاع او خصام في المستقبل .

الشاعر الشعبي الكركي

ابراهيم عبده عماره الصعوب

بقلم : عيسى جراجره الضمور

توطئـــة :

قد يكون هذا البحث والدراسة التي سوف نخصصها للحديث عـن الشاعر الشعبي ، ابراهيم عبده عماره الصعوب ، هي الأولى من نوعها التي يحظى بها شاعر ، أو قاص ، أو راوية للشعر والحكايات والأمثال الشعبية ، في الضفة الشرقية من الاردن عامـة ، وفي منطقة محافظة الكرك خاصـة • ويجب عدم اغفال الاهمية التاريخية ، لما سجله الباحث الشعبي ، روكس بن زائد العزيزي ، في كتابه القيـم الجامع « قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية » ، من أبيات متناثرة وشواهد شعرية متباعدة ، لشعراء من مناطق مختلفة من الضفة الشرقيـة ، ومنهم الشاعر الكركي الهجـــاء الصمادي ، الـــذي يعود نسبه الى عشيرة المعايطـة ، التـــي تنتشر مساكنها وأراضيها حول قرى زاكين، وبذان ، وبيتر ، ووادي ابن حماد ، وكذلك في مدينة الكرك بالذات ، التي يسميها الناس « بالقصبة » ، أي حدود بلدية مدينة الكرك التي هي في ذات الوقت مركز محافظة الكرك •



ابراهيم الصعوب

ولا تزال مجـالات الدراسة للشعـراء الشعبيين ، في هذه المنطقة ـ تخوم بكر ، لـم يطرق أبوابها الرواد ، لا بل لم يفكر بعد فيها الرواد اذا اردنا التعبير بدقة أعمق عن واقـع الحـال • ذلك أن الشعر والشعراء الشعبيين بحاجة الى دراسات جادة وعلميـة متخصصة مستفيضة ، تستكشف آفاقه ومجالاته ورواده واعلامه •

وسوف احاول هنا رسم تسجيل الخطوط العريضة لحياة الشاعر والمؤثرات والعوامل التي اثرت فيه وعلى شعره ، وجعلت لسانه وقلبه يلهج بالشعر ...

... ومن اعسر الامور واشقها في الطريق الوعر ، الطريق الى تسجيل حياة ، وشعر الشاعر والمناسبة التي اوحت له بقول ما قال من شعر ، ان اكثرية الشعراء الشعبيين ، ومنهم ابراهيم عبده الصعوب يزهدون بتسجيل شعرهم ، او تحول وتمنع ظروف حياتهم عن تسجيله ، او انهم لا يرون اهمية تذكر لشعرهم تدعوهم لتسجيله ، او انهم لا يملكون القدرة على تسجيله لاميتهم ، وامية من حولهم كذلك ، او لعلها هذه الاسباب كلها مجتمعة ، هي التي حالت دون تسجيل الشعر وتدوينه ، وهناك سبب آخر يمكن اضافته الى الاسباب التي ادت الى عدم تدوين وتسجيل الشعر الشعبي هو ثقة الشاعر نفسه ، بقوة حافظته وقوة حافظة محبي الشعر في الاوساط الشعبية . وان انس فلن انسى ما جرى في زيارتي للشاعر الشعبي المبدع مفلح المبيضين ، الذي زرته وكان رفيقي في هذه الزيارة الشاعر الشعبي ابراهيم عبده الصعوب ، بغرض كتابة عجالة عن حياته وسماع وتسجيل بعض شعره وعندما بدأ يقول منشدا قصائد من شعره الذي يحفظه ونادرا ما يحتفظ بالقصائد مكتوبة ، وعندما كان ينسى بيتا او يقفز عن بيت من احدى القصائد كان يسارع رفيقي الشاعر الى تذكيره به وروايته له ، وبعدها يتابع الشاعر مفلح انشاده مستعيدا الابيات مضيفا البيت الذي قفز عنه او نسيه .

كما كان يقوم بذات المهمة ، من تذكير للشاعر ببيت او اكثر بعض الرجال ممن يقدرون جمالية الشعر الشعبي واصالته كمن هم بعض جماهيره والمعجبين به ، والذين سارعوا بالحضور الى بيت الشاعر مفلح المتواضع عندما سمعوا بان هناك من يقوم بسماع وتسجيل شعره وقصائده .

وسوف افصل وقائع زيارتي لهذا الشاعر في حديث وعجالة اخرى اجعلها وقفا عليه .

وسوف احاول ان استقصي حياة وشعر عدد من شعراء الارياف والبوادي الشعبيين ، متحدثا عن ابراهيم الصعوب اولا ، ثم مفلح المبيضين ، وحابس الضمور ، ومحمد محمود المبيضين

وقد كنت خلال عملية الاستقصاء والبحث ، والتنقيب والسعي ، وراء الشعر والشعراء اقول مطمئنا نفسي عند الاحساس بعظم المشقة او الجزع لطول الشوط ، بان الاستقصاء في ميدان الشعر الشعبي في البوادي والارياف لذة رفيعة سامية ، لما في هذا الشعر من اصالة وابداع ، قد يقف القريض والشعر العربي العمودي امام الكثير من مأثوراته وموروثاته دهشا معجبا . وان للبحث والتنقيب والسعي وراء هذا الشعر متعة لا يعرفها الا من ذاق حلاوتها بعد ابحاره في مياه هذا الشعر الذي تشده الى بعضه خيوط هفهافة من نسيج العواطف الصبة الحالمة ، او من استمتع برفقة شعرائه وهم يحبون من اول نظرة ويولهون ويهيمون ، ويظلون يعانقون سراب الامال في دروب ضبابية تنتشر فيها الرؤى والاحلام الوردية حتى اذا ما اشرقت

الشمس وضح الدرب وتبدد الضباب ، ووضحت الرؤيا وانتقلوا من الحلم الى الواقع، لجاوا الى الشكاة والتوجع والانين ، ثم تكبر الحرقة والاسى والعذاب الجميل ... ثم يولد الشعر مخاض كل تلك الحيوات الزاخرة المعطاء .

وهكذا دائما يعيش الباحث والمنقب التجربة الشعرية بكل ما فيها من ارهاصات الزخم الانفعالي الذي يقوله الشعراء في البوادي والارياف ، شعرا يهز النفوس من الاعماق ويحكي بافصح لسان للناس حكاية الوجدانات المعذبة عذابات بقيت زاد العشاق طيلة مسيرة قافلة الوجد الطويلة ، ويكون في ذلك عزاء وجزاء وتعويض تهون بجانبه وامامه كل مشقة وتعب خلال عملية البحث والتحري والاستقصاء .

ابراهيم عبده عمارة الصعوب

حياته :

يعتقد الشاعر انه ولد حوالي سنة ١٩١٥ في قرية الثنية . دخل الجيش العربي الاردني سنة ١٩٣٩ في « قسم الدرك والشرطة » ، برتبة جندي فارس ، واحيل على التقاعد سنة ١٩٥٩ وهو لا يزال بذات الرتبة . تزوج مرتين وله سبعة أولاد ذكور هم : صالح ، خالد ، مخلد ، اسماعيل ، محمد ، احمد ، ايمن ، وله ثلاث بنات هن : آمنة وخالدة وخلود . وقد تخرج ابنه البكر صالح في معهد المعلمين في عمان سنة ١٩٧٠ . وهو يسكن الآن في مدينة الكرك . تلقى تعليما بسيطا على يدي شيخ القرية ، ولذا فهو يكتب شعره ثم يحفظه ، ولكنه لا يحتفظ بعد ذلك بقصائده مكتوبة .

وتقع قرية الثنية مسقط راس الشاعر ، بعد خمسة كيلومترات الى الشرق من مدينة الكرك ، وتقع القرية على مرتفع من الارض ، يشرف على « بيار الثنية » الواقعة الى الجنوب منها ، وهي النبع الذي تستقي منه القرية .

اما « بيادر الصبحيات » فتقع الى الجنوب الشرقي من القرية ، والبيادر هي الاماكن « الاجران » التي يجمع المحصول عليها . اما الى الشرق من القرية فتمتد السهول الواسعة المزرعة الخصبة المسماة في قسمها الغربي « فج الثنية » وسهول المريغة هي امتداد لهذه السهول في الشرق وفي امتدادها البعيد نحو الشرق تسمى « فج العسيكر » . وعند ذكر سهول « فج الثنية » يتبادر الى الذهن المثل الشعبي « كل حصيني بارضه ذيب ، عمار يا فج الثنية » أي ان الفرد تقوى عزيمته وشكيمته وسط عصبيته وعشيرته وقبيلته لانها تنصره في كل حال ظالما او مظلوما ، ثم يستنزل الدعوات بالخصب والامراع لسهول فج الثنية .

ويضرب اصحاب وملاك الاغنام والمواشي ، مضاربهم وبيوت الشعر الخاصة بهم ، في هذه السهول في فصل الصيف والخريف والربيع . اما في الشتاء فيقيمون بيوتهم في المناطق الوطيئة ، مثل منطقة قرية الغوير وزحوم وابو الشحم ، لكي يكونوا على مقربة من مناطق المشاريق والمشاتي مثل منطقة وادي « الدبة » ووادي المغر والدكاكين والصير ونبع الحفاير .

في هذه البيئة التي تسود فيها القيم العربية البدوية الاصيلة ، ولد وعاش وشب الشاعر . وقد تربى على هذه القيم البدوية ، وتمثلها واستوعبها ، وفي خضمها عاش حياته، وشرب من مائها ، وقام ونام على سماع المآثر ، ومواقف الكرامة ، والاعتداد بالذات ، وعدم التذلل للآخرين ، لان الخضوع والانحناء لا يكون الا لله الواحد القهار ، وعندما دخل سلك الدرك والشرطة ، حمل كل هذه القيم والصفات معه .

ويحفظ هذا الشاعر الكثير من شعر البوادي والارياف الشعبي الموروث ، كما يحفظ شعر غيره من الشعراء الشعبيين المعاصرين . وهو يجيد انشاء الشعر وروايته، ومن بين الذين يحفظ شعرهم الشاعر الشعبي « مفلح المبيضين » كما يحفظ الكثير من الشعر والقصص الشعري الشعبي الذي يتناقله الناس دون معرفة قائليه .

هذه هي بيئته وحياته العامة ، اما حياته وبيئته الخاصة فتزخر بالاجواء الشعرية والقريض،فوالده عبده شاعر قال الشعر ورواه ، وابن عمه احمد بن عبيد الصعوب راوية الشعر الشعبي في البوادي والارياف الاردنية ، اما ابن عمه الآخر عبد الحميد بن عبيد الصعوب فيحفظ الشعر ويرويه ، ويقوله عفو الخاطر ، وفيض البديهة ، وارتجالا معبرا عن حال او حادثة ، كما حدث وقال شعرا وصفيا رقيقا عندما وجد كلبه الحاذق في اقتناص الثعالب ، قد سطا على «الطروة» وهو جلد ينقع في محلول الملح ، ويصنع ويقطع ويجزأ سيورا لربط وتوصيل الادوات الخشبية كنير الحراثة ، والمحراث الخشبي وغيرها .

وعندما سطا الكلب على الطروة حسبها جزاء وفاقا ، واجرا مستحقا له (كروة) لقدرته الفائقة ، وحذقه الواضح في اصطياد الثعلب الذي سطا قبل أيام على قن طيورهم الداجنة ، ويسجل عبد الحميد القصة بشعر يشبه الشعر الحر الحديث . والقصيدة طويلةلكنني لا احفظ منها الا الابيات التالية :

الكلب ساري سروة
سارق هالطروة
ابن الحرام
محسبها اله كروة
قلتلو رجعها
لا تمزعها
لا اطلع باقي الكلام .

وهكذا نجد الشاعر قد حبا ، وشب بين شاعرية الاب ، وتناشد العشيرة ، وابناء العمومة ، وقول الشعر وروايته ، فدرج بين مدارج الشعر ، اذن تسمع ونفس تطبع . فاستمر مريره ، وصلب عوده وتمكن من قول الشعر وصنعته ، وزخر بالهجاء نشيده ، سائرا على درب الهجاء، التي كان جرير من اشهر روادها وارسخهم قدما . وقد احسن الاخذ بحكم جرير ونصائحه في الهجاء، كقوله « اطيلوا الهجاء ، واقصروا المادحة » ، وقوله « اذا هجوت فاضحك » فشاعرنا يطيل الهجاء ، ويمزجه بصور ساخرة كاريكاتورية تثير الضحك . ولم يقل الشعر مادحا الا مرة واحدة .

ونلاحظ ان الشعر وسيلة للاتصال والاجابة ، فعندما سأله ابنه صلاح عن أصله ونسبه كانت اجابته على سؤال ابنه قصيدة من

الشعر ، كما كانت اجابته شعرا كذلك عن الشروط المطلوبة فيمن يقال الشعر فيه ، مدحا او قدحا في فرد او شخص او جماعة .

نسبـــه :

هو ابراهيم عبده الصعوب . وعشيرة الصعوب جزء مهم من التجمع العشائري المسمى « غيسون » وهو تحريف لكلمة غساسنه ، وهذا التجمع جزء من تجمع عشائري قبلي اكبر هو تجمع الشراقة . وينقسم جميع سكان واهالي محافظة الكرك التي تمتد حدودها من السيل الى السيل ، اعني من سيل نهر الموجب الى سيل نبع وادي الحسا ، الى تجمعين كبيرين هما الشراقة والغرابة .

ويعتقد الشاعر ان عشيرة الصعوب تمت بصلة النسب والاصل الى قبيلة عنزة العربية، تلك القبيلة التي تمتد مساكنها على اغلب الاقسام الشمالية من جزيرة العرب ، والمشهورة بالشجاعة والفروسية والكرم ، والقدرة على حماية المستجير بها (الدخيـــل) . وان « الدبشي » احد فرسان قبيلة عنيزه هو قريبه ومثله الاعلى في الفروسية والشجاعة والكرم . وقد اشار الى ذلك في احدى قصائده التي اثبتها في نهاية هذا الكلام عن نسبه . ونلاحظ انه يبدا هذه القصيدة بذكر الله العلي القدير ، والرسول محمد المختار صلى الله عليه وسلم ، كما تنتهي هذه القصيدة بذكر الله والنبي ، كمثل ما تبدا وتنتهي كل قصائده الاخرى ، ونلاحظ انه يلتزم بالقافية للصدر والعجز على حد سواء . ويلجا الشاعر الشعبي في العادة اركوب مطية سريعة للوصول الى الغرض الذي يقصد ، ومطيته تكون احدى الخيول المطهمة السريعة الاصيلة ، او احدى النوق الحرة السريعة ، وقلما نجد الشاعر الشعبي يمتطي خياله المجنح للوصول الى غرضه او ممدوحه . ويشير الشاعر الى ذلك كله شعرا مخاطبا ابنه البكر صلاح قائلا :

ابدي بذكر الله بكل حاله
الواحد المعبود بالضيق نلقاه(١)
والثني على نبينا بالرسالة
محمد المختار وحلو طرياه(٢)
من بعد ذا شديت حرة اصيلة
انا نقيته من ركايب الحويطا(٣)
الخرج والكلفة سواته عجيبة
وشدادها من ديرة الهند مشراه(٤)
ركابها نايف على كل جيله
صلاح اللي كاملات مزاياه(٥)
صلاح انت من فروع اصيلة
انا طلبت الله يبعد مناياه(٦)
احنا عنوز من هذيك القبيلة
بارض الحجاز من هل الراي والجاه(٧)
جموع باولهم شيوخ جليلة
دبشي ولد سلطان لا رديت تنصاه(٨)
هذا الامير اللي يعز الدخيلة
ولا طاح بالعركات ما حي يلقاه(٩)
صيته شهر للناس في كل ديره
من الهند لاسطنبول الكل ينصاه(١٠)
من الرياض الى نجد الكل يحي له
ولا لشام لبغداد وصلت عطاياه(١١)
يعطي الخلفات وخيول اصيله
من عهد جده الكرم صار مبداه(١٢)
هذا القرابه ان كان تابا دليله
بمير اللي يرفع الراس طرياه(١٣)

اوصيك يـا صلاح وصايـا جليلـة
انـا ابـوك والاب تسمع وصايـاه[١٤]
لا تـرافق الكذاب والناس البخيلـة
لو هـو هرج لك اياك تسمع حكاياه[١٥]
انـا طلبتك مـن المولى جل جلالـة
سبحان رب العرش مـا احلى عطاياه[١٦]
اختـم كـلامي بالله جـل جلالـة
الواحـد المعبود بالضيق نلقـاه[١٧]

شعـره :

تقول الكاتبة الايطالية « ناتاليا غنزبورغ » الشعر هو شيء انساني رائع ورفيع ، يملأ الحياة بالبهجة والغبطة ، ويعبـر عنها تعبيرا نابعا من الداخل لا من الخارج .

ان قول الكاتبة ان الشعر ينبع من الداخل لا من الخارج ، يتوافق كثيرا مع راي الشاعر في الشعر والشاعرية ، فهـو لا يقول الشعر الا اذا انفعل من الداخل ويلجا لقول الشعر الذي يفيض بمـا يجيش في نفسه واحساسه ووجدانـه من رعشة ومعاناة ، مـع الحفاظ على صدق الاراء ورهافـة الشعور والاخلاص في الحس والانفعال ، ويعتقد الشاعر كذلك ان « الشعر ما طاع الا له » فالشعر (القاف) لا يسلس قياده وشده (اي صناعته وقوله على اصوله) لكل من اراد قوله ، ولا كل من طلب الشعر تهيا له ووجده .

ويتفق راي شاعرنا مع الاخطل الصغير (بشاره الخوري) ، الذي عبر عما هو ضروري حتى يسلس قياد الشعر (القاف) للشاعر وحتى ينبع من داخله عندما قال :

صنعت القصيد ومالي في القريض يـد
يـد الطبيعه فيـه أو يـد القـدر

ان المـواهب لا فضـل لصاحبهـا
كالصوت للطير أو كالنشر للزهـر[١٨]

والشعر عنده ليس نظما ، بل « هوى » « ومعاناة » ، وموضع الهوى ومنبعه هو القلب ، وذات الفؤاد في أعمق اعماق الداخـل ، وان يجتمع الى ذلك كلـه سمو الغرض ورفعة الموقف ، والفرد الذي يقال فيه الشعر ، وان يكون اهلا لذلك كله . «ويرفع الراس طرياه» وذكره وهنا يتفق كذلك مع معاني الشعر الشعبي المتوارث المجهول قائله ، والذي يتداول الناس هذه الاشطر منه ، والتي تعبر ، وتدل على من يقال الشعر فيه ، من بني الانسان . فالشعر اما ان يقال في الفارس الشجاع المقدام ، الذي يورد اعداءه موارد الموت ، فيكرهون ذكره ، لان ذكره يقترن بجلب الموت الزؤام لهم ، واما ان يقال في الكريم المضياف ، او في الفارس القائد الذي يحمي رجاله ، ويدفع عنهم اللحظات العصيبة ، ويحميهم بصدره امـا الاشطر المتوارثة والمجهول قائلها الاول فهي تقول :

شده ومـده للي تكره الخيل طريـاه
شده ومـده للي تدفق السمن يمنـاه
شده ومده لفكاك ربعه يوم الكاد[١٩]

وقد عبر شاعرنا عن كل تلك المعاني والشروط والمتطلبات ، بشعر جامع فاض على لسانه ، بعد نقاش مع ابنه صلاح ، حول الشعر ورسالته وصفات الشاعر المبدع ، ولمن يقال الشعر . حتى القلـم الذي يكتب بـه الشعر ، والقرطاس الذي الشعر عليه يسطر ، يسال لمن وفيمن يقال هذا الشعر . ويجيب الشاعر قائلا : ان شعره يقدم ويهدى لمن ذكره

وصيته الشائع ، يرفع الراس اعتزازا لان ذكره يعبــق بشذى الكرم والفروسية والشجاعة ، ويجمل الشاعر كل هذه المعاني شعرا عندما يقول :

صلاح مـا كل مـن شها القاف شده
ولا كل مـن طلب الشعر يلقـاه[٢٠]
الشعر مـا هـو بس روحـه ورده
الشعر يهواني حتى انـا اهـواه[٢١]
رد الـورق يقول مـن تـوده
ارجوك علمني عن القاف وين مهواه[٢٢]
حتى القلـم يقـول لمـين تمـده
امده للي يرفع الراس طريـاه[٢٣]

أغراض شعره

المــدح :

ولان الشعـر عنده هـو تلك الرعشات والنسمات الانسانية الهفهافة الحالمة والزهور الوجدانية التي تتضوع شذى وعطرا عبقـا وزكيا ، فانه يرى ان للشعر رسالة جمال ، وبشير روح ، وارتعاشة وجـدان ، وليس من رسالة الشعر في شيء ان يكون كلاما منظوما للتكسب ، ينتج ريعا ويغل موردا • والفرق كبير بين الشعر الندي ، وبين تحول الشعر الى مجرد نظم ، موسيقاه نشاز يصر الاذان ، ورنينه خشخشة قصب جاف ، لا تشنف الاذن ولا تطربها ، ولا تحرك قلبا ولا شعورا ، لهذا كله لم استغرب عندما لم ينشدني شعرا في المدح ، ولم أجد له شعرا يتداوله الناس ، يمدح به أيا من المتنفذين وشيوخ العشائر الذين يطربون للشعر الشعبي الجيد ويجزلون العطايا للشعراء الشعبيين • وتكون عطاياهم احيانا الخيول المطهمة الاصيلة ، او المبالـغ الكبيرة من المال ، واحيانا اخرى قطعا او مساحة من الارض الخصبة • ويعود السبب في ذلك الى اعتداده بنفسه وعشيرته واصله ، ولاعتقاده بعدم وجود من يستحق ان يمدحـه بشعره ، وانه ارفع من يتكسب بالشعر ويمد يده لعطايا الممدوحين • وعنده ان المدح لا يقال الا اذا اجتمع شرطان هما كما اسلفنا سمـو الغرض ، ورفعة الموقف والشخص الممدوح •

والسؤال المطروح الان هل اجتمع هـذان الشرطان ، وقـال الشاعر شعر المديح ؟ والاجابة تاتي سريعا نعم • فقد قال شعر المدح مرة واحدة في شخص جلالـة الملك الحسين المعظم ، عندما اقيم احتفال في الكرك بعد عودة جلالته من احدى جولاته خارج المملكة وكان ذلك سنة ١٩٥٩ •

ونلاحظ انه ينتقي الالفاظ السهلة المعبرة ، دون اغراب او تعقيد ، اما المعاني والتشبيهات فهي وليدة شرعية للقيم السائدة ، والبيئة البدوية العشائرية ، وسوف اكتفي بتفسير معاني بعض الكلمات الغامضة فقط دون شرح الابيات واحدا بعد الاخر لسهولة معـاني الابيات والقصيدة •

والقصيدة تقول :

ابـدي بـذكر الله جـل جلالـه
الواحـد المعبـود بابـه قصدنـاه
مـن بعـد ذا شديت حـرا دلالـه
لقصور ابـن طلال حنـا نصيناه[٢٤]
تلقى الوزر عـلى يمينـه وشمالـه
الكل منهم ينتظر امـر مـولاه[٢٥]
حسين الملك وحنـا رعيتـه وحلالـه
نفديـه بالامـوال والـروح تفـداه[٢٦]

ملك الملوك لعاد ربي شهاله
نال الشرف والجود من يد يمناه
كريم ضيفه في سنين المحاله
ما مثله ابن اجود ولا هو حويلاه[٢٧]
بحره غميق وكل من جا نصاله
يورده ويصدره ويحمد الله[٢٨]
ديوان فاتح طول ليله ونهاره
ملوك من كل الحكومات تنصاه[٢٩]
فكره بحر ولا كل حي يناله
وهبه من الله والنصر دوم يبراه[٣٠]
نصره من الله على عمامه وخواله
شريعة الاسلام هي دوم مبداه
حسين حبيب الشعب ربي دعاله
يحمي الحرم والمهد بقدرة الله
عنده جيوش كل قوم شباله
مدربه بسلاح حنا تمناه[٣١]
اشكيلكم مولاى راعي الجلاله
ابن طلال الهاشمي راعي الجاه
انا مواطن وخادمك بامتثاله
محروم انا رؤوياك والله والله
وحياة رب البيت واللي نصاله
ان العبد مشتاق لشوف مولاه[٣٢]
وحياة من اعطى نبينا الرسالة
انا لعرش حسين والكل نفداه
ودخيل جدك كان تابا الدخالة
واطلب من ربي جنة الخلد ماواه[٣٣]
ودخيلنا شفيعنا بالقيامه
ويارب عز حسين وابعد منایاه[٣٤]
اختم كلامي بالله جل جلاله
الواحد المعبود بالضيق نلقاه

الهجاء :

وجد الباحث الشعبي روكس العزيزي «بمجلة الفنون الشعبية العدد السادس ايار سنة ١٩٧٥» ان الهجاء في الشعر الشعبي في البوادي والارياف الاردنية نوعان هما :

أ ـ هجاء لغرض شخصي .

ب ـ هجاء قبلي ، حيث يهجا الرجل لانه اخل بتقاليد القبيلة او بالاعراف المرعية .

اما شاعرنا ابراهيم فقد كان هجاؤه من النمط الاول ، وهو مقذع في هجائه لقدرته على امتلاك ناصية القول . ونلاحظ ان له براعة في الهجاء تاتي من قدرته الواضحة على توليد المعاني الساخرة واقتناصها ، في تهكم واستهزاء ممن يهجو ، ويرمي من يهجوه بما يضحك السامعين ويثير سخريتهم وقهقهاتهم ، لاضفائه اثواب السخرية والهجاء على من يهجو وكاني بالشاعر قد حفظ وصية الشاعر الهجاء المشهور جرير وعمل بها « اذا هجوت فاضحك » .

وسوف اختار من بين شعر هجائه الكثير، نموذجين فقط وسبب الهجاء فيهما شخصي بحت وهو عدم قيام الشخص المضيف «المعزب» بواجبات الكرم للشاعر ولمن معه كما هي العادة في اكرام الضيوف « والمسايير والخطاطير » . وهذان النموذجان شائعان ويحفظهما الذين يعرفون الشاعر .

اول هاتين القصيدتين الهجائيتين ، هي القصيدة التي قالها يهجو احد الاشخاص والصورة الهجائية في القصيدة تزخر بالسخرية ، والاضحاك ، فقد استعاض عن الجواد المطهم الاصيل بالفار لمرساله ، وركب هو الدب في رحلته اليه ، بقصد الاقلال من شان الذي

يهجوه وتحقيره وتصغير مقامه عندما جعل الفار راحلة لمرساله الذي هو « زقزق الطير » قاصدا من وراء كل ذلك رمي الرجل بالصغار ، وللايغال في السخرية منه ، ويصفه بالنذالة والبخل والاعمال الحقيرة . اما تصويره للحال التي قابلهم بها عندما اتوا بيته ضيوفا ، فتذكر بصور ابن الرومي الكاريكاتورية الساخرة ، من تكشير وتجهم وتقطيب جبين في وجوه الضيوف (المساير والخطاطير) وقدومهم ، وتدلي شفتيه ، وتقوس حاجبيه بطريقة غريبة عجيبة . اما تشبيهه للخوري « بشيخ من الشرارات » هرم متهالك في جلوسه ، فتذكر مرة اخرى بصور ابن الرومي الكاريكاتورية الساخرة المضحكة ، ولم يقدم المضيف لهم المنسف طعام الضيوف المعتاد بل اكتفى لبخله وتقتيره بتقديم اللبن الرايب والبيض المقلي .

ولعل في الاطلاع على القصيدة التي قيلت عام ١٩٤٢ وشرحها ما يكفي لاعطاء فكرة واضحة عن قدرة الشاعر على الهجاء المقذع القاصم لظهر الذي يهجوه وذلك بصورة تزخر بالحركة والحياة التي تخالطها السخرية والاضحاك ، واستنزال صواعق اللعنات على الذي يهجوه ، وفيما يلي القصيدة :

شديت فـــوق مشبحا بالجنازيـــر
الدب اجـــرب مانعـــه بالبلامـــات(٣٥)
ركابها يطـــرد بظهـــره الخنازيـــر
مرسالنا لبلب بـــرد الجوابـــات(٣٧)
تمـــد مـــن عندي يـــا زقـــزق الطير
مودعـــه للفـــار اكبـــر نجاسات(٣٨)
تلقى الصريح اصحك اجنب عـــلى الغير
شق البلد وانـــده بنص الزقاقات(٣٩)
اتفل بوجـــه ولا تسميـــه بـــالخير
الله يلعـــن لحيتـــه سبع لعنـــات(٤١)
تلقى الرزالـــه بنص وجـــه صبابير
البخل نـــازع كبرتـــه والرديـــات(٤٢)
كلوستـــه مـــع لحيته مطقعـــة عـــير
حيوان ناطق سيس ما عنده شومات(٤٣)
لا يـــا نصارى لا تخلـــوه شويـــر
خرفـــان ناقص عن جميع المليحات(٤٤)
ايـــاكو يصلي بالكنيسات والديـــر
من دينكم مطرود طرد الفـــرارات(٤٥)
لا انخ اهـــل الشومـــات واهـــل التدبير
زبن الدخيل اللي عبر على المحلات(٤٦)
حامـــولة الشياب وانـــخ المخاتـــير
فندي وربعـــه مشرعين المضافـــات(٤٧)
مـــا تفزعـــوا لي فزعـــة كليب للزير
اللي كتب بدمـــه على البلاطـــات(٤٨)
لبـــوا طلبتنـــا يـــا نشامى محاظير
خوينـــا هـــذا اعملوا لـــه جلالات(٤٩)
جيتـــه وخبـــرته بـــكل التخابـــير
وهو يلعب الشطرنج هذى العلامات(٥١)
عولاب وبـــرطم والحواجب تقـــول نـــير
لا يـــا خزي الشيب كلب المساخـــات(٥٢)
والله يـــا شياب مـــا ذقت لـــه مير
تسكرت بيبـــان نفسي بغـــالات(٥٣)
مـــن الجـــوع صار حساب عندي وتفاكير
والخوري مقند تقول شايب شرارات(٥٤)
قامـــوا عيـــال اثنين لبسوا البساطير
جابوا غـــدا بصحون دوا وبيضات(٥٥)
يومـــن صار الزاد بثمي تقـــول قـــير
من ريحته ما عـــاد ذقته خلاصات(٥٦)
خوينـــا هـــذا عليه اللغـــا كثير
مسبوب عند الناس فلح وبـــدوات(٥٧)

حتى النصارى اخرجونه اطزيير
صفر مرفوض مـا لـه حسابـات[٥٨]
ابغض عليـه ان جـوه صربة مساير
يبكي ويهل دمـع عينه رهيـان[٥٩]
هـذه المضايف بدهـن قمـح وشعير
والصفرة تطلع كل وقت وساعات[٦٠]
وراعيهـا يضحك للفـوه الخطاطـير
ولتكاثرت مـا يقل اله حجاجـات[٦١]
والبـن يحمس طلعـة الضو بكـير
والشاي احلى من العسل وسط كاسات[٦٢]
مـا هـو مثلك يـا حصيني المواكير
ثاري ديوانك مسويـه قمارات[٦٣]
عامـل مضافـة نابيـه عل المناطير
الله يبلي اركانهـا بعشر قـلات[٦٤]
لا مـا يخلنهـا اكوام وصبابـير
تشبه لجنـة عـاد مالها الثارات[٦٥]
وتصير مسكـن للنحـل والـدبابير
بيهـا الخنافس والحرائـين زاغات[٦٦]
والبـوم يـزعق والرخـم والعاصفير
يتملكنهـا يطوبن طـاب باثبـات[٦٧]
هـو يصيـح مثـل صيح النواطير
ومن الزعل طاحن عليـه النزولات[٦٨]
اختـم كـلامي عـل نبي بتذكـير
المصطفى مني عليـه السلامـات

اما القصيدة الثانية فقد قالها سنة ١٩٥٤ يهجو مختار قرية فلاما في محافظة نابلس الذي حاول الاختفاء من وجه رجال فرسان الدرك ، ولم يقم بواجب الضيافة والاكرام لهم كما جرت العادة ، ويتخذ رجال الشرطة في العادة من بيت المختار في القرى التي لا توجد فيها مخافر الشرطة مستقرا وموقعا لتنفيذ ما جاؤا بشانه ، وكان الشاعر احد القادمين الى القرية ، لاخذ افادات من بعض افراد سكان القرية ، ولجلب بعض المطلوبين للسلطة في مركز المحافظة او اللواء ٠

ويصف الشاعـر في القصيدة ، سيرهم ممتطين ظهور خيولهم عصرا متجهين نحـو القرية ، ويذكر ان اهل القرية جميعا رحبوا بهم ، باستثناء المختار الذي اختفى ، ويصف كيف طلب الشاويش (الرقيب) المسؤول عن المجموعة احضار المختار باي شكل ليكون حاضرا وشاهدا عل ما يتخذون من اجراءات وتحقيقات ٠

وعندما حضر المختار ، بدا يصفه بطريقته الساخرة ، وشبهه للونه الاسمر ، وكانه قادم من طابون يعلوه الدخان واللون الاسود ، وجعل من صلعته سببا للسخرية منه والاقلال من شانه فشبها راسه بقطعة الصابون (لعله رمز بهذا التشبيه انه زائل ومتلاش من منصبه كمختار كما تذوب قطعة الصابون من الاستعمال) ٠ ثم يسخر منه اشد السخرية ، عندما يجعله لا يصلح لشيء الا ان يكون ديكا يرعى الدجاجات ويوغل في اقذاعه واسفافه في الهجاء والاضحاك والسخرية ، عندما يتحدث عن امه وابيه (البغلة والحمار) ويقرر انه معتاد عل السوء (الرزلات) ، وبعيد عن الكرم واكرام الضيوف ، وانه حيوان لا يصلح الا للحراثه ٠

ولهذا كله فانه سوف يطلب من القائم مقام الغاء امر تعيينه مختارا للقرية ٠

اما القصيدة فتقول :

العصر يومـن مدينـا
عل فلامـا لفينـا[٦٩]
كـل يهلـي فينـا
مـا قصروا هـالحظار[٧٠]
الشاويش مـا توده ينام
ينـده للاشوح قـوام[٧١]

هــاتلي عمــك همــام

ودي اخــد معلومات[٧٢]

يومــن جانــا هالملعون

عــده طالع مــن طابون[٧٣]

راسه يــا خلقة صابون

يصلح فــرخ للجاجات[٧٤]

هــذا مــا هــو مختار

ولا لــو في القرية شوار[٧٥]

امــه بغلــه وابــوه حمار

متعــود للــــرزالات[٧٦]

مــا هــو رجــل معروف

ولا عمره شاف ضيوف[٧٧]

مثــل القديش المكلــوف

اللي مــربى للحراثــات[٧٨]

هــذا مــا هــو كلام

مــن الصبح قبل الدوام[٧٩]

لاذهــب للقيــم مقام

والــغ كــل المرسومــات[٨٠]

وعندما كنت الملم شوارد الفكر ، واكتب اخر العبارات ، حول قصيدته الهجائية ، في مختار قرية فلاميا الذي يصلح (فرخــا للدجاجات) . وجدت نفسي غير مستطيع مقاومة اغراء قصيدة هجائية اخرى طويلة للشاعر ، فانسقت وراء الرغبة في اختيار ابيات منها . وقد اكتفيت باختيار ابيات قليلة ، خوفا من الاطالة والاملال ، وشرحتها .

نظم الشاعر القصيدة عام ١٩٥١ ، على اثر وقوع سرقة لبعض حاجيات وادوات الجنود من خيامهم الكائنة في مخيم الدرك الفرسان ، في (عين غزال) الى الشرق من عمان ، وعلى الطريق الى الزرقاء ، وقد كان افراد الجيش والدرك والشرطة ، يتوافدون من مختلف مناطق المملكة ، ويضربون لهم المخيمات ، للاستعداد واجراء التدريبات للاشتراك في احتفالات واستعراضات الجيش ويوم الاستقلال ، وهو يحاول ان يدل ضابط الصف المسؤول عنهم ، واسمه محمد ، على اللذين يعتقد انهما قاما بالسرقة ، ونجده في هذه القصيدة ، ينصح ضابط الصف ، بان يفتش على المسروقات عند احد اثنين ، من جنود فرسان الــدرك ، اللذين يشبهان الرعيان باخلاقهم من سرقة وكذب وبث للسوء ، ويصف الاثنين ، بان لهما في السرقة عادة .

ثم يقدم بعد ذلك شهادته ودليله القاطع على انهما هما السارقان بدليل ان اثار اقدام الذين سرقوا قد خرجت ودخلت الى خيمتهما ، بالاضافة الى سوابقهما وعادتهما وسيادتهما في السرقة . وينبه ضابط الصف للاحتراس من وقوع سرقة جديدة ، وقد يسرق السارقون هذه المرة الخيام واوتادها . ويذكر كيف وصلت الدناءة بالسارقين ، الى سرقة ملعقة «حامد» ذلك الشخص البخيل الذي بكى بحرقة ما بعدها حرقة سرقة ملعقته العزيزة .

ان من يتدبر شعر هذا الشاعر الهجاء ، يعجب من قدرته الفائقة على الهجاء والاقذاع في هجائه ، ومن براعته في الاضحاك ، وتبريزه في السخرية ، ورسمه صورا كاريكتورية ، بارعة ، وهــل هناك ابرع من تصوير رجل بكامل قواه العقلية ، يضرب في الارض هائما على وجهه باكيا فقد وسرقة ملعقة امتدت لها يد سارق .

لذا فاني لا ابعد عن الحقيقة كثيرا اذا قلت ان قامة هذا الشاعر ، وقدرته على قرض الشعر وصياغته في مختلف اغراض الشعر كان يمكن

ان تطاول قامة جرير وامثاله ، في الهجاء ، لو نال الشاعر حظا وافرا من الثقافة والمعرفة .

اما الابيات المختارة فهي :

يـا راكبا طلقة الذرعـان

شراشبه مـن قفـا شداده

سلم عـلى سـاكـن الخيام

محمد الـه بالكـرم عـاده

يـا محمد فتش على الرعيان

هـذول كذبـان وفساده[٨١]

دعسان مـا ينحقر يـا فلان

السرقة الـه بها عـاده[٨٢]

شاوردي يـا ساكن الغيران

السرقة الك بهـا سياده[٨٣]

الاثـر وصل على الخيـام

مـا بينا جرت بها عاده[٨٤]

يـا محمد اصح مـن الكذبان

الطن لخيامك مـع وتاده[٨٥]

حامـد يصيح مـع الوديان

على المعلقة راحت فقاده[٨٦]

اسال جنودك عـن الرغفان

ثلاثه مـا بهن زيـاده[٨٧]

الشكوى من الدهر :

يحفل النموذج الاول من قصائد الشكوى من الدهر ، بالصفاء والتدفق العفوي ، وذوب روح الشاعر الاصيل ، الذي لا يعجبه تغير القيم التي كانت سائدة ، وهو اذ يلاحظ سيادة قيم حياتية جديدة ، كالابتعاد عن فضائل الدين والتدين ، والقيام بفروض الصلاة وتفرق كلمة الجماعة والمجتمع ، مسجلا انتشار عدم الخوف من الله عز وجل فكل فرد من افراد المجتمع « رامي ربـه من وراه » وذلك كله ناجم عن انتشار وسائل الحضارة الحديثة ومنهـا التلفزيون ، كما يلاحظ اتجاه الناس نحو الكفر بالاله . وهو لا يكتفي برفض هذه القيم الحياتية التي بدات تسود ، بـل نجده يقف ضدها ، في حرارة وصدق مثل حرارة ودف، رغيف خرج على التو من طابون شعبي ، في احدى جنبات ريفنا ، يعبق برائحة شهية تهفو اليها النفوس .

والقصيدة من نمط الشعر المسمى « المربع » وهو على ابحر كثيرة كالقريض والشعر الفصيح ويتكون من اربعة اشطر ، ثلاثة منها على قافية واحدة ، والشطر الرابع ينفرد بقافية مختلفة ، وتبقى قافية الشطر الرابع هي هي حتى نهاية القصيدة . وتنقسم القصيدة الى ست وحدات ، كل وحدة بيتان من الشعر او اربعة اشطر وتتغير قافية الاشطر الثلاثة عند الانتقال من وحدة الى اخرى في القصيدة بينما يلتزم بقافية واحدة مستمرة للشطر الرابع عـلى مـدى القصيدة . وتغير القافية بين وحدة واخرى في القصيدة اعطى القصيدة مرونة ميزة انعكست عليها رقة وسهولة جعلتها نمطا متميزا مـن الشعر السهل الممتنع .

ابـدي بذكـر الوهـاب

ربـي وسيع الابـواب

يرحمنـا يـوم العذاب

في نهـار الملاقـاه[٨٨]

مـن بعـد كتبت سطار

كتبت والفكـر محتار[٨٩]

مـن هالزمـان الغـدار

الاخ ينكـر اخـاه

ايضا الـه العالمين

اشفق عـل المسلمـين

مـا ظـل واحـد امين

نسينـا فـروض الصلاه

نسينـا قـول الامين

شفيعكـو يـا مسلمين[٩٠]

اوصاكم تكونـوا متحدين

بـامـر ربي الالـه

نسينـا قـول الرحمـن

تركنـا ذكـر القرآن

البشر كلـه تعبـان

رامي ربـه مـن وراه[٩١]

نسينـا الـه الكون

عبدنـا اهـل التلفزيون

البشر كلـه مفتـون

صار يكفـر بالالـه

امـا القصيدة الثانية فنجده يشكو فيها حالته ، وتحوله من فارس يمتطي جوادا مطهما اصيلا قويا الى جندي حراسة ، يجري عليه السؤال والتفتيش من ضباط الصف خلال نوبته في الخفارة ٠

ونحس معه ما يحس من تباريح الشوق لابنه الوحيد الذي توفيت امه عنه صغيرا ، وهو يذكر ان زوجته المتوفاة هي على جانب كبير من الجمال والاناقة في الملبس ٠ وعند ذكر الموت والمرض يتحول شعر الشكوى من الدهر ومصائبه الى حكمة رائعة ، فلا الشكوى (العنين) تخفف عن المريض (العيان) ولا الموت يرحم اذا حم القضاء وجاء الاجل ، ولا يفرق بين طبقات الناس في ريف او بادية وفي النهاية يشير من طرف خفي وعلى استحياء انه يقول الشعر ويحسن قرضه ، ويجيد صناعته ٠

ابـدى بذكر الله واعبـد لدينـه

خالـق ظلام الليل وضي المصابيح[٩٢]

فرحـان شد لـي فـوق المتينـه

ولا تلومني فرحان لشرفت واصيح[٩٣]

والله لـولا الناس قولـوا هبيله

لا صيح صوتـا يجرح القلب تجريح

نسيت انـا الدنيـا وفرضي وديني

عدي قريص الداب مثلو انا اصيح[٩٤]

مـن عقب ركوبي فـوق صفرا متينـه

اليوم راعى مـن رعـاة المصاليح[٩٥]

هـذا ينشدني وهـذا يجيلي

تفتيش جاري مـن المسا للمصابيح[٩٦]

امـا لا وهلي منلـو رحولـه متينه

تقطـع فيافي بظهرها وانت ماتطيح[٩٧]

تـلفي عـل منـواك شوفـه العين

عالصالح الى جرح القلب تجريح[٩٨]

مشتاق انا يـا ناس شوفـه بعيني

يـا عين لا تبك ويا قلب لا تصيح[٩٩]

حاربت كـل النـوم يـا مسلمين

قلبي سرح مـع لابسات المطاويح[١٠٠]

قلبـي يحدثنـي شمـال ويمـين

فقدت انـا ام الثنايـا المواضيح[١٠١]

ولا ينفـع العيـان كثـر العنين

كلش مسطر عـل جبينه بتوضيح[١٠٢]

والمـوت لا يرحـم كانـه يبين

دولاب دايـر بين بـدو وفلاليح[١٠٣]

فرحـان شوف القـاف كانـك فطين

ان كان غلط قم صحح القاف تصحيح[١٠٤]

اختـم كـلامي بنبـي السمـين

يشفع لنا مـن حـرها واللوافيح[١٠٥]

الغـــزل :

لعل هذه القصيدة الغزلية التي تسيــل رقة واحساسا واخيلة بديعة ، هي اقــدم قصائده نظما . فقد ذكر الشاعر انه قالهــا وعمره حوالي ست عشرة سنة أي انها قيلت لاول مرة حوالي سنة ١٩٣١ م .

واستطعت ان أجمع هذه الابيات القليلة من هذه القصيدة الطويلة (كما يقول الشاعر) . واعتمدت لجمع شواردها على انشاد الشاعر ، واستجماعه لذاكرته ، او ممن يحفظون شعره من الناس . وسوف أحاول حيثما اسعفت العبارة والكلمة ان استعيــد معاني القصيدة واخيلتها واوصاف المحبوبة ، التي ما اسرع ان هفا قلبه اليها من أول النظرات ، وما جرى من احداث حتى قيلت القصيدة ، كل ذلك بتعبير نثري ، قد لا يتوهج بالاشراق توهجا يرتفع به ليشف عن الق شعري فيه صفاء ونقاء شعر هذا الشاعر البدوي ، ولكنــه يحاول (النثر) ان يرنو بانظاره الى ذلك المستوى السامــق الذي يصل اليه الشعــر والتعبير الشعري .

وتبدأ قصة القصيدة ، وتعلقه بالبدوية ، عندما سمع ممن جاء عشيرته واهله ، ان هناك بعض البــدو وابلهـم (طروش الجمال) يستقون الماء من ابارهم ، وكان الشاعر بشبابه الغض ، السريع العدو ، أول من وصل الى الابار ، ولكنه، لم يجد بدوا وطروشا مــن الابل ، بل وجد رجلا ومعه فتاة بدويــة جميلة ، تركت جملها وهودجهــا لتستريح ورفيقها مــن وعثاء السفر ، وتعجبه الفتاة ، ويتبادلون الحديث ، ويعرض عليهما النزول في ضيافة أهله وعشيرته ، ويعتذران ، وتغادر الفتاة ومعها رفيقها ساحة البئر ، وتاخــذ الظعينة قلبه معها .

قــد كنت في اثر الاظعان ذا طــرب
مروعا مــن حذار البين محزانا(١٠٦)

وعندما غادرت والسماء صافية ، والنسيم العليل يتراقص دون ان يخفف مــن وهج اشعة شمس الصيف الحارقة ، والتي تزيــد الغرام في قلبه الموله الذي أحب من أول وهلة، ولسان حاله يردد أبيات متفرقة مــن شعر جرير :

ما كنت اول مشتاق اخي طرب
هاجت له غدوات البين احزانا(١٠٧)
ان الذين غدوا بلبــك غــادروا
وشلا بعينــك ما يزال معينا(١٠٨)

لقد أحب الشاعر تلك الفتاة البدوية التي كانت بطهر البراعم الجديدة الطلوع ، لــم تلمس ثغرهـا قطرات الندى ، ولا تسللت بين طياتها الفراشات تبحث عن الرحيق .

كانت كانها عروس بلباس العرس الابيض ، وعلى راسها أكاليل مــن الورد والبنفسج ، ويحمــل النسيــم اريج الورود البرية ، والاقحوان المتمايــل بفضل الريح الخفيف ، وعندما ركبت جملها ، وجلست وسط الهودج ، كانت تتوالى انحناءات سنابل القمح والشعير المثقلة بالحب ، وتمايل الشجيرات القليلــة المغروسة في الكروم الكائنة في اطراف قرية « الثنية » وهامشها الشرقي الجنوبي . وكانت

كلماتها الهامسة كانها الضحكات المجلجلة التي ملات الزمان والمكان ، باحل الاحلام ، واجمل الامنيات ، واعذبها .

وتصورها وهي تبتعد جالسة في هودجها ، كانها تركب مركبا تيسرت له ريح مواتيـــة ، فارخى قلوعه ، واخذ يمخر العباب بسكينة واطمئنان . ثم فجاة انقلبت الصورة راسا عل عقب ، وتوقف تيار الزمان عـــن الجريـان والتقدم ، وهاجرت الطيور ، وتصلبت عيدان القمح ، ونخر السوس السنابل وتفرغت مـــن الداخل ، وكفت الجنادب والصراصير عـــن اطلاق صريرها واصواتها ، وساد الصمت ، واحس الشاعر كان الرجل ياخذ حبيبته ليلـة عرسها ، ليلة تكريسها له ، وهنا يمتلىء قلبه وجوفــه وكيانـه بهواجس السوء ، والرغبة في التخلص من رفيق الفتاة التي احبها من اول نظرة ، وهو يرى فيه العقبة الكاداء في طريق قافلة وداد قلبه الحالم العاشق ، ويضمـــر الفتك به ، واطلاق النار عليه ، او بانطــلاق قلبه نحوه كانه مقذوفة منطلقة قاتلة ، ولكن انطلاق قلبه كقذيفة قاتلة تحول دونه مـــا يربطه من نياط ببقية اجزاء جسده . وليس غريبا ما يحس به من عذابات الهوى والوجد ، ومرارة المعاناة ، واضمار للغدر ، وهو يرى نفسه عاجزا كليلا امام الافق المجهول ، الذي تبتعد فيه الحبيبة الحسناء الجميلة جمال غزال بري ، ويرى في ابتعادها دون كسب ودادها ضياعا وتبديدا للجنة التي كان يحلم بها لان من احبها فات الجنة ، وتستمر البدوية الحسناء في ابتعادها ،وهي الجميلة جمال باقة واضمامة زهور برية نمت عل سفوح بلادي ، وهي في ابتعادها تشبه وضحا ،(فتاة جميلة اخرى) ومن احبته البدوية اكتملت سعادته .

ويضيف الشاعر في هـــذه القصيدة الى قصص الوجد والصبابة ، حلقـــة جديدة ، تفيض لوعة واسى وعذابا ممضا جميلا .

ويغلب على الظن ان هذه البدوية الحسناء قـــد غادرت البئر وهودجهـــا يحميها من وهج اشعة الشمس الصيفية ، وهي خالية لم يمس شغاف قلبها شيء مما كان يعانيه الشاعر من وجد وصبابة . وقد حاولت خلال هذه السطور ان انفخ الحياة بمعاني القصيدة واحيلها نثرا، بعد ان ضاع الكثير من ابيات هذه القصيدة الغزلية الطويلة الرائعة .

اما ما بقي من ابيات هذه القصيدة الغزلية فهي :

وحيـــاة ربي بعيدا فـــوق
رب الملا خالـــق الجنـــه
اني بواجـد نويت البـــوق
يمشي وعيوني يراعنـه(١٠٩)
قلبي هـوى يـــم الحمـوق
لو مـــا المعاليق ردنه(١١٠)
عل ابـو قذيله تقول زملوج
ومن حبها فات بالجنه(١١١)
ونهـــود بيض تشد الثـوب
مثـل التفافيح شالنـه(١١٢)
يا شبه وضحا زهت بالطوق
كسابهـا زايـدا فنـه(١١٣)

اما النموذج الثاني من شعره الغزلي ، فهو ابيات من قصيدة يبداها بسؤال صديقه

سعيد ، عن اثنتين من الفتيات الجميلات . تشبهان الظباء النافرة المبتعدة ، وتشبه اولاهما ـ فضيه ، الغزال البري . وقد اخلفت ظنه لعدم وفائها بوعد قطعته له . وهي فتاة نشمية كاملة الاوصاف من حيث الجمال والخلق اما الثانية فهي صبحا الجميلة التي تعود الحياة والطراوة والاخضرار للاعواد اليابسة اذا لمستها . وهما في سيرهما تشبهان حوريات الجنة ، لذا فانه يبذل روحه رخيصة في سبيل تلبية طلبهما ورغبتهما ، ولا يجد احلى من تادية صلاة الفرض والسنة ، مفترشا الصدر الجميل ، اما لو اتيح له الاطلال على النهود الجميلة الاخاذة ، فانه يغدو ملكا دون شك .

يا سعيد ما شفت لي ثنتين

لون الا ظبي يوم زاعني(١١٤)

منهن فضيه عنود الصيد

نشمية اخلفت ظني(١١٥)

ورفيقتها اسمها صبحا

بحضنها العود متثني(١١٦)

شبهتهن يوم مدني

تقول حوريات بالجنه(١١٧)

لوانهن على الموت ينخني

ارخصت انا الروح لهنه(١١٨)

لوانهن على الصدر حطني

صليت انا الفرض والسنه(١١٩)

لوانهن على النهد بدني

صرت الملك ما بها منه(١٢٠)

ان شاعرنا ابا صلاح فارس مجل من فرسان شعر الارياف والبوادي الاردنية ويتزين هذا الفارس المتطي صهوة جواد مطهم اصيل ، ويزدان باعلام الشعر والحب والاصالة وما احيل السير في ركاب ورفقة هذا الشاعر الذي غنى للجمال والحسن وخلده فنام القدر تحت اقدام الجمال والحسن لرقة شعره وجماله ، سالكا الدرب التي سار عليها الاخطل الصغير الذي قال :

ما الحسن لولا الشعر الا زهرة

يلهو بها في لحظتين النظر

لكنها ان ادركتها رقة

من شاعر او دمعة تنحدر

سالت دماء الخلد في اوراقها

ونام تحت قدميها القدر

وانا اذا وصفت الشاعر بما اسلفت من اوصاف وسجايا وخلال فانني لا اكاد اصدق ان شاعرنا ابا صلاح ، قد امضى ما ينوف على عقدين من الزمان جنديا فارسا ، في قوى الدرك والامن العام . ينتقل من قرية لاخرى ، ومن مضافة الى مضافة ، ومن بيت ومنزل الى غيره لاحضار مطلوب للسلطة بعد ان يتكسل عددا من الساعات يقارب عدد اصابع اليد الواحدة ويتناول هو وجواده ما لذ وطاب من الطعام والشراب على حساب الشخص المطلوب للسلطة بطريقة تثقل كاهله .

ولاني لا اتصور الشاعر ، لما اعرف من اعتداده بذاته ونفسه وكرامته الا جنديا يقبض سلاحه ورمحه وسيفه بصلابة ، ويريد ان يشق بهما الفضاء . لذلك فانني اتصوره رغم كل تلك السنين شاعرا فارسا مغوارا مقداما يقول الشعر ليعبر عن ذاته لا ليتكسب به او ليرضي زعيما او شيخا او متنفذا .

شروح وتعليقات

(٢،١) طرياه : ذكره ٠

يبدأ قصيدته بذكر الله الذي يفرج كل كرب وضيق ، وذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الذكر الطيب ٠

(٤،٣) حرة أصيلة : ناقة ذلول سريعة ، نقيته : اخترته ، الحويطاه : الحويطات ، سواته : صنعته ٠

وسيلة انتقال الشاعر الى الامكنه والاشخاص هي وسيلة المواصلات في هذه البيئة البدويه وهي لا تعدو أن تكون الخيول المطهمة الاصيلة ، أو النوق الحرة السريعة ، ولا يلجأ الشاعر لاقتطاء خياله المجنح للانتقال والوصول الى ممدوحه ، أو الارض أو السكان الذين يود أن يصفهم أو يمدحهم ٠ ونجده هنا قد اختار ناقة ذلولا حرة سريعة من نوق « اخوات عليا » الحويطات المشهورة وقد زودها بخرج ورحل (شداد) صنعته رائعة لانه من النوع الهندى الجيد ٠

(٦،٥) ركابها : راكبها ، فارسها ، نايف : متفوق بفروسيته وشجاعته على اترابه ، يبعد مناياه : يعني طول العمر ٠

ويتصف راكب هذه الناقة الحرة الاصيلة بانه (وهو ابنه صلاح) متفوق على اقرانه بفروسيته وشجاعته وانه من اصول عريقة ماجدة ، ثم يدعو له بطول العمر ٠

(٩،٨،٧) عنوز : أي من قبيلة عنزة العربية ، جموع : قبيلة كثيرة العدد ، ردت : اذا اردت ، يعز الدخيله : يحمي المستجير به ، تنصاه : نصاه قصده ٠

طاح : نزل ، العركات : المعارك والحرايب ، ماحي يلقاه : لا يتغلب عليه احد ، ولا يقوى على منازلته ومواجهته اي فارس ٠

انت يابني من قبيلة عنيزه ، الكثيرة العدد ، والعزيزة الجاه والجانب ، التي تسكن اطراف الجزيرة العربية الشمالية ، وزعيمها هو الشيخ دبشي بن سلطان ، اذا اردت ان تقصده وتذهب اليه ، وهو امير شجاع يعز ويحمي من يستجير به ، واذا نزل ساحة المعركة طارت قلوب الفرسان شعاعا ، ولذا لا تجد من يستطيع منازلته ٠

(١٣،١٠) صيته شهر : شهرته وسمعته الطيبه الذائعة ، ديره : بلاد قطر ٠

الكل ينصاه : يقصده ، الخلفات : النوق ، مبداه : المبدأ ، تابا : تريد ، تبتغى ٠ بمير : بأمير ٠ طرياه : ذكره ٠

والامير صاحب صيت ذائع ، وشهرة عريضة ، في كل قطر وارض ، كالهند وتركيا ونجد والشام والعراق ٠ ونظرا لكرمه الزائد ، فان جميع الناس يرتجون عطاءه الزائد من النوق والخيول المطهمة الاصيلة ، ذلك لان الكرم والعطاء عنده سنة متبعة ٠ وهذا الامير من اقربائك ، وصيته الحسن يرفع الرأس ٠

(١٧،١٥) هرج : تكلم ٠

ثم يوصي ابنه ، الذي هو عنده من احسن عطايا الرب للشاعر ، بعدم مرافقة البخيل والكذاب أو تصديق قصصه ٠ ويختم قصيدته بذكر الله عز وجل على ذات النسق الذي بدأ به ٠

ملحوظة على القصيدة :

نلاحظ أن القصيدة ، سارت على نسق قريب من عمود القصيدة الشعرية في أرياف وبوادي هذه المنطقة الشعبي • فقد بدأ بذكر الله عز وجل ثم انتقل الى ذكر النبي الكريم • وانتقل بعد ذلك الى وصف الراحلة وشدادها (العدو) ، واصلها • وتحدث بعدها عن المرسال او الرسول وصفاته المتميزة ، من حيث الاصل والشجاعة ، ثم وصف الشخص الممدوح تفصيلا ، وبعدها عرج على الحكمة والنصائح التي قدمها سائغة لابنه ، وانهى القصيدة كما بدأ بذكر الله تعالى •

(١٩،١٨) شدة قل الشعر على أصوله • طرياه : ذكره ربعه : قومه وجماعته • الاكاد : الحرب والمعركة الضارية الضروس • النشر : الشذى •

(٢٠) القاف : الشعر ، شد القاف : قول الشعر على اصوله •

يخاطب ابنه صلاح قائلا اعلم انه ليس باستطاعة كل من هب ودب ، قول الشعر الجيد الاصيل ، ولا كل من ابتغي لنفسه شهرة الشاعر وجدها بسهوله •

(٢١) روحة وردة : أي ان الشعر ليس نظما وكتابة فقط •

فالشعر ليس نظما وكتابة كلمات فقط بل هو معاناة وحب وهوى ينبع من قلب موهوب ومعنى •

(٢٢) حتى الورق الذي يكتب عليه الشعر يسأل لمن هذا الشعر يكتب ، واين سوف يحط رحاله وهل الغرض والموقف تتناسب مع جلال الشعر ورفعته •

(٢٣) كما ان القلم يسأل لمن سوف يقدم هذا الشعر ، فيجيب الشاعر : يقدم لمن ذكره ومكارمه ترفع الرأس •

ونلاحظ انه يلتزم القافية في الصدر والعجز •

(٢٤) حر دلاله : الناقة السريعة الاصيلة • نصيناه : نقصده •

(٢٥) الوزر : الوزراه •

(٢٦) احنا : نحن ، حلاله : ملك يده •

(٢٧) المحالة : القحط ، ابن أجود : أحد الكرماء ، حويلاه : قريب منه •

(٢٨) جا : جاء ، تصاله ، قصده •

(٢٩) تنصاه : تقصده •

(٣٠) يبراه : يرافقه •

(٣١) شباله : جمع شبل ، حنا : نحن •

(٣٢) نصاله : قصده ، شوف : رؤوية ومشاهده •

(٣٣) تابا : تبتغي وتريد ، ماواه : مأوى له •

(٣٤) شفيعنا : واسطتنا ، ابعد مناياه : طول عمره •

ان جدك المصطفى عليه الصلاة والسلام هو شفيع المسلمين يوم القيامة والحشر عند الله • نلاحظ انه هنا كذلك يلتزم القافيه في صدر وعجز ابيات القصيده •

(٣٥) شديت : اعداد الراحله للركوب • المشبح بالجنازير : الدب • البلامات : زرد الرسن واللجام • اختار الشاعر الدب راحلة له ، للاقلال من شأن الذي يهجو •

(٣٧،٣٦) لبلب : سريع• تمد : تسير • مرساله هو الطير وركوبته الفار قاصدا الايغال في هجائه •

(٣٩،٣٨) اصحك انتبه • اتوه : تضل • درب‌الحناتير طريق السيارات • خربة العداد : قرية العداد اهزع : اتجه يسارا • شق البلد : سر في وسطها • انده ناد • بنص: منتصف •

(٤١،٤٠) اتفل : ابصق •

(٤٣،٤٢) الرزاله : السوء • صبابير : اكوام • نازع كبرته : يسيء الى شيخوخته • الرديات : السيئات • كلوسته : طاقيته • مطقعة عير : است الحمار • سيس كلمة تركية الاصل بمعنى سيء ودنيء • شومات : الكرم •

(٤٥،٤٤) شوير من أهل المشورة والرأي •خرفان : ناقص العقل • المليحات : الفضائل • الفرارات : الطيور •

(٤٧،٤٦) انخ : استعين • اهل الشومات : من عرف عنهم اكرام الضيوف والعطاء • زين الدخيل : من يحمي المستجير به عندما يدخل بيته • مشرعين المضافات : ابواب مضافاتهم موسعة أبوابها للضيوف •

(٤٩،٤٨) تفزعوا : فزع تعني اعان وساعد • النشامى : هم الرجال الذين يجتمع فيهم شمائل الرجولة الحقة من شجاعة وكرم ونجدة ومروءة ••••الخ •

اعملوا له جلالات : التعزير والتشريب

(٥٢،٥١،٥٠) جيته : زرته أو جئته • عولاب وبرطم للدلاله على التجهم والغضب لقدوم الضيوف ، المساخات : السيئات •

(٥٥،٥٤،٥٣) مير : طعام • بيبان : جمع باب • مقند : جالس وكأنه الكلب المقعي • عيال : شباب • جابو : احضروا • الدر : اللبن•

(٥٨،٥٧،٥٦)بشمي : فمي • قير ما تبقى من‌السوائل كالزيت وغيره من العكر : الذي لا يؤكل ، أراد ان يقول ان الطعـــام اصبح له مذاق لا يطاق في فمه • اللغا : السيرة السيئة • فلح وبدوات : الفلاحين والبدو • ما له حسابات : لا قيمة له •

(٦٠،٥٩) ابغض عليه : يكره • جوه : اتوا اليه • صربه : جماعه • المسايير : الاضياف • يهل دمعه : ينزل • رهيات : غزيرات • المضايف : المضافات يدهن : يحتجن • الصفره : ما يحمل الطعام على طبق أو صينيه من داخل البيت الى الضيوف •

(٦٣،٦٢،٦١) راعيها : صاحب المضافة • لفوه الخطاطير : قدم اليه الضيوف • حصيني المواكير : الثعلب • مسويه : جاعله ، قمارات : يريد ان يقول ان ظاهر المضافه يخدع والمضافة زائفة ولا يجري فيها اكرام الضيف حقا • ثاري : فاذا الحال هكذا •

(٦٦،٦٥،٦٤)نابيه على المناطير : عالية ظاهرة للقادمين • قلات قنابل • يخلنها : تصبح • صبابير : اكوام • زافات : زرافات ووحدانا •

(٦٨،٦٧) يطوين طاب : تسجل بوثيقة تسجيل • يصيح : يبكي لخراب مضافته ، التواطير :

جمع ناطور وهو الحارس • الزعل : الغضب والحسرة على المضافة المهدمة بالقنابل التي استنزلها الشاعر عليها • طاحن عليه النزولات : طاح ، نزل اي اصابه المرض ، والنزولات : الامراض المختلفه •

(٧٠،٦٩) مدينا : سرنا • فلاما : قرية فلاما في محافظة نابلس • يهلي : يقول اهلا وسهلا • الحظار : الحاضرون •

(٧٢،٧١) الشاويش : الرقيب (رتبة في الشرطة) • ما توده : لا يريد • ينده : ينادي قوام : في الحال • هاتلي : اجلبه احضره • همام : سمى المختار بهذا الاسم للتحقير وهو يقصد عكس معنى الاسم •

(٧٤،٧٣) يومن : يوم • جانا جاءنا •

(٧٦،٧٥) شوار : رأى • متعود : معتاد • الرزالات : اعمال السوء •

(٧٨،٧٧) شاف : رأى • قديش : خيول الحراثة • المكلوف : المعتنى به •

(٨٠،٧٩) المرسوم : امر تعيينه مختارا •

(٨١) طلقة الذرعان : السريعة العدو ، شراشبه من قفا شداده : للدلالة على جمال الشداد والرحل ، هذول : هؤلاء • كذبان :كذابون ، فساده : يفسدون في الارض ، محمد : اسم ضابطالصفالمسؤول •

حصل ان سرقت بعض الحاجيات والادوات من خيام الجنود ، وهو ينصح محمد ضابط الصف ان يفتش عن المسروقات عند هؤلاء الجنود الذين يشبهون الرعيان باخلاقهم من سرقة وكذب وبث للسوء •

(٨٤،٨٣،٨٢) دعسان : اسم جندي • شاوردي : اسم جندي دركي آخر • غيران : جمع غور والغور المنطقة المنخفضه ويقصد هنا منطقة سيل الكرك حيث يسكن اهل الجندي شاوردي •

يقول : ياضابط الصف فتش عن المسروقات عند احد الاثنين دعسان أو شاوردى اللذين لهما بالسرقة سوابق ، كما أن آثارالاقدام دليل يقدمه بالاضافة الى سوابقهم بالسرقة ، أي يود أن يقول آثارالذين سرقوا خرجت ودخلت الى خيامهم •

(٨٧،٨٦،٨٥) اصح : انتبه • افطن : راقب خوفا من سرقة جديده • راحت فقاده : فقدت بالسرقة • المعلقه : الملعقه •

يوجه خطابه الى ضابط الصف محمد قائلا : خذ حذرك من اصحاب السوابق الذين قد تصل بهم دناءة النفس لسرقة اوتاد الخيام بعد أن سبق وأقدموا على سرقة ملعقة حامد الذي يبكي ويصيح عليها (لبخله) • كما سرقوا ارغفة الخبز الخاصة والتي لاتزيد عن ثلاثة ارغفة •

(٨٨) يوم الملاقاه : يوم القيامة •

(٨٩) سطار : سطور •

(٩٠) شفيعكو : الشفيع : الوسيط ، المجير •

(٩١) رامي ربه من وراه : عدم الخوف من الله عز وجل •

(٩٣،٩٢) ضي المصابيح : ضوء النجوم : شدلي : أعد الراحلة • المتينة : الراحلة القوية •

(٩٥،٩٤) عدي : كاني · قريص الداب :اللديغ يصيح : يبكي من شدة الالم · رعاة المصاليح : رعاة الاغنام المشهورون بالقدرة على حسن الرعاية ·

(٩٦) ينشدني : يسالني · يجيلي : ياتي الي · المصابيح : بدايات الصباح ·

(٩٧)منلو : من أين لي · ماتطيح : أي تقطع المسافات الطويلة دون ان تضطر ان تنزل عن الراحلة حتى تستريح بين فترة واخرى ·

(٩٩،٩٨) تلفي : تنزل عند · منواك : امنية ، هدف · شوفه : رؤيته ·

(١٠١،١٠٠) المطاويح : الألبسة الجميلة الغالية · المواضيح الاسنان البيضاء الناصعة الجميله ·

(١٠٣،١٠٢) العيان : المريض · العنين : الانين والشكوى من المرض· كلش : كل شيء · مسطر : مسجل بوضوح ·

(١٠٥،١٠٤) القاف : كتابه الشعر على اصوله · فطين : ذكي · اللوافيح : حرنار جهنم ·

(١٠٦) البيت من شعر جرير · الاظعان : جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج · المحزان : الكثير الحزن ·

(١٠٧) الطرب : هنا بمعنى الحزن وهي من الاضداد ·

(١٠٨) الوشل : الدمع · معينا : جاريا ·

(١٠٩) البوق : الغدر · يراعنه : يرافقنه · تمهيدا للغدربه · واجد : اسم الفتاه ·

(١١٠) هوى يم الحموق : اتجه · رغب · يم : نحو · باتجاه · الحموق : قلة العقل وفساد الراي · ويعنى الغدر برفيق الفتاة ليصفو له الجو ·

(١١١) أبو قذيلة : ذات الشعر الطويل والجدائل الجميلة · زملوج : الغزال · فات : دخل

(١١٣،١١٢) التفافيح : جمع تفاحة · شالنه : شال بمعنى رفع الثوب بفعل النهود الجميلة المشدودة · كسابها : الذي يفوز بالزواج منها غصبا أو بالرضى على حد سواء سوف يسعد في حياته كانه في الجنة · أو لعله يقصد انها تشبه الناقة الوضحاء التي لا يستطيع كسبها بالحرب الا الفارس الشجاعالمقدام ·

(١١٤) ماشفت : مارأيت · تنتين : اثنتين ·الاظبي الظباء · زاعنـــي : نفرن عني · ابتعدن ·

(١١٥) فضيه : أسم بنت · عنود الصيد : الغزال · نشمية : فتاة كاملة الاوصاف من حيث الجمال والخلق ·

(١١٦) صبحا : اسم احدى الفتيات · بحضنها العود متثني : كناية عن الجمال ·

(١١٧) مد : صار · مدني سرن عني ·

(١١٨) ينخني : نخا ينخو · يطلب المساعدة في امر صعب · ارخصت : جعلت الروح رخيصه فداء لهن ·

(١١٩) على الصدر حطني : كناية عن الملامسه وما بعدها ·

(١٢٠) بدني : يقصد لو سمح له برؤية النهود الجميلة أو يطل عليهن من عل · منة : المن التقريع بالاشارة الى الصنيع الحسن والاحسان ولكنه يعني هنا الذم بلا شك ·

أ ـ المصدر الأساسي :

١ ـ الشاعر : ابراهيم عبده عماره الصعوب : فقد روى شعره وأنشده مشكورا ، وذكر المناسبة والسنة التي قيلت فيهما القصيدة ، كما شرح الغامض من الكلمات والعبارات ٠

٢ ـ ابن الشاعر : صلاح ابراهيم : حيث قام بتذكير والده ، ببعض القصائد وببعض الأبيات ، كما ساعد في الاحاطة بالمناسبة والسنة التي قيلت فيهما القصيدة ٠

ب ـ المصادر والمراجع المساعدة :

٣ ـ روكس بن زائد العزيزي : الشعر الشعبي في البادية ٠ مقالات في مجلة الفنون الشعبية التي تصدرها دائرة الثقافة والفنون الاعداد : ٤ ، ٥ ، ٦ عمان ١٩٧٥ ٠

٤ ـ روكس بن زائد العزيزي : فريسة أبي ماضي ، أول دراسة علمية للشعر في البادية ٠ المؤلف ، عمان ، ١٩٥٦ ٠

٥ ـ روكس بن زائد العزيزي : قاموس العادات واللهجات والأوابد الاردنية ٠ عمان دائرة الثقافة والفنون ١٩٧٣/١٩٧٤ ثلاثة أجزاء ٠

٦ ـ جميل الجبوري : الأصالة في الشعر الشعبي العراقي ٠ بغداد ، وزارة الثقافة والارشاد ، ١٩٦٤ ٠

٧ ـ محمد ابراهيم جمعة : جرير (٢٩ ـ ١١٠ هـ)٠ القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ ٠

٨ ـ نمر سرحان : أغانينا الشعبية ، في الضفة الغربية من الأردن ٠ عمان دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٦٨، ص ٣١٢ ٠

٩ ـ ياسين رفاعية : مقالـــة ، في ذكراه السابعة ، الاخطل الصغير (بشارة الخوري) ، ذلك الأمير المسافر ٠ مجلة الأسبوع العربي ، بيروت ، آب ١٩٧٥ ٠

الطب الشعبي في الكرك

الطب قديم منذ بدء الخليقة • ولحب ابن آدم في الحياة وتعلقه بها اصبح يجرب عن طريق المحاولـــة والخطأ في سبيل الوصول الى الدواء ، حيث عثر على ادوية من نفس البيئة التي يعيش فيها ، والتجربـــة أم الاختراع • وتداوى بها ابن آدم ، الا أنه كان يعاني الكثير من الصعاب في التداوي بهذا الدواء الجديد الا انهم يقولون (وجع ساعة ولا كل ساعة) وللدين كذلك تاثيره في النواحـــي النفسية والتي غالبا ما يعاني الانسان من الرهبة بالتفكير في الموت ، حيث أن الاديان السماوية لها دورها الفعال في اطمئنان النفوس ، وان لكل اجل ساعة ، وما من فرد الا سيموت وأن كل نفس ذائقة المـــوت ، فالعرب يرحبون بالمـــوت حيث يقولـــون (يامرحبا بساعة لابد منها) •

اي ان الموت ساعة لا بد منها ، وما دامت الحالة كهذه يقولون (اللي ما عنه ما عنه فاهلا وسهلا) ، ولقد اكتشف اجدادنا الكثير من الادوية التي وجدوا فيها النقاهة والكفاية حيث لا تقدم في العلم والطب ، ومع اظلامة عصرهم الذي عاشوا فيه استطاعوا اكتشاف الكثير من العقاقير التي تعالجوا بها وشفوا ، استعملوا النباتات واستعملوا النار لكي تكون دواء ولنحاول الكتابة في هذا الموضوع حسبما تطرقنا وسالنا واستفسرنا وروي لنا فاننا نكتب غير هيابين لانه ما روي عن لسان ابناء المنطقة انفسهم :



الادوية النباتية :

١ ـ الشيح : نبات منعش الرائحة ينبت في المناطق الصحراوية ورقته صغيرة ولونه اشهب يستعمل بعد غليه في الماء في اشفاء المغص المعوي والرمل ٠

٢ ـ الجعدة ـ جعدة الصبيان ـ نبات طيب الرائحة مر المذاق تغلى مع الماء ويعالج به المغص المعوي الحاد ٠

٣ ـ القيصوم : نبات ذو اوراق عريضة له رائحة مميزة ينبت في الاودية ويشفي المغص المعوي والتهاب المعدة وامراض المفاصل ٠

٤ ـ رجلية الحمام نبات ذو اوراق صغيرة وازهاره بيضاء صغيرة ولها سويق احمر كرجل الحمام تغلى مع الماء وتسقى لمن يشكو الرمل ٠

٥ ـ الكركم : يستعمل في حالة الامساك واليرقان ٠

٦ ـ القزحة : نبات ذو اوراق صغيرة له بذور صغيرة سوداء تغلى مع الماء ويضاف اليها السكر والعسل وتؤكل بشكل ترويقة قبل الفطور ويعالج بها من يشكو السعال والقحة ٠

٧ ـ الحرمل : نبات ذو اوراق مدببة ، له رائحة غير مستحبة ٠ وبذوره مستديرة تنشف وتدق وتطحن بعد تحميصها على النار وتخلط مع العسل ويعالج بها القرع ٠

٨ ـ قبة عبد السيد : نبات ذو رائحة عطرة له اوراق صغيرة وبذور صفراء صغيرة يستعمل بعد غليه في الماء للمصاب بالبرد والمغص المعوي وتستعمل كتحميلة في حالات الحصبة وتسمى في الاوساط المدنية ـ بابونج ـ

٩ ـ الكمون : وهي شجيرة صغيرة لها بذور صغيرة شكلها كشكل السمسم وتستعمل لطرد الريح ٠

١٠ـ السنامكة : وهو غير موجود في بلادنا ، ويستعمل لمن قل الاخراج معه ويجلب من بلاد الحجاز ٠

١١ـ خيار شنبر : يزرع في بلاد الحجاز ويستعمل لمن قل عنده الاخراج ٠

١٢ـ العرينة : نبات ذو اوراق صغيرة يستعمل في القضاء على بعض الامراض الجلدية بعد غليه في الماء كالبقع الجلدية البيضاء (البهق) ٠

١٣ـ القريص : نبات ذو اوراق عريضة عليها اشواك مدببة كاشواك الصبار ويستعمل بعد عرضه على النار لاشفاء امراض المفاصل (الروماتيزم) ٠

١٤ـ الحنضل : يستعمل كمسهل ٠

١٥ـ الرقيطاء : نبات ذو سوق طويلة واوراق مدببة وتستعمل في حالات النفاس

١٦ـ اللوف يشبه الرقيطاء ، واقرب الى شكل الفيصلان ويستعمل لاشفاء المغص المعوي وفي حالات النفاس ٠

١٧ـ البعيثران : يستعمل بعد غليه في الماء لاشفاء المغص المعوي والكلوي وله رائحة طيبة ٠

١٨ـ الحلبة : نبات يزرع وله ثمار صغيرة تدق وتغلى وتعطى للمرضعات لادرار الحليب ٠

١٩ـ بزر الخلة : تستعمل بعد غليها في حالات تصلب الشرايين والمغص الكلوي ٠

٢٠ـ الثوم : وتعالج به الغازات المعوية ٠

٢١ـ الاقحوان نبتة ساقها مضلعة عارية وقليلة الفروع واوراقها مجنحة ومسننة لها رائحة كرائحة الكافور تستعمل لمعالجة الروماتيزم والنقرس ، وللنزلات المعوية الخفيفة ٠

٢٢ـ حصا البان (حصلبان) : (بخورة النصارى) نبتة يبلغ ارتفاعها ٥ر١م موجودة في بلادنا سطحها من الاعلى اخضر غامق مذاقها مر لها ازهار نيلية اللون او زرقاء وتغلى مع قشور البلوط لمعالجة الانصبابات في كيس القلب واضطراباته كما تستعمل لمعالجة اضطرابات الحيض واحتقان الصفراء وسوء الهضم ٠

٢٣ـ اليانسون : عشبة سنوية ساقها رفيع مضلع تحمل أوراقا مسننة مستديرة الشكل زهورها بيضاء وثمارها صغيرة سمراء تستعمل طبيا لتسكين المغص عند الاطفال والكبار ويقوي المبايض عند النساء في سن الياس كما يستعمل لادرار الحليب ٠

٢٤ـ البصل : وهو نبات معروف ، يستعمل في التاثير على الدورة الدموية وهو مدر للبول والصفراء يستعمل لمعالجة الاورام وتسكين الام الاطراف المبتورة بطليها من العصير الطازج ويستعمل لطرد الغازات المعوية وتليين الباطنة وطرد الديدان ومعالجة البواسير ٠

٢٥ـ شرابة الراعي ٠ الدبق ـ وتوجد في المناطق الحرجية وتستعمل كمدرة للبول ويعالج بها التهابات التنفس ورمل البول ٠

٢٦ـ الحندقوق : نبات اوراقه مثلثة ٠ ازهاره عنقودية ، عطرة الرائحة ، تستعمل لمعالجة الاورام الصلبة غير الخبيثة كثدي المراة ، وتستعمل لمعالجة النزلات الصدرية وتسكين المغص ٠

٢٧ـ الخبيزة : تستعمل لمعالجة القروح وتستعمل كغرغرة لالتهاب اللوزتين ٠

٢٨ـ الخردل : نبات ذو اوراق مسننة وله بذور خشنة تستعمل كمقبلة ومساعدة للهضم وتستعمل في حالات احتقان الرئة وعسر التنفس والدوار ٠

٢٩ـ الخيار : يستعمل كعصير لتنقية جلد الوجه واكسابه نضارة ولهذا فان الوجه يطلى بالعصير ليلا وحتى اليوم التالي ـ والخيار مع اللبن كسلطه ، يسكن العطش ويخفف الاضطرابات العصبية ٠

٣٠ـ رجل الذيب : نبات زاحف طوله حوالي ١/٢ متر أوراقه صغيرة وغزيرة يستعمل لمعالجة الاكزيما وحرقان البول ٠

٣١ـ الزعرور : نبات ذو شوك له زهور وردية وحمراء له رائحة حسنة نوعا ما ثماره كروية ـ يستعمل كمسكن للقلب وتصلب الشرايين وطنين الاذن والأرق ٠

٣٢ـ الزيزفون : تستعمل عناقيد ازهاره وقشرة اغصانه لمعالجة الجروح والقروح كما يستعمل لازالة الروائح الكريهة من الفم ٠

٣٣ـ عود السوس : تسحق اعواد السوس وتستعمل كشراب وله فائدة جلى لتليين الباطنة وادرار البول ٠

٣٤ـ الزعتر : نبتة برية ذات رائحة ذكية يستعمل لمعالجة الزكام والتهاب الفم وازالة النزلات المعوية والصدرية .

٣٥ـ الصفصاف : يستعمل وهو مغلي لمعالجة الجروح والمضمضة لمعالجة التهاب اللوزتين ويفيد بمعالجة نزيف المعدة والأمعاء .

٣٦ـ عصية الراعي : اوراقها معقوفة ومدببة تستعمل لوقف النزيف .

٣٧ـ الفوه : اوراقها مسننه وناعمة تاتي على شكل حربة وغير معروفة في بلادنا الا انهم يستعملونها لمعالجة الحصوة في الكلى .

٣٨ـ الكرفس : نبات ذكي الطعم والرائحة ينبت في المجاري المائية والجداول اوراقه مسننة ومجنحة ويؤكل غضا ويعالج به امراض الضعف الجنسي والعصبي .

٣٩ـ النجيل : ينبت في سفوح الجبال والحقول اوراقه صغيرة متشابكة يضر الحقول يفيد لاشفاء التهاب المثانة ومنشط وذلك بتخزين جذوره في ماء بارد ويشرب منه مقدار معين في كل يوم صباحا .

٤٠ـ النعنع : يستعمل لازالة جفاف الفم .

هذه النباتات التي تستعمل لاشفاء العديد من الأمراض قد اكتشفها اجدادنا الاوائل عن طريق المحاولة والخطا الى آن لهم صحتها وجربت حتى في زمن الطب الحديث فكان لها شرعيتها في اشفاء بعض العاهات .

الامراض وطرق معالجتها :

١ ـ حصر البول : ويعالج ببزر الخلة والبقدونس مع الفجل ورجلية الحمامة .

٢ ـ الباسور : يعالج بحرق الضفدع او سرطان الماء (ابو جنيب) ثم يسحق ويعجن مع دهن الدجاج ويدهن به الباسور ومنهم من يقول انه يغلى مع الشيح والقيصوم حيث أن هذا المركب الثلاثي يستعمل كمعقم .

٣ ـ السل : ويعالج بالكي على الصدر بالقدحة ومنع المريض من تناول الاغذية سوى الماء والحليب .

٤ ـ الزهري : حيث يسمونه الفرجان وهو عبارة عن تقيحات على القدمين والصدر والجهاز التناسلي للمراة والخياشيم ويعالج مريضه بالتحمية عن اللحوم والخبز حتى ولا اي طعام مطبوخ وانني اعارض ما جاء في كتاب مادبا وضواحيها للسيد روكس العزيزي الذي ذكر انه يعالج بملغم الزئبق حيث لم يكن الزئبق معروفا في ذاك الآن انما يعالج بنبات العرينه .

٥ ـ الحمى : وتعالج بالشيح ونبات الكرية بعد غليها ويميل الاطباء الشعبيون الى الكي بالنار ضد هذا المرض في مفترق الراس وبين الاصابع .

٦ ـ الحصبة : ويعالج المريض بان ياكل شوربة العدس مع السكر وتكحيل عينيه بعصارة البصل وتدفئة المكان الذي ينام فيه .

٧ ـ الرمد ويعالج بالترمز او نبات المحفصف كقطرة للعين ٠

٨ ـ السمسية ـ او الملعونة ـ او الستكوية وهي مرض خبيث يخرج على شكل نقط صفراء وتكبر وتعالج بالكي وقد تكبر هذه النقط لتصبح بقعة تؤثر في شكل الوجه وتعالج بالشكل التالي يؤتى بالمسمار ثم يوضع في النار وعلى غير علم المصاب يوضع المسمار بسرعةوهو حار فيوسط راسه ثم في عنقه وبهذا تكون البقعة المتنفخة قد انفجرت وسالت مادتها الخبيثة ٠

٩ ـ امراض الطحال : وتعالج بالجعدة ٠

١٠ـ القرع : ويعالج بحلاقة الراس ودهنه بالحناء والزيت ٠

١١ـ العنة ـ الطربال ـ : اسقاء المريض عدة جرعات من الخوخ البري والعسل ٠

١٢ـ السعار يعالج بحرق الزرناح مع الحليب وتناولها ٠ والزرناح هو حشرة تشبه الذبابة توجد على ازهار بعض النباتات صيفا ٠

١٣ـ الجدري : ويعالج بتلبيس المريض رداء احمر مع تدفئة المكان وكان قد قيل (ما زين الا بعد جدري) اي انه لايكون هناك وجه أبيض الا بعد اصابة الشخص بالجدري ٠

١٤ـ مرض العيون : ويعالج بالجنزاره مع صفار البيض ٠

١٥ـ الصداع : ويعالج بحرق جلد القنفذ او عظام الكلب على نار الكيتلا والشيح ثم تدق العظام والجلد وتحاس بالزيت وتوضع على المكان المصاب ٠

١٦ـ التقريطة : تعالج بمستخلص البعيثران ٠

١٧ـ الزكام ويعالج باستنشاق السكر المحروق او البصل المشوي ٠

١٧ـ الجروح ـ النزيف وتعالج بالقهوة او البول او الرماد ٠

١٩ـ التهاب الاذان والخشم والفم : وتعالج بقطرات من زيت الزيتون او بقطرات من قبة عبد السيد بعد غليها ٠

٢٠ـ احتقان الكبد : ويعالج بالوسبا المغلية وهي نبات ذو زهور صفراء صغيرة ٠

٢١ـ المغص : ويعالج بمستخلص الجعدة ٠

٢٢ـ الحزاز : ويعالج ببزر الفجل والعدس أو الزعوط ٠

٢٣ـ العلق : وهي الدودة التي تعيش في مياه الينابيع ولربما تصيب الانسان والحيوان على حد سواء وتعالج بماء السجاير أو التنباك او رغوة الصابون ٠

٢٤ـ امراض العصبي والاورام والعصبي في الساقين والظهر : وتعالج هذه بالاريص حيث يعرض على لهب النار ويضرب به المكان المتورم ٠

٢٥ـ الدودة الوحيدة : وتعالج ببزر القرع المغلي مع شيء من الزيت وتؤخذ كترويقة او خيار الشنبر المغلي أو يعمل غطاس ماء ساخن للمصاب ٠

٢٦ـ الاسهال : ويعالج باللبن الرايب مضافا اليه الثوم أو جرعات من خشب الراوند ٠

٢٧- الريح : ويعالج بالكمون الأبيض والكزبرة والوسبا .

٢٨- الكسور : ان اشهر طبيب شعبي في الكرك يعالج الكسور هو السيد خلف المعاسفه الذي حدثني كيف تتم عملية علاج الكسور وانه قد اشفى ما لا يقل عن ثلاثمائة اصابة من الكسور حيث قال : انه ينظف مكان الكسر بالماء والصابون ومن ثم يحاول مواساة العظام المكسورة بعضها لبعض ثم يصنع لصقة من الماء والصابون والبيض بعد مواساة الكسر ثم يربط اربع لوحات من الخشب تدعى جباير او شبايح ويشد الرباط ثم يعود للكشف عدة مرات عن الجرح متتالية . وحيث قال ان البيض والصابون يحل محل الجبصين المستعمل في الطب الحديث .

٢٩- الفكك : حيث يكون اما في اصابع الرجل او اليد ، وتعالج (بالمرجة) ، والمرجة عملية تتم بتدليك المصاب بالماء الساخن والصابون النابلسي ثم يشد عليه الرباط ليرخى بعدها فترات متتالية .

٣٠- تشويه الوجه : ويعالج بحليب الحمارة - الاتان - مع قشر بيض النعام ودهنها .

٣١- عسر التنفس : يعالج بمسحوق الشيح ودخان السكر .

٣٢- السعال والنحة : ويعالج بحليب الحمارة او الكلبة وغيرها دون تأثير نفسي على المريض وعلى غيرعلم منه او صفار البيض على شكل ترويقة صباحية قبل الفطور .

٣٣- الخنيزيرة : وتعالج باكل المرار حيث هو نبات مر ذو اشواك وسيقان حلوة وخلاصة الجعدة ولحم القنفذ .

٣٤- الجرب : ويعالج بدهن المكان بعصارة الثوم والاقحوان .

٣٥- القروح : وتعالج ببزر الكتان والقريصي والحندقوق والجزر .

٣٦- التبول ليلا في الفراش : يعالج بمستخلص البلوط .

٣٧- الرمل : ويعالج بالفاصولية ورجلية الحمامة ومستخلص ماء الشعير .

٣٨- ضعف الشهية ويعالج بالبصل والثوم . كمساعد للاكل .

هذا بالنسبة لبعض الأمراض التي تمكنا ان نحصل على اسمائها واسماء علاجاتها ، وبالرغم من ان الاهلين لا يزالون يستعملون هذه الاعشاب والنباتات فقد تقدم الطب وانشيء في الكرك مستشفى للحكومة يقوم على صيانته اطباء بارعون من خيرة شبابنا ، ومستشفى آخر هو المستشفى الايطالي - الطلياني - ، بالاضافة الى انهناك عدة عيادات طبية في اكثرية القرى حيث يكون المسؤول عنها احد الشباب المثقفين صحيا بالاضافة لزيارة الاطباء لتلك العيادات مرتين كل اسبوع وعلينا ان نذكر المواقف المشرفة التي تقوم بها مديرية صحة محافظة الكرك في الحملات الطبية الى القرى للتطعيم والفحوصات والمعاينات المستمرة .

واني اذ اشيد بالطب في الوقت الحاضر حيث اصبح الفرد في معزل عن العاهات الغريبة وما من عاهة تذكر في مكان ما الا وكان رجال الصحة لها بالمرصاد فلن أنسى حملات التطعيم التي تجوب القرى يوميا ضد داء السل والتفوئيد والحصبة والجدري وغيرها من الامراض التي يستعصي علاجها شعبيا . وغيرها من الامراض المعدية .

الأمراض الخرافية وعلاجها المشابه :

كثيرا ما نسمع عن اساطير خرافية لدى ابناء وبنات البادية حتى وفي الأرياف ان فلانا مرض مرضا مريعا حين سقط عن دابته او نام في مكان معين ولم يصح نفسه الا وقد اختل وغيرها ... ، ومن هذه الأمراض الخوفة والرعبة وغيرها وقد استعملوا لهذه الحالات علاجا يسمونه (الرشوش) وقد تتم عملية الرش هذه على ثلاثة ايام متتالية وقد حدثت من قبل اناس معروفين ونساء لهن دراية في هذا الموضوع عن عملية الرش ، حيث تقوم التي تنفذ العملية بهذه الكلمات حينما ترش المكان الذي سقط فيه الراكب عن دابته او المكان الذي نام فيه المصاب :(ياسامعين الصوت ، صلو على النبي ، اولكو محمد وثانيكو علي وثالثكو فاطمةبنت النبي ، وياهند الهنود . الغايب حضروه ، النايم اقعدوه ، انا دخيلة عا لمال والعيال ، خذوا هديتكو وفكوا اسيرتنا ، فكوا فلان ابن فلانه خذوا عليق لخيلكو، خذوا ملح لزادكو ، خذوا حنا لولادكو خذوا بخور لعجامكو ، انا دخيلة عا لمال والعيال عا لحاضر منهم والغايب)

ويكون هذا الرشوش بمثابة فدية او هدية ان سبب هذا المرض الخرافي حيث هو يتكون من ماء وملح وشعير وبخور وحنا وغيرها .

الحجاب :

وهناك على وجه آخر بخلاف الرش يلجا بعضهم الى الفتش عند العرافين وهؤلاء يسمونهم (الخطباء) وهم الشلة الذين يلجاون الى السحر والحشر ، حيث حين تقديم المريض يذكر اسمه واسم امه فقط (فلان بن فلانه) حيث يقوم الخطيب بعمل الحجاب مع كتابة رموز وطلاسم لاتفهم وهذا نوع وحظي بالله واعوذ بالله نوع من الدجل والغش والخداع ومعالجة المريض نفسيا ، ويلجا بعض الخطباء والسحره الى معالجة المريض بالضرب ودق الطبول حوله حتى تخرج الارواح الشريرة حسب اعتقادهم ومن هؤلاء العرافين المعروفين بدجلهم ويلجا بعض الخرافيين اليهم ، يدعى احدهم - العجلوني - اليماني - وقد امضيا دورا في هذا الخداع والدجل ولا يزال طبيب شعبي آخر يقطن الآن مادبا ويقصده الكثير وهو (الكريدي) حيث يميل هو الآخر لنسج الخرافات .

علاج العشمة :

والعشمة معناها ان يشتهي الانسان طعاما لايتمكن الحصول عليه ويصاب على اثرها باسهال حاد ويعالج بتقديم اللحوم له من غير البسمله - قول بسم الله الرحمن الرحيم - وعلى الذي يقدم الطعام له ان يكون امراة ، كما يعالج المعشوم بالكي على سرته او خاصرته من الجهة اليمنى .

علاج الخوفة أو الرعبة :

ولربما يمرض الانسان وهما من مريض رآه او ميت ارعبه منظره او انه يخاف من دراي الدم فهو يرتعب ويخاف ، ساعتها يعالج المريض بآنية تسمى (طاسة الروعة) حيث يوضع حجر يدعى (حجر الروعة) حيث هو حجر اسود لايضر ولا ينفع - ويوضع مع

الحجر في الطاسة حساء (شراب من شراب اللحم) شريطة ان يكون الحجر في آخره وفي قعر الطاسة ، وحينما يشرب المريض لربما يخاف او يرتعب حينما يرى الحجر الاسود فهو يشفى لأنه على حد قولهم (خريعة بتفـك خريعة) ، والخريعة هي الحالة التي يخاف فيها الانسان من شيء فهو لايشفى الا بعد مرأى شيء يخيفه ، اما بالنسبة لطاسة الروعـة فانها اناء معدني كتب عليه حروف قرآنية وايات كريمة مختلفة ومن شروط استعمالها أن لا تراها الشمس وان لا تعرض في النهار .

ان هذه العلاجات وغيرها من العلاجات لا أنكر انها خرافية مائة بالمائة حتى ولو شفي المعالج بها فانه يكون علاجا نفسيا لا اكثر ولا اقل ، روى لي الصيدلي يوسف سانوسيان : صاحب صيدلية مؤاب في الكرك أنه جاءت يوما عجوز من الريف الكركي تطلب دواء لمرض اصابها وما عليه الا أن اعطاها ورقة مراجعة لتراجعه في يوم آخر وذلك لكثرة اشغاله في ذلك اليوم وما كان من العجوز حين اخذت الورقة وبعد وصولها اهلها أن وضعت الورقة في وعاء ماء وشربته وصدف ان شفيت وكانت ورقة المراجعة هي الدواء ، وبعد عدة ايام جاءت العجوز وهي تحمل خروفا ورطلين من السمن واللبن كهدية للصيدلي نفسه ولكن لماذا ؟ لأنه عالجها ، ولكن كيف هو العلاج ، العلاج هو تلك الورقة التي اعطاها اياها وقد شربتها ظنا منها أنه هذا الدواء ، اذن هنا الحالة نفسية لا أكثر ولا اقل .

طعمة المحبة :

لقد ابدع الاجداد في الكثير من النواحي الا أن هناك اشياء يقف الفهم عنها حائرا مثل هذا النوع من العلاج ، لكني لا استطيع اعادة هذه النواحي التي لاتدرك الا الى الوضع الجامد الذي كان مسيطرا او الى التقليد وما الى ذلك من اشياء لايمكن ان يتصورها المدرك فهذه طعمة المحبة التي تنتج عن خوف المراة من انصراف قلب زوجها عنها فهي تضع له هذه الطعمة الخرافية السامة تلك المؤلفة من (دماغ حمار ـ مات حديثا + رئة عنز صبحا + الجلد الموجود بين عيني العنز وقطعة مـن الاذن اليسار) جميعا تجمع وتحرق ثم ترش على دجاجة مشوية او قطعة لحم مشوية ويرش عليها كذلك رماد يسمى (حجاب المحبة) كان قد اخذ من عند اولئك الخطباء ، وتعتقد النساء أن هذا الطعام ربما يصرف قلب زوجها عن حبه للأخرى ويصبح حبيبا لها وحدها وتشك في ان هذا يجعل من زوجها حمارا مطعوما مسقيا لا يفكر الا بها ولكن نتيجة هذه الطعمة معروفة وهي الموت البطيء المحتق لذلك الزوج ، حيث يبدأ الرجل بمعاناة المرض شيئا فشيئا وينصرف همه الى الجلوس في بيته وعـدم مغادرته بتأثير هذا المرض وعلى هذا فان المراة تشك في ان زوجها اصبح لايفكر الا بها ، كيف لا وهو لا يغادر البيت الذي تسكنه ولربما تؤدي هذه الطعمة السامة الى الوفاة ... وحتما توفي الكثير .... ؟ !

وقبل الانتهاء من هذا الموضوع لا انكر ان هذه العلاجات الخرافية والبدع التي تـدخل مجال اللاشعور لا تزال تستعمل ولكن على نطاق اضيق حيث تقدم العلم والطب يقلل من أهمية تلك الخرافات .

مركز المرأة في الوسط الشعبي الكركي

عندما نحاول أن نرصد صورة المرأة في المأثورات الشعبية فاننا نجد جانبين مختلفين للصورة :

الأول يرقي بمركز المرأة الى مركز الرجل ، والثاني يضعها في موضع متخلف مذموم ٠

ولنبدأ بالجانب الأول ٠

تتصرف المرأة في غياب زوجها بما يحفظ كرامته وشرفه وحقوقه الاجتماعية ، وبذلك تحوز على ثقته وعلى احترام المجتمع ٠ ويمدح الناس مثل تلك المرأة فيقولون :

الفرس من الفارس ، بمعنى أن الرجل الكريم يستحق امرأة طيبة شهمة وعفيفة ٠ ومن أهم مايفتخر به الناس في الوسط الشعبي الكركي احترام الضيف وتكريمه ، ولذلك فانه اذا ما كان صاحب البيت غائبا وجاء الضيوف فان المرأة تدعوهم للدخول الى البيت وتناول الطعام على « كيس ابو فلان ٠٠٠ جوزها » وهذه الظاهرة تدعونا للتأمل فيها من زاويتين فمن الزاوية الأولى نرى المرأة في وضع تصل فيه الى مستوى الرجل الذي يستضيف الرجال ويرحب بهم ويكرمهم ٠ وفي هذا المجال يقول الناس : «بنت الرجال ما بتستحي من الرجال» وذكرت لي السيدة نايفة المجالي ان شيخة من العشيرة اعتادت أن تستقبل الرجال وتتحدث معهم ٠ ويأتي الرجال الى مجلسها والذي لا يميزونه عن مجلس اي شيخ آخر ويقوم احد الغلمان بصب القهوة للزوار ٠ وذكرت لنا امرأة من فقوع انها كانت تستضيف



القطار[1] وزوجها غائب وايضا « بتغالط وجوزها غايب » اي انها تذهب لتجادل الرجال في المضافة في حق زوجها في استضافة الضيف مثله مثل سائر رجال العشيرة · وهي ان قصرت في المغالطة فانه تقصير في اثبات حق زوجها ·

ومن الزاوية الثانية نرى ان المراة تدعو الضيوف على « كيس ابو فلان زوجها » ، فالمراة لا « كيس » لها اي لاتملك الثروة على الرغم من انها تتعب وتشقى الكثير في سبيل العناية بالبيت والماشية والاطفال وخدمة الزوج الى غير ذلك من شتى الخدمات ·

من نساء الكرك من ارتقين في احوال عديدة لمرتبة الرجل ، فشاركن في الغزو وقاتلن مع رجالهن في ثورة الكرك عام ١٩٠٨ لدرجة ان بعضهن نفين مع رجالهن مثل بندر ابنة فارس المجالي[2] التي قارعت مع زوجها ارفيفان المجالي عميد الكرك في ميدان المعركة ·· وقد ولدت ابنها حابس في المنفى وسدته بهذا الاسم كذكرى للمنفى ·

اما الجانب الثاني الذي يوحي بانحطاط مركز المراة وتخلفها فهو جانب موروث ولاشك انه متحدر من النظرة العربية الجاهلية للمراة التي ترى في المراة مجرد شيء من مقتنيات الرجل ومما ملكت يمينه · ويحسن بنا ان نرصد هذه الصورة المتخلفة في الممارسات الشعبية في هذا المجال :

★ اذا اساءت المراة التصرف شتمها الناس قائلين : « يلعن ابو اللي قانيها » ، والشتيمة هنا تنصب على الزوج الذي يقتني المراة ويضمها الى بيته وتفوح الشتيمة بمعنى كبير هو ان المراة ليس لها شخصية اعتبارية وهي مجرد تابع للرجل · ويذكرنا هذا التصرف من جانب الناس في الوسط الشعبي بتصرفهم ازاء دابة جنحت الى بستان واتلفت مزروعاته ، وفي هذه الحال فانهم يصبون اللوم على الرجل الذي يقتني تلك الدابة ·

★ يعاب الشخص الذي تربى على يدي امراة ارملة ، فيقال : فلان «سبعة ·· تربأة عورة خسيس»[3] وهم يعنون بذلك ان الانسان الذي يربيه والده ينشا كريما شجاعا ، اما الذي يموت والده وتربيه والدته فبعكس ذلك جبان وبخيل نظرا لانه تربى في جو من الحرمان والخوف ، فالمراة في الوسط الشعبي لا تملك الجراة ولا القدرة على الانتاج والعمل ومقارعة الرجال بسبب نظرة المجتمع اليها ·

★ يندر ان تجد رجلا في الوسط الشعبي من يستشير امراته في اموره الحياتيه · والقاعدة في هذا المجال :

« شاوروهن وخالفوهن » · ويعاب من يستشير «مرته» في امر ما فيقولون عنه : «فلان لعنة الله عليه شوير مرته » ·

★ عندما كان العريس الكركي يدخل على

---

(١) فاردة العرس · الموكب الذي ينقل العروس الى عريسها ·

(٢) نصر المجالي : مخطوط التراث الشعبي في الكرك ·

(٣) نصر المجالي : التراث الشعبي في الكرك (مخطوط) ·

عروسه فانه يومىء بعصاة على راس العروس دلالة على سلطته العليا في البيت [1] .

★ لاحظ « ابو مغوز » ان النساء في الوسط الشعبي يقمن اهمية خاصة للخرافات والخزعبلات بمقدار اكبر مما يقيمه الرجال من وزن لهذه الأمور .

دور المراة في العمل

في قرية فقوع توقفنا في ساحة منزل حيث جلست امراة شابة تشتغل بدأب شديد على « نول » لنسج « شقة بيت شعر » ، ووقف بالقرب منها رجل يتكيء على الجدار ويستمتع باشعة شمس ذلك اليوم الذي اخذت تهب فيه رياح باردة على مرتفعات الكرك . وسالت الرجل اذا كان يتقن غزل الصوف ونسجه ، فاجاب باستغراب وكلمات تفوح منها رائحة السخرية قائلا ان مثل هذا العمل هو من اختصاص المراة ولا دخل للرجل فيه . وكان ذلك مدخلا لحديث طويل معه عرفت منه ان الرجل في محافظة الكرك يعمل في الزراعة والتجارة والبناء ، وتعاونه المراة في هذه الأعمال لكن المراة تقوم باعمال كثيرة وحدها ودون معونة الرجل ومنها :

★ المراة مسؤولة مسؤولية كاملة عن تربية الأطفال ، العناية بهم ، ومساعدتهم على التكيف مع الحياة اليومية .

★من مهمة المراة الأساسية جمع الوقود ، فهي تخرج للبرية لتجمع الحطب الذي تستغله في اعداد خبز الصاج ، كما تقوم بجمع روث الحيوانات على اختلاف انواعه لتستغله كوقود للطابون .

★ تقوم المراة بصورة اساسية باعداد ثيابها وثياب ابنائها وبناتها . وتعلم ابنتها ما توارثته عن امها من فنون الخياطة والغزل والنسيج والتطريز . وهي تقوم ايضا بصناعة مواد منسوجة من القش مثل اطباق القش التي تحمل عليها ادوات الطعام والطعام واواني القش التي تستعمل لحفظ الحبوب والثمار والخبز ... الخ .

وفي البناء يكون للمراة دور كبير ، فهي تعد الطعام للفعلة وتساعد في نقل الماء وبعض ادوات البناء . وعندما يفرغ الرجال من اقامة البناء وانجاز « العقد » ياتي دور المراة في « تطيين » الجدران من الداخل والخارج ، وكذلك في عمل طبقة الطين التي تغطي سقف « العقد » ، وارضية البيت ايضا .

وتقوم المراة بصناعة الخوابي (الكواير) وهي خزان من الطين تبنى داخل البيت لحفظ الحبوب . كما تبني المراة بيتا متواضعا للدجاج و « جرونة » النحل .

وتحمل المراة أدوات البناء هذه من مسافات بعيدة ، فتحضر الماء من نبع القرية «والجص»

---

(١) يجوز لنا الاعتقاد بأن الانسان البدائي وفي عصور الهمجية كان يضرب زوجته في هذه المناسبة لفرض هيبته وزرع الخوف في قلبها بقصد أن تقوم هي من جانبها بخدمته واحترامه . وتقول حدوتة شعبية أن رجلا قطع رأس قط عندما دخل على زوجته كظاهرة يرهب بها الزوجة ويفرض سلطته عليها .

من حفر في اطراف البلد ، اذ تحفر حجارة الجص وتشويها ثم تغمرها بالماء حتى تتحول الى كلس ·

وتزخرف المراة جدران البيت بادوات من القش ، كما تقوم بتعليق مواد مانعة للشياطين والحسد مثل الحرمل الذي هو اشبه بمثلث من حبات الحرمل المنظومة بخيوط يعلق في واجهة البيت الداخلية ، وكذلك تصنع المراة ادوات اخرى مثل الحجاب ، البيضة المفرغة ، شكل من حذوة الفرس ··· الخ وكلها ادوات لها اغراض زخرفية ومعتقدية في نفس الوقت ·

ضرب المراة وتاديبها :

يبيح العرف المتوارث لدى الناس في الوسط الشعبي الكركي للرجل ان يضرب امراته بقصد التاديب · وهو يضربها في العادة كلما اغتاظ منها ، او كلما احس بانها قد حادت عن الصواب في اي امر ·

ولضرب المراة حدود متعارف عليها ، ويقول الناس في هذا المجال :

« الرجل اله اللحم ماله يكسر العظم » [١]
اي ان الرجل من حقه ان يضرب المراة بقصد التاديب في حدود ما يؤلم اللحم ولكنه لا يستطيع ان يكسر عظم المراة دون ان ينجو من عقاب اهلها ·

وكذلك فان اقدم رجل على ضرب امراة حبلى (سواء كانت زوجته او سواها) وتسبب في اجهاضها فانه يفرض عليه دية رجل[٢] ·

واذا اشهر رجل السلاح في وجه امراة بقصد الثار فان حقه يسقط نهائيا ولا يعود للمطالبة به[٣] ·

وروت لي امراة كركية ان امراة تزوجت من رجل ظالم ظل يضربها ويسيل دمها لاتفه الأسباب ، فذهبت المراة المسكينة الى رجل عرف بقدرته على كتابة الحجابات التي تحبب الرجل بزوجته وكتب الرجل حجابا لتلك المراة فوضعته في « حطتها » · وذات يوم جاء الزوج وضرب المراة في راسها فسال الدم حتى لطخ الحجاب ··· وعندما تحسست المراة حجابها ووجدته غارقا في الدم توقفت عن البكاء والصراخ وقالت لزوجها :

– الله وقعك ··· سيدي بقطع رقبتك[٤] ·

المغتاظة :

وهي المراة « الزعلانة » او «الحردانة » ، وتعني المصطلحات هذه المراة التي تغضب لما يلحق بها من سوء معاملة ، فتترك بيت زوجها وتنضم الى بيت ابيها او اخيها او اي من اقاربها المقربين اذا لم يكن لها اب او اخ ·

والأسباب التي تدفع المراة الى ان «تحرد» هي :

★ ان يضربها زوجها ضربا مبرحا او ضربا يؤدي لكسر او عاهة ·

---

(١) عن عبد الله الكركي ·

(٢) نصر المجالي : التراث الشعبي في الكرك (مخطوط) ·

(٣) المرجع السابق ·

(٤) أي أن الشيخ الذي كتب الحجاب سيتسبب في ايذاء الرجل نظرا لكرامة الشيخ عند الله على حد اعتقاد المراة ·

★ ان يضايق اهل الزوج المراة لدرجة لا تستطيع ان تعيش معهم ٠

★ وقد « تحرد » المراة محتجة بامور ما رغبة منها في الخلاص من زوجها ٠

★ يتم في الوسط الشعبي زواج باسلوب البدل ، اذ يتزوج شخص اخت شخص اخر ويعطيه أخته بالمقابل ٠

في مثل هذه الحالة تسمى كل من العروسين بديلة للأخرى ٠

ويحصل ان تحرد واحدة من البديلتين فيكره اهل البديلة الأخرى ابنتهم على الحرد ٠

وتظل المراة الحردانة في بيت اهلها ، ولا تستطيع العودة لبيت زوجها ـ وان ارادت ذلك ـ الا بموافقة الاهل ٠

ومن الممكن ان « تحرد » المراة فيسارع اهلها الى اعادتها لزوجها وبيت الزوجية رغما عن ارادتها ، وذلك رغبة منهم في الحفاظ على العلاقات الطيبة القائمة بين اسرتي الزوج والزوجة ، وحتى لايصبح الموضوع مضغة في الأفواه والألسنة الشامتة ٠

ولا يستطيع الزوج الحضور الى بيت صهره عندما تكون زوجته حردانة الا بموافقة اهل الزوجة ٠

وتعود الحردانة الى بيت زوجها بالطريقة التالية :

يرسل الزوج او اهله جاهة الى بيت صهره وعندما تقدم القهوة للجاهة فانها تمتنع عن تناولها ٠ وهنا يسالهم صاحب البيت عن سر امتناعهم عن تناول الطعام فيظهرون رغبتهم في اعادة الزوجة الحردانة الى بيتها ٠ وهنا قد يقول صاحب البيت :

ـ اشربوا قهوتكم ٠

اشارة الى موافقته على اعادة الزوجة الحردانة ٠

وقد تعود الجاهة خائبة ٠

وفي مركز الشابات بالكرك روت لي سيدة كركية في الخمسين من عمرها حادثة «حردت» فيها امراة مدة سبع سنوات ٠

وقالت ان اهلها بنوا لها بيتا عندهم واقامت فيه طيلة السنوات السبع ٠ وشرحت السيدة الكركية السبب في طول مدة « حرد » تلك المراة فقالت ان الزوجة الحردانه كانت من المعايطة ، اما الزوج فكان من المجالي ٠ وكانت الأسرتان قد اتفقتا عند بدء الزواج ان يشمل المهر : النقد وبنتا اخرى تعطى لأخ العروس عندما تكبر ٠ وتم الزواج ٠ وعندما آن الأوان لزواج البنت التي اعتبرت جزءا من المهر من أخ العروس رفض اهل البنت تزويجها وهكذا « حردت » العروس انتصارا لقضية عشيرتها ٠

دام « الحرد » سبع سنوات متتالية ٠ واخيرا حلت المسالة بان تم تزويج البنت (التي اعتبرت جزءا من المهر) من ابن الزوجة الحردانة ٠

وقد يتبادر للذهن سر رفض اسرة تلك البنت لتزويجها من اخ العروس وقبولهم زواجها من ابن العروس ٠ والسر يكمن في انهم لو زوجوا البنت لأخ العروس فان حصتها من الميراث ستنتقل للعشيرة الثانية ، بينما تظل تلك الحصة لنفس العشيرة فيما لو زوجوها من ابن العروس الذي هو ابن العشيرة ، واما اخوها فهو ابن العشيرة الأخرى ٠ والناس يقولون في هذا الصدد :

« ليش نعطي خيرنا لغيرنا ؟ » ٠

المرأة كزوجة ثانية :

ذكرت لي سيدة كركية الدوافع التي كانت تدفع الرجل في الكرك للزواج من أكثر من امراة واحدة ، فقالت ان طبيعة الحياة في الجيل الماضي كانت تفرض على الفرد ان يحشد عددا كبيرا من الأبناء والأقارب ليستطيع بسواعدهم وقوة سلاحهم أن يؤمن لقمة العيش له ولأهله . وبهذا الصدد كانوا يقولون : « عد رجالك ورد الماء » ، أي انك لاتستطيع الوصول الى الماء الا اذا كان معك عدد كبير من الرجال . وكان ذلك الوضع سائدا في المناطق الصحراوية حيث يسود جو الغزو والاقتتال . وكانت الكرك عرضة لغزو القبائل البدوية لذلك كان لابد من ان يسود في مثل ذلك الجو الرجل « ذو العزوة الكبيرة » وبهذا المفهوم كان تعدد الزوجات وسيلة لكثرة النسل وبالتالي كثرة السواعد التي تحمل السلاح .

وفضلا عن ذلك فان تعدد الزوجات يحمل في طياته اهدافا اخرى مثل المساعدة في استقبال الضيوف والعمل في البيت والبرية معا .

قالت الراوية :

كنا نعيش في البرية في بيت من الشعر . وكنا دائما عرضة لوصول الضيوف الذين قد يأتون جماعات . ولذلك كان لابد من وجود اكثر من زوجة لدى الشيخ لاستقبال ضيوفه . واحدة تعد الخبز على الصاج ، والاخرى تجمع الوقود لطبخ الطعام في القدور وثالثة تحضر الماء من النبع ورابعة تعتني بالاطفال ... وهكذا .

وضربت الراوية مثلا على شيخين من شيوخ الكرك تزوج احدهما ثماني عشرة امراة في حياته ، اما الآخر فقد تزوج خمس نساء كن جميعا على قيد الحياة في حياته !!

وقالت هذه الراوية ان النساء في بيت الشيخ كن يعشن بهدوء وصمت دونما مشاكل .

وفسرت الراوية ذلك التعايش الهادىء الذي يسود حياة اولئك الزوجات لطغيان شخصية الزوج وفرط هيبته وجبروته واستكانة المرأة لارادته ومشيئته .

ولا يمكن اعتبار ذلك قاعدة عامة ، اذ انه من الممكن ان تتمتع الزوجة « العتيقة » بسلطة ونفاذ راي ، كما نفهم من هذه الرواية :

« تزوجني ابن عمي وانا ابنة خمس عشرة سنة . ودامت حياتنا الزوجية حتى الآن خمسا وثلاثين سنة . وقد انجبت منه ولدين وبنتا ماتوا جميعا فاصبحنا نعيش في وحدة قاسية . ثم توقفت عن الانجاب وساورنا القلق على مصير ثروتنا فارتأينا ان نتبنى شابا . وكان ذلك . لكن الشاب سرعان ما تزوج واختفى من حياتنا . وهكذا قررت ان آبادر بالدعوة لتزويج زوجي من فتاة تنجب له الأطفال . وتبرعت بمبلغ أربعمائة دينار مساهمة مني في زواجه . وتم الزواج . وما زال زوجي يعاملني معاملة جيدة ، ويستشيرني في كل صغيرة وكبيرة و « ماشي على شوري » .

وذكرت لي السيدة نايفة المجالي ان مسالة تعدد الزوجات لم تكن في الماضي امرا يعيب الرجل او يضعه في موضع النقد .

وكانت تتم الأمور ببساطة .

وقالت ان عمها ادليوان ذهب مع الجاهة التي ذهبت لتخطب زوجة جديدة للرجل الذي كان قد زوجه ابنته !

وبهذا الصدد لدينا مثالان ، وقد سمعتهما من راوية تحدثت في مركز شابات الكرك عن موضوع تعدد الزوجات :

★ منيرة سيدة فاضلة احست بحاجة زوجها للابناء ، فابدت عدم ممانعتها اذا كان يرغب في الزواج بهدف انجاب الأطفال . وفعلا

تزوج الرجل ، وشاركت الزوجة القديمة في احتفالات الزواج دون ان يبدو منها ما يشير لتذمرها • وفي اللحظة الأخيرة وعندما « دخل العريس عل العروس » القت بكانون النار وبكل ما فيه عل راس العروسين •

والمثال الثاني :

« امراة مسيحية من اهل الكرك وافقت عل ان يتزوج زوجها • وبعد ان تمت كل مراسيم الزواج نادت زوجها وهو في الخلوة الشرعية وقالت له ناولني يدك • ومد الرجل يده فعضته حتى بترت اصبعا من اصابع يده ، وذلك لفرط غيظها » •

مركز المرأة في الأغنيــة الشعبيــة الكركية :

اول ما يلفت النظر في الأغنية الشعبية الكركية للمراة هو تلك الأشعار الغزلية التي توحي بهيام الرجل بالمراة وولهه الشديد بها وشوقه للوصول اليها • ويشهد بذلك هذا المقطع من الهجيني الذي يصور اهمية المراة وحاجة الرجل اليها :

هبت هبوب شمالي بردها شين
ماتدفي النار لوحنا شعلناهـــا
ما يدفي الا رمش مكحولة العين
كلما عطشنا شربنا من ثناياها

وهكذا فان رمش مكحولـــة العين يبعث الدفء في نفس المقرور عندما يهب الريـــح الشمالي البارد اكثر من النار المشتعلة •

وما من شك في ان هذه المكانة التي تحتلها المراة في نفس الرجل هي للمراة الشابـــة الجميلة التي يتحرق الرجل شوقا للوصول اليها ، وتعطينا الاغنية الشعبية بعض اوصاف تلك المراة التي تتخذ مكانة مرموقة في نفس الرجل • وهذه الهجينية التي اوردها نصر المجالي في مخطوطته : التراث الشعبي في الكرك تحمل بعض تلك الأوصاف :

البارحة ليلتـي سهـــران
والقلب ناوي عل نيـــة
من اقصى ضميري لشد القاف
عل الفظي صافي النيـــة
ابو ثنايا تقول رهـــاف
والعين يا عين ريميـــة

حقوق المرأة :

من حقوق المراة المتعارف عليها في الوسط الشعبي الكركي ما يلي :

١ ـ لا يجوز ان تمس المراة بسوء ـ وهذا خلاف ضربها من جانب قريبها او زوجها بقصد التاديب ودون ان يؤدي ذلك الى كسر او عاهة •

٢ ـ اذا نال رجل من عرض امراة فان القاضي العشائري يدينه بدية اربعة رجال ، ويبيح القاضي العشائري لأهلها قتل ونهب اموال من يصادفونه من حمولة الجاني •

٣ ـ عند ضرب امراة حبل وحصول الاجهاض فان القاضي العشائري يحكم عل الجاني بدية رجل •

٤ ـ اذا اشهر رجل السلاح في وجه امراة بقصد الثار فان حقه يسقط •

٥ ـ ترث المراة اباها واهلها •

٦ ـ في حالة « فورة الدم[١] » فان الاعتداء لايمكن ان يقع عل النساء والأطفال • وترى المراة في المضارب تحاول اقناع الرجال المهاجمين بعدم اتلاف الممتلكات والبيوت •

---

(١) فورة الدم هي الفترة التي تلي حادث القتل • ويحق فيها (حسب العرف العشائري) لأهل القتيل قتل من يواجهونه من أهل القاتل واتلاف ممتلكاتهم •

ملامح الزي الشعبي الكركي

الزي الشعبي بشكل عام ظاهرة اجتماعية متوارثة . ولكل الشعوب في العالم ازياء وثياب تقليدية خاصة بها تميزها عن بعضها . وكثيرا ما يكون للشعب الواحد أزياء مختلفة وان اشتركت في طابعها العام . والازياء الشعبية في الاردن نتاج سنوات طويلة من الاقتباس والتقليد والتأثر حتى اصبح تراثا عريقا تلقاه الابناء عن الاجداد . وتختلف ازياؤنا بشكل عام باختلاف وجودها . فالزي في البادية يختلف عنه في القرية والمدينة والاغوار وهذه الاخيرة تختلف بدورها عن بعضها البعض لتأثر كل زي بالبيئة التي تحيطه . وقبل أن نبدأ بوصف تفصيلي للزي الشعبي الكركي نستعرض سريعا التطور التاريخي لأزيائنا .

بدأ اكتشاف الازياء في العصر الباليولتكي ويبدو أن الانسان اكتشفها في ذلك العصر لوقاية جسده من مؤثرات الطبيعة لانه لايمكن لجسده التكيف حسب كل مناخ ان لم يجد أشياء اخرى تساعده كالنار للدفء ويقول الانثروبولوجيون ان الدوافع التي دفعت الانسان لارتداء الملابس متعددة فقد يكون الخجل وهذا ينسجم مع الدافع الديني لاخفاء عورته ثم اصبحت الازياء فيما بعد تؤدي وظيفة اظهار الجمال والأيحاء بالمحاسن والتميز الطبقي الواضح . وقد بقيت الازياء في المناطق المتقاربة متشابهة الى أن تحسنت وسائل المواصلات فاخذت الازياء تتجه نحو التشابه وظهرت دور الازياء العالمية الا أن الشعوب بقيت تحتفظ بزيها كجزء من تراثها الشعبي .

وعند دراسة الزي الشعبي الكركي نجد أن ملابس الرجال تتألف من الثوب او الكبر مع بعض الملابس الداخلية البسيطة بالاضافة الى الحطة والعقال بينما نجد ملابس النساء

اكثر تنوعا وتعقيدا فيدخل في ملابس المرأة الريفية التطريز والقطع المتنوعة التي تخدم اغراضا شتى ولا شك أن هذا التباين بين ملابس الرجال والنساء يستدعي التأمل ·

فالمعروف أن الريفي يقضي معظم وقته في عمل متواصل تشاركه المرأة في الحصاد حتى اذا ما أقترب الانتهاء من العمل في الحقول انصرف الرجل الى المضافة اما المرأة فتصرف ساعات فراغها الطويلة في زخرفة ملابسها



برسوم تقليدية ولم تكتف القروية بتطريز زيها بل تعدته الى التزين فاستعملت العجائز الحنا لاخفاء الشيب واستعملته الشابات لتزيين راحة اليد والسيقان خاصة في مناسبات الاعراس والاعياد · بالاضافة الى استعمال الكحل وتصرف الريفية وقتا لصنع بيت المكحلة من نسج الخيطان والخرز كما تلجأ الى زخرفة بشرتها برسم الوشم ·

والزي الشعبي الكركي يتسم بالبساطة تبعا للعادة المتوارثة فاللباس الطويل يوحي لنا بالمحافظة وعدم الشذوذ عن القاعدة المتوارثة في اللباس ، فالزي المتوارث لدى النساء يدلنا أن هذا اللباس يرتدى بدافع ديني محض او بدافع اجتماعي لذا نراها ترتدي اللباس الفضفاض من الثوب الواسع الأردان ·



الزي النسائي :

الثوب : اما ثوب الكركية فيحتاج الى ١٤ ذراعا من قماش الروبيت الاسود المطرز بالغرزة الفلاحية بالوان زاهية متعددة ويكون الثوب طويلا جدا بحيث يطوى على الوسط ليصبح ثلاث طيات • ويربط من وسطه بسفيفة من الصوف ويلف ثلاث مرات حول الوسط وهذا الثوب يلبس في المناسبات • وللثوب جيوب لوضع الدراهم وعلبة الدخان ويكون الثوب عادة واسعا وطويلا حتى يجر على الارض ويمتاز بطول وعرض اكمامه والتي يبلغ عرضها حوالي ٢٥ سم •

اما وحدات التطريز على الثوب فهي كثيرة ، منها فرط الرمان وهذه اربع حبات متقاربة او الربطة وهذه وحدات متشابكة •

الجبة :

تصنع من الجوخ وغالبا ما يكون لونها ازرق قاتما أو أخضر ، وكان يؤتى بها من الشام ويخاط على اكمام وازدان الجبة بألوان زاهية جميلة وأكمامها اوسع من أكمام الثوب وهي تشبه الجاكيت وتلبس عادة فوق الثوب وتكاد تكون خاصة بنساء الشيوخ •

المدرقة :

وهي اللباس اليومي للمرأة • وتصنع من القماش الاسود وهي أقل كلفة من الثوب • وقد حلت المدرقة



كما انه يترتب علينا أن لاننسى دور الزعامة في لباس الرجل والمرأة على السواء ، حيث يعتبرون أن سعة الأردان وطول الكبر وزخرفة القياطين الموضوعة على الجبة تعني وجاهة الرجل في قبيلته •

وسوف نقوم بوصف موجز اكل من لباس النساء والرجال ونرى الاختلافات الوصفية بين انواع الزي واشكاله سواء لدى الشباب والكهول أو بين الرجال والنساء •

محل الثوب حيث امتازت بالعب الواسع والاكمام القصيرة الابطين ليظهر القميص الذي تلبسه المرأة تحت المدرقة وفي حالات كثيرة تلبس البلوزة ذات الالوان الزاهية تحت المدرقة وتحتها تلبس الملابس الداخلية كالشلحة والسروال .

غطاء الرأس :

العصبة : قطعة قماش تحوي ثلاثة اذرع . تطوى عدة طيات . وتقوى بواسطة لوح كرتون لشدها ثم تربط من الخلف بواسطة أبرة ويتدلى الى الخلف شراشيب طول كل منها نصف ذراع ويشبك بها الخرز والمفاتيح الخاصة بالمرأة .

وهناك الحطة المقصبة ، وهذه تكاد تكون خاصة بالنساء المتزعمات وزوجات الشيوخ . والقصب عبارة عن مادة صفراء لامعة مشابهة لماء الذهب والعصبة الكركية قريبة جدا للعصبة السلطية .

المقنع :

عبارة عن قطعة قماش غالبا ما يكون لونها ابيض . ويلف المقنع حول رأس المرأة وعنقها دون خياطة ويحوي تحته شعر المرأة وجدائلها وهذه تسمى (القرون) وتزين المرأة جدائلها بشراشيب مزركشة تسمى قراميل ، وهي من الحرير والقرنفل ، والمقنع قريب جدا من الشنبر في الشمال ولكن اختلاف اللون هو الفارق .

المنديل :

وهذا خاص بالفتاة ويسمى شطفة وهو عبارة عن قطعة من القماش مزركشة بالوان كثيرة ويكون غالبا من القصب او الصوف . تربطه البنت حول شعرها (وعنقها) دون أي غطاء تحته كالمقنع او غيره اما في حالة زواج البنت فانها تمتنع عن لبس المنديل وتتبدله بالعصبة دلالة على زواجها .

وكذلك الثوب يكون واسع الأردان للمرأة أما البنت فاقل اتساعا .



اللفحة :

قطعة قماش مستطيلة جدا بالمقارنة مع المنديل المربع وهذه تربط على الشعر في الموخرة في الشطفة ويمكن لفها على العنق ٠

العباءة :

ترتدي المرأة الكركية العباءة وتلبسها عادة فوق الثوب والجبة وتكاد تكون خاصة بزوجات الشيوخ وغالبا ما تكون سوداء مقصبة على اطرافها ٠ وكانت تجلب من الشام وهي من الجوخ ٠ وتلبس كذلك



بالمناسبات والخروج مع الفاردة او القطار في الافراح ٠

لباس العروس :

في حالة انتقال الفتاة من مرحلة الى اخرى اي عندما تصبح زوجة تلبس الثوب المطرز بخيوط حريرية مزركشة ويمتاز الثوب باتساعه وطوله حتى يجر على الارض وتلبس الحطة المصنوعة من الحرير المقصب بالفضة وتحاك أقسام الحطة بخيوط حريرية عند مفترق الرأس ومن ثم يوضع ريش النعام بشكل برنوس حتى اذا ما دخل عليها عريسها البيت خلعها من على رأسها ٠

ويشك على الحطة من الامام والخلف ماسكتان من الفضة بالاضافة الى الصفة وهي عبارة عن قطع ذهبية اوفضية تخاط على قطعة قماش بجانب بعضها البعض تلبس على الرأس بحيث تتدلى مع « القرون » او « الجدايل » ـ الظفائر ويلبس معها العريجة وهي عبارة عن قطع معدنية ـ فضية أو ذهبية تخاط على قطعة قماش بحيث تكون على الجبين وتنتهي الحطة باهداب ـ شراشيب محلاة بخيوط من الفضة ٠ وتلبس العروس وقاء مصنوعا من الحرير يشك في أسفلها الذهب متصلا بعدد من قطع الريالات والعروس عادة لاتربط على وسطها حزاما ٠ وحين الزفة تلبس العروس العباءة المقصبة ٠



زينة المرأة :

اشتهرت المرأة الكركية بزينتها فقد كانت تصنع زينتها بنفسها ، واشتهرت بصناعة الكحل الاسود وهو عبارة عن حجر يشوى في الطابون لفترة طويلة ثم يدق دقا جيدا ويخلط بالزيت واستعملت المرأة الحنا لتزين به يديها وساقيها وشعرها واكثر ما يستعمل في المناسبات كالافراح • ونجد من بين ما تستعمله القرنفل الذي يمتاز برائحته الزكية وتربطه بشعرها لتطيل به جدائلها ، واستعملت كذلك الوشم ، الدق بالابر على اليدين والجبين وغيرها من اعضاء الجسم الظاهرة ، فكانت تدق على وجهها شكل نخلة او سيف • بالاضافة الى ما سبق كانت تتزين بالخلاخل والكردان والاساور الفضية • وكانت تضع العقوص (جدائل من الشعر) لتطيل شعرها • بالاضافة الى انواع العطور المختلفة كالند ، ونبت السودان • والقرنفل •

الزي الرجالي :

غطاء الرأس :

المنديل ـ الحطة وتسمى احيانا الكوفية نسبة الى كوفة العراق • وتسمى ايضا باسماء شعبية كثيرة الشطفة وهي المنديل الابيض الشفاف وتلبس صيفا • وهناك المنديل العراقي نسبة الى العراق ويمتاز ببقعه السوداء والبيضاء وتلبس شتاء • ونجد كذلك الشماغ وهو المعروف ببقعه الحمراء اما اللباس اليومي فهو المنديل او الحطة ويميل الكثير منهم الى عمل اهداب من القطن • لذا نجدهم يتباهون بجعل جوانب المنديل المهدبة الى الامام •

العقال :

ويسمونه المرير • يصنع من صوف الماعز (المرعز) نوع من الغنم اشتهر به العراق •

يابو عقال المرعز
ديرِ الهدب جنابي
والجنة مسامح بها
وارجع بلا عناد

واشهر بلد في صناعته هي العراق وسوريا . ويلبس فوق المنديل وهو مكمل للباس الرأس . وكان لباس المنديل الشفاف الابيض والعقال المرعز نوعا من المفاخرة وهما شرف لايتعداه شرف .

الطقم الكبر :

وهو من الجوخ ويجعله الكركيون مفتوحا من الامام ويربط من الوسط بحزام من نوع القماش او الجلد اما القبة فاما أن تكون حجازية لتضم الرقبة كلها وبعضهم يجعلها ذات زيق أي زوائد عند الرقبة . اما الاغلبية فيضع الكبر بدون قبة .

ويمتاز الكبر باكمامه الطويلة الواسعة .

الثوب :

وهو مايلبس تحت الكبر ويكون عادة من القماش الابيض ولا يكون مفتوحا الا عند الرقبة حتى يسهل خلعه بسهولة ويكون الثوب عادة فضفاضا .

الجبة :

تصنع عادة من لون قماش الكبر الجوخ الازرق القاتم . وتمتاز باكمامها الطويلة الواسعة (الردون) وتحاك لها قياطين حريرية على الجوانب والقبة وهي اقصر من الجاكيت . وتعمل للجبة جيوب داخلية واسعة بالاضافة الى الجيوب الخارجية . وتبقى الجبة مفتوحة بدون ازرار .

السروال :

يلبس عادة تحت الثوب ويكون من القماش الاسود او الابيض واسع من الاعلى ضيق من الاسفل . ويربط برباط من نفس القماش يسمى (الدكة) .

الحذاء :

غالبا ما يكون « كندرة » عادية او حذاء مصبعاني وقديما استعملوا المركوب المصنوع من الجلد جلد الشاة او البعير .

العباءة :

تلبس فوق الملابس وتكون مقصبة بخيوط ذهبية لماعة وتكاد تكون خاصة للمناسبات كالافراح وغيرها وغالبا ما يلبسها الشيوخ .

لباس العريس :

لايختلف لباس العريس عن اللباس العادي الا أن لباس العريس يمتاز بألوانه الزاهية . ويميل العريس دائما الى الكحلة والعطور . ونجد لذلك ان الكركيين يفتخرون باطالة شعورهم حتى تكون لهم



الجدائل الطويلة (القرون) وهم يعتزون بها . وغالبا مايكون لباس العريس من القماش الابيض . ويمتاز ثوبه بطوله وباتساع أردونه . كما انه يميل الى وضع المحازم والمجاند (وهي قطعة من الجلد توضع بها العيارات النارية يحزمها على صدره ووسطه وفوق الكتفين دلالة على المفاخرة والشجاعة) بالاضافة الى ذلك فانه يلبس المسدس على صلبه متدليا مع جنبه مستعملا القياطين الحريرية المرخاة . وفي حالة ما يكون الرجل فارسا يلبس المنديل ليربطه على رأسه .

لباس الرعيان :

لايختلف عن سابقه بل بنوعيته ففي الوقت الذي نجد فيه الجبة والكبر واسعا نجدها عادية عند الراعي لان عمله يتوجب نشاطا اكثر اما العباءة فهي تختلف في صنعها ومادتها وتكون ثقيلة وتصنع من الصوف الخام دون صبغه اما اللون فالاغلب ما يكون اللون القاتم او الرمادي ويتحاشى اللباس الابيض . ويلبس الراعي شتاء الفروة وتصنع من جلود الخراف الصغيرة السن (الجواعد) وتبرش وتخاط مع بعضها والمقتدرون ماليا يضعون عليها الجوخ ليغطي الجلد وعادة يكون اللون الازرق القاتم او الاسود وتمتاز بطول أكمامها وعرضها أما بالنسبة للرعيان فانها لاتغطى بالقماش أما الحذاء فاغلب مايكون المصبعانية لخفته والجزمة الطويلة .

المزارات في محافظة الكرك

الاردن كبقية بلاد الشام ، زاخر بمخلفات الأجيال والشعوب التي عاشت وحكمت قرونا طويلة من الزمن ففيه الكثير من الآثار الاسلامية والرومانية ، والتي هي باقية حتى يومنا هذا ، تحكي تاريخ تلك الشعوب وتمثل عظمتهم وتخلد امجادهم .

والاسلام بماضيه مليء بالأنبياء والرسل وقصص تحملهم العذاب والمشقة في سبيل نقل ما أمروا به ، وكذلك الأولياء والشهداء الذين حققوا ابدع مشاهد الفناء للذود عما آمنوا به من عقيدة سماوية .

اما هنا فسنتحدث عن المزارات في محافظة الكرك .

فالمزارات والمفرد منها مزار ، وهو المكان الذي يذهب اليه الناس اعتقادا منهم بقدسيته وطهره ، بقصد التبرك والاستعانة واداء الصلوات ، وممارسة الشعائر الدينية ، استغفارا وطلبا للرحمة من الله تعالى ، والمزار اما أن يكون مقاما لأحد الانبياء او ولي من اولياء الله الصالحين ، او احد شهداء الاسلام الخالدين ، ونورد هنا بعض المزارات القائمة في منطقة محافظة الكرك :

١ ـ مزار ـ مقام النبي نوح عليه السلام .

٢ ـ مزار ـ مقام سيدنا سليمان بن داوود عليه السلام في قرى الحمايدة .

٣ ـ مزار ـ مقام سيدنا الخضر عليه السلام .

٤ ـ مزارات شهداء مؤتة :

أ ـ مزار الشهيد زيد بن حارثة .

ب ـ مزار الشهيد جعفر بن أبي طالب .

ج ـ مزار الشهيد عبد الله بن رواحة .





(المشهد)

٥ ـ مزار شيحان وهو على جبل شيحان المطل على وادي الموجب .

٦ ـ مزار العزاوي وهو في مدخل مدينـــة الكرك .

٧ ـ مزار شجرة عبيد الله ويقع غربي قرية القصر .

والمزار أو المقام يتكون من بناء حجري على شكل قبر كبير ، يغطى بقطعة قماش من المخمل يكون لونها غالبا اخضر ، ويكون هذا الهيكل داخل غرفة فسيحة ارتفعت على سطحها قبة ، تفرش ارضيتها بقطع من السجاد ، وتعلق احيانا فوانيس تضاء على جنبات القبر ، وتكتب الآيات القرآنية على جدران الغرفة كما ينقش تعريف بصاحب المقام على حجر « بارز » يوضع على احد جوانب القبر الأقل عرضا ، ويثبت احيانا حول القبر سياج من قضبان حديدية يتراوح ارتفاعها ما بين ٥٠ ـ ١٠٠ سم .

وهناك نوع آخر من المقامات التي تشيد عليها المساجد حيث يكون المقام داخل بهو المسجد يحتل زاوية من زواياه .

ويسود اعتقاد لدى الناس بان المقام يضم جثة النبي او الولي المسمى باسمه ، لذا نورد هنا ملاحظة لتوضيح معتقدات بعض الناس حول المقامات بوجه عام ٠

فاذا تتبعنا الآثار الاسلامية في الوطن العربي نلاحظ انه يوجد اكثر من مقام لأحد الانبياء او الاولياء والصالحين فسيدنا الخضر عليه السلام له مقامات عدة منها ما هو موجود في فلسطين ومنها مايوجد في الاردن وفي انحاء مختلفة من الاقليمين ، كذلك نجد ان سيدنا الحسين بن علي كرم الله وجهه له مقامات في كل من كربلاء وعسقلان ومصر ، والخليل ،

واذا اضفنا ما ذكره التاريخ عن ان الناصر صلاح الدين الايوبي كان بحاجة لتجمعات اسلامية في المناطق المطلة على سهل فلسطين من الجهة الشرقية ، حيث كان بأيدي الصليبيين آنذاك ، وكان يخطط لاسترداد ما اغتصب من الأراضي العربية ، فاخذ بانشاء المقامات لأنبياء وأولياء وشهداء ، ممن سجلهم التاريخ الاسلامي بسجله ، لاستقطاب اهل البلاد في تلك المناطق ، فكان ان وجد العديد من هذه المقامات في فلسطين والاردن ٠

يتبين لنا انه ليس من الضرورة بمكان ان يكون المقام قد شيد على قبر يضم جثمان احد الانبياء او الأولياء ٠

ومؤتة قرية تبعد (١٢) كم الى الجنوب من مدينة الكرك ، وفيها حدثت المعركة التي سميت باسمها بين جيش المسلمين وجيش الروم، وقد حدث ماحدث في هذه الواقعة من بطولات وتضحيات اسلامية ذكرها التاريخ بشكل مفصل ، والذي يعنينا هنا هو موقع تلك المعركة والمقامات التي شيدت على قبور ثلاثة من قادتها الذين استشهدوا فيها دفاعا عن الحق واعلاء لكلمة الله ،

والمزار قرية اخرى الى الجنوب من مؤتة تبعد عنها كيلو مترين دفن فيها القادة الذين استشهدوا في مؤتة ٠

والمشهد : اسم اطلق على ذلك الموقع الذي حدثت فيه المعركة ، وعليه مسجد قديم لم يكد يبقى منه سوى جزء من منبره ، وقوس حجري بقي صامدا رغم تحديات الطبيعة ، وبقايا هياكل قبور اقيمت على جثث شهداء تلك المعركة ٠

اما اليوم فالزائر لتلك المنطقة يشاهد مسجدا فسيحا بمئذنته الشامخة ، اقيم على ارض المشهد تكريما لشهداء مؤتة ٠

(حكايات تدور حول المشهد) :

وقد كانت لي زيارة لبلدة مؤتة قابلت خلالها بعض اهلها ٠ وكان ان بدانا بجلسة في مبنى البلدية هناك ، ودار الحديث حول روايات مثيرة تكاد تكون نوعا من انواع الخرافة الشعبية لولا تاكيد كل من كان موجودا هناك حول ما روي ٠

فقد روى السيد فايق عبد القادر الصرايرة ويبلغ من العمر اربعين عاما ، وهو رئيس سابق لبلدية مؤتة ، انه وقبل حوالي عشر

سنوات كان متجها الى مؤتة بعد أن قضى بعض اعماله في احدى القرى المجاورة ، وما أن اصبح مطلا على المشهد حتى رأى اربع بيوت من الشعر نصبت على أرض المشهد ، وخيولا ربطت بجانبها يمتطيها اناس لاتعرف ملامحهم ، فاعتقد بان اناسا من البدو قد بنوها ، ولكنه ما ان اخذ يقترب من المشهد حتى بدأ يتلاشى ما يراه .

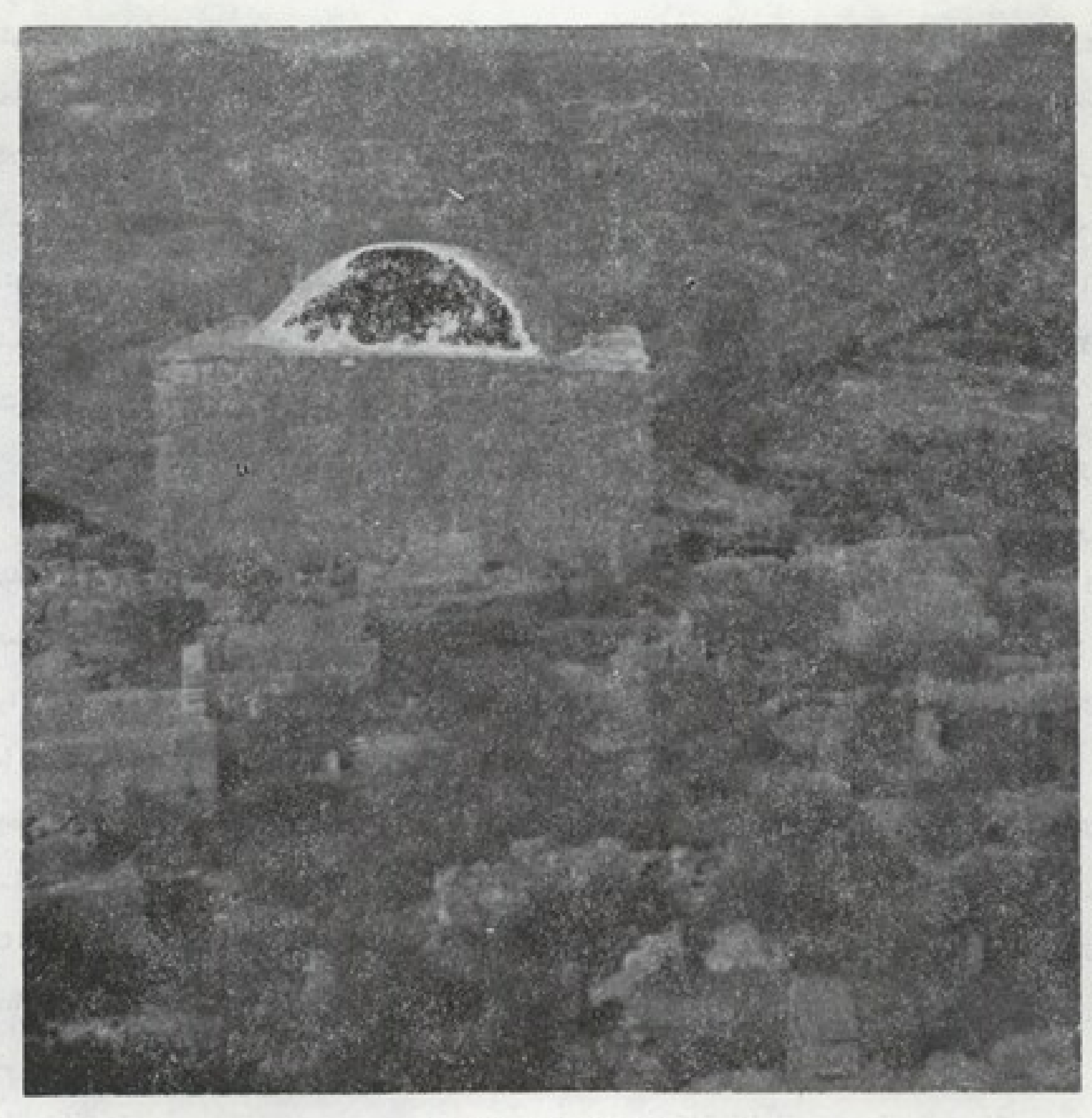
واضاف السيد فايق الصرايرة ، يروي على لسان احد اهالي القرية بان الأخير كان قد ذهب فجر احد الأيام لحراثة ارض له تبعد حوالي ثماني كيلو مترات عن مؤتة ، وما ان بدأ بالحرث حتى شاهد اناسا تركب خيولا وجمالا ، وقد دججوا بالسلاح ، فظنهم قوما أتوا لسلبه ، فخاف وهرب محتميا بتلة مجاورة ، وما هي الا عشر دقائق حتى كان القوم قد تخطوه متجهين الى الغرب ، وظل ينظر اليهم حتى وصلوا منطقة تسمى (المزبل) وهي بجانب المشهد .

وروى لنا السيد شاهر تركي الصرايرة ، وهو سكرتير لبلدية مؤتة ، انه في عام ١٩٤٧م وعند ظهر احد الأيام شاهد اشباحا لأناس غير واضحي المعالم ، تروح وتجيء امام بيوت شعر سوداء قد نصبت على ارض المشهد . وكان معهم خيل يتراوح عددها من ٦ ــ ٧ ولم يسمع صوتا لحركتهم ، واضاف يقول أن المرء لايستطيع الرؤيا الا عن بعد يتراوح بين ١٠٠٠ ــ ٢٠٠٠ متر ومن الجهة الغربية للمشهد ، وقال بان هذه الرؤية نادرا ما تكون وقت الظهر فهي غالبا ماترى قبل طلوع الشمس بوقت قصير وتستمر من ١٥ ــ ٣٠ دقيقة .

وتتوالى الحكاية تلو الأخرى ، يرويها اهالي البلدة من هنا وهناك ، فهذا السيد اعطيوي بن ظاهر يروي ما شاهده في فجر احد الأيام ، عندما كان متجها شرقا باتجاه المشهد لقضاء حاجة له . فقد شاهد بيوتا من الشعر ذات الوان مختلفة منها الأسود والاشهب والاخضر ، وخيولا يمتطيها اناس لم يعرف عددهم ، واناسا اخرين يمشون داخل وخارج تلك البيوت ، ولعلمه بأن هذا المشهد لايرى الا عن بعد ، فقد عاد واحضر منظارا مكبرا ليقرب ما شاهده ، ولكنه فوجيء بان المنظار لا يكبر تلك الخيالات ، وهذه ظاهرة غريبةكل الغرابة حيث يقف العلم حائرا امام ايجاد سبب لتفسير مثل ذلك ، وهنا تبرز المعتقدات الدينية الشعبية ، لتبرير هذه الظاهرة ، بان تجعل القدرة الالهية سببا لحدوثها ، وتفسيرا للتساؤلات التي تدور حولها .

وكان لنا لقاء مع السيد (زكي محادين) امام المسجد الذي بني حديثا بجانب المسجد القديم للمشهد ، وهو يعمل معلما في مدرسة مؤتة الثانوية .

فقد روى لنا حكاية كان قد سمعها من احد اهالي القرية ويدعى السيد علي موسى ، ويبلغ من العمر ستين عاما فقد روى هذا الاخير ، انه شاهد في احدى المرات ، مئذنة المسجد تاخذ بالتقلص والتمدد ، ثم بالتحرك نحو قوس المشهد الى ان خالها ترتفع فوقه ، وكأنها بنيت عليه ، ولشدة هول المنظر وغرابته واستحالة حدوث مثل ذلك وبالكيفية التي رآها، فقد اصيب باغماءة مرض على اثرها بالحمى



(مقام النبي نوح)

وقد شفي بعدها من مرضه الذي استمر حوالي الاسبوعين بعد ان جاؤوه بشيخ مسن يدعى (الشيخ العلوي) يعتقد اهالي البلدة بانه من اولياء الله الصالحين والمقربين بالذات العلية ويبلغ هذا الشيخ من العمر ثمانين عاما قضاها متصوفا ولم يتزوج في حياته قط .

والحكايات عن المشهد كثيرة وتكاد تكون متشابهة يرويها معظم اهالي القرية وكثيرون من قرى مجاورة .

فقد روى لي احد اهالي البلدة ان احد الباكستانيين اتى لزيارة المشهد ، وقد كان ينام لياليه في المسجد المجاور ، وقد حدثهم هذا انه وفي احدى الليالي سمع صوت صلاة وذكر لله تصدر من ارض المسجد القديم .

الاعتقاد بالأولياء :

وهنا نأتي الى معتقدات الناس التي تدور حول المزارات فهناك اعتقاد سائد بين الاوساط الشعبية من الناس بأن الأولياء هم صلة بين

الله وعباده ، فبالتقرب منهم بركة وراحة للنفس البشرية من شعورها بالذنب ، وان دعوة الولي مستجابة لارتباطه بالذات العلية ، ولشدة تدينه وانشغاله بامور الآخرة ، تاركا ومسفها الامور الدنيوية .

وزيارة الأولياء عادة متوارثة عن الآباء ، وهي ذات طابع ديني محض ، فيجب على الزائر ان يكون طاهرا وذلك كشرط اساسي ، متطيبا يرتدي ملابس نظيفة طاهرة واذكر هنا بيتين من الشعر الشعبي الكركي سمعتهما من احد ابناء الكرك يقول فيها :

ياعمــي شفت لي ثنتين
طاحن على نوح زارنــــه

ملبوسهــن بالحرير الزين
والكحل بالعين حطنــــه

ويذهب الناس لزيارة الأولياء طالبين الشفاء او النجاح او للتبرك ببركتهم ، ولشدة تعلق كثير من الناس بالأولياء فهم يقولون عند التمني لطلب ما .

(ياحظ الولي الفلاني تنجح لي ولدي ، او تشفي لي ولدي) وما الى ذلك من الاماني الانسانية .

وكما للأولياء من مكانة خاصة في قلوب الناس تاتي من اعتبار الكثير منهم بانهم واسطة ربط بين الله وعباده فللشهداء ايضا ما للأولياء من مكانة ،

فقد روى اهالي قرية مؤتة بانه وقبل ثلاث سنوت اتت على البلدة حالة جفاف لم ينـزل المطر فيهـــا ، فجفت الارض وباتت المزروعات تحت رحمة الطبيعة ، فضاقت الناس بهذا الحال وقرروا الصيام مدة ثلاثة أيام ، ذهب بعدها بعض الاهالي بمسيرة الى المشهد ، واقاموا صلاة الاستسقاء على ارض المسجـد القديم ، والغريب هنا انهم ذكروا لي وبعد مغادرتهم ارض المشهد بانه لم يكد احد يصل بيته حتى كان المطر ينهمر بشدة مرويا الارض ومعوضا عن جفاف الأيام السابقة .

ويضيف اعتراف الناس باهمية الأولياء والاعتقاد بقدرتهم على شفاء المرضى ومعالجة العاهات ، وما الى ذلك شعورا بالأمان والراحة ، فقد ذكر اهالي بلدة مؤته بانهم كانوا يحفرون حفرا متسعة في ارض المشهد ،، يضعون فيها الحبوب ، ثم تتم تغطيتها بالتبن ودملهـــا بالتراب ، ويذهبون مطمئنين بان ما وضعوه يكون في اياد امينة لايستطيع احد سرقتــه لاعتقادهم بانه سيعرض نفسه للأذى والعقاب ، ويدعم هذا الاعتقاد حكاية اخرى وردت على لسان احد الاهالي ، بانه عندما كان العمال يشتغلون في بناء المسجد الذي اقيم حديثا على ارض المشهد ، اتى رجل من قرية مجاورة لمؤتة وقام بسرقة بعض الأدوات الانشائية التابعة لمتعهد البناء ، وفي ذات الليلة اتاه هاتف وهو نائم ينذره باعادة المسروق لأصحابه ، فما كان منه الا ان اعادها وهو نادم على ما فعل .

اما اليوم فقد اخذ الاعتقاد بالأولياء يضمحل تدريجيا وتقل زيارات الناس لهم ، وذلك كنتيجة « حتمية » لتقدم العلم وتطور العصر

ومواكبة الناس للتغير الاجتماعي الذي يطرأ على اي مجتمع بمرور الزمن وتغير مفاهيمه .

الطقوس الشعبية المتعلقة بالأولياء :

اما بالنسبة للطقوس التي تمارس من تأثير المعتقدات الدينية الشعبية على نسبة كبيرة من الناس فهي مختلفة باختلاف هدف الزيارة ، فقد حدثني اهالي مؤتة عن بعض تقاليدهم التي يراعون القيام بها اثناء زيارتهم للمشهد او لأحد الأولياء .

القطار :

والقطاريعني زفة العروس من بيت اهلها الى بيت عريسها فقد كانت النسوة في مؤتة تزف العروس بعد ان تمر بارض المشهد ، ونادرا ما تزوجت احداهن دون ان تزورالمشهد ليلة زفافها ، وعندما يصل موكب العروس الى المشهد تقوم النسوة بقراءة الفاتحة تبركـــا بالأولياء والشهداء وبعدها يقمن بتوزيع الحلوى على من وجد ويتابع القطار مسيرته مصحوبا بالأغاني والزغاريد حتى وصول العروس بيتها الجديد .

ولم تقتصر هذه العادة على اهل مؤتة ، حيث كان الكثير من اهالي القرى المجاورة ياتون الى المشهد لعمل الشيء ذاته .

أم الغيث :

كثيرا ماتمر على البلاد حالات قحط لاينزل المطر فيها ، والارض تكاد تكون المورد الوحيد للفلاح الذي يعتمد على الزراعة دون غيرها ليعتاش منها .

ففي مثل هذه الحالـــة يقوم الكركيون بالايعاز لنسائهم بعمل نصب من الخشب على هيئة امراة (يطلقون عليها اسم ام الغيث) وتسير بها النساء مصحوبة باغان خاصة الى مقام أحد الأولياء حتى ينزل المطر اكرامـــا للولي .

ومما يقلن في اغانيهن :

يام الغيث يا دايـــم

بللي ازريعنا النايـــم

بللي ازريع ابوفـــلان

هلي للكرم دايـــــم

اضاءة المشهد :

والاضاءة اما ان تكون بقناديل الزيت او بالشموع فعندما تتاخر المراة في الوسط الشعبي بالحمل وانجاب الأطفال ، فبالاضافة لذهابها الى الشيوخ مدنيقومون بعمل التمائم والحجب ، وما الى ذلك من الوسائل الشعبية والتي تلقى اقبالا شديدا لدى الأوساط الشعبية ، فهي تقوم بزيارة لأحد الأولياء ، فتاخذ معها سراجا تضع به زيتا يصنع من مواد دهنية ، وما ان تصل حتى تضيء سراجها وتاخذ بالصلاة والدعاء لله ، واضعة الولي واسطة بين الله وعباده ، فتستجير به طالبة ان يرزقها مرادها .

وهناك مزارات اخرى يقـــوم الكركيون بتقديم الهدايا والذبائح لها وقت الأعياد .

الغزل والنسيج في الكرك

اقتنى البدوي الماشية منذ زمن بعيد ، فكان يستفيد من حليبها ولحومها ولم يكن يستفيد مما تعطيه هذه الماشية من الشعر ، فبدأ رويدا رويدا في التفكير بالوسيلة لاستغلال هذا الشعر . وأخيرا اكتشف طريقة غزل هذا الشعر ونسج اشياء بسيطة استعملها في حياته اليومية .

وتطور في عملية النسيج وأخذ ينسج من هذا الشعر بيوتا له تأويه وتقيه من حر الشمس في الصيف وهبوب الرياح في الشتاء .

وتخصصت النسوة في الوسط البدوي في عملية الغزل والنسيج لأن الرجل الذي يقضي يومه في الرعي والأعمال الأخرى لايستطيع ان يقوم بهذه العملية . وأخذت النساء تنسج البسط واستعملت هذه البسط





كمفارش ، ثم بدأوا ينسجـــون من المنسوجات أدوات أخرى أستعملت لأغراض حياته واغراض زخرفية ٠

واتناول هنا بالدراسة موضوعات الغزل والنسيج ، ثم أتحـدث عن الادوات التي تنســج من صـــوف الحيوانات وشعرها ٠

١ ـ الغزل :

أ ـ يقص الصوف في أوائل الصيف وبعد قصه يغسل غسلا جيدا ، وبعد أن يجف تقوم المرأة بغزله أي تحوله الى خيوط بواسطـة مغزل يدوي ٠

ب ـ الدهج : تحول المرأة الخيوط المغزولة الى كبب وبعدها تقوم بدمج كل خيطين في خيط واحد ثم تقوم بلفه على شكل كبة ٠

جـ ـ تحول الخيوط الى شلـــل وترسل الى الصباغ لتلوينهـــا

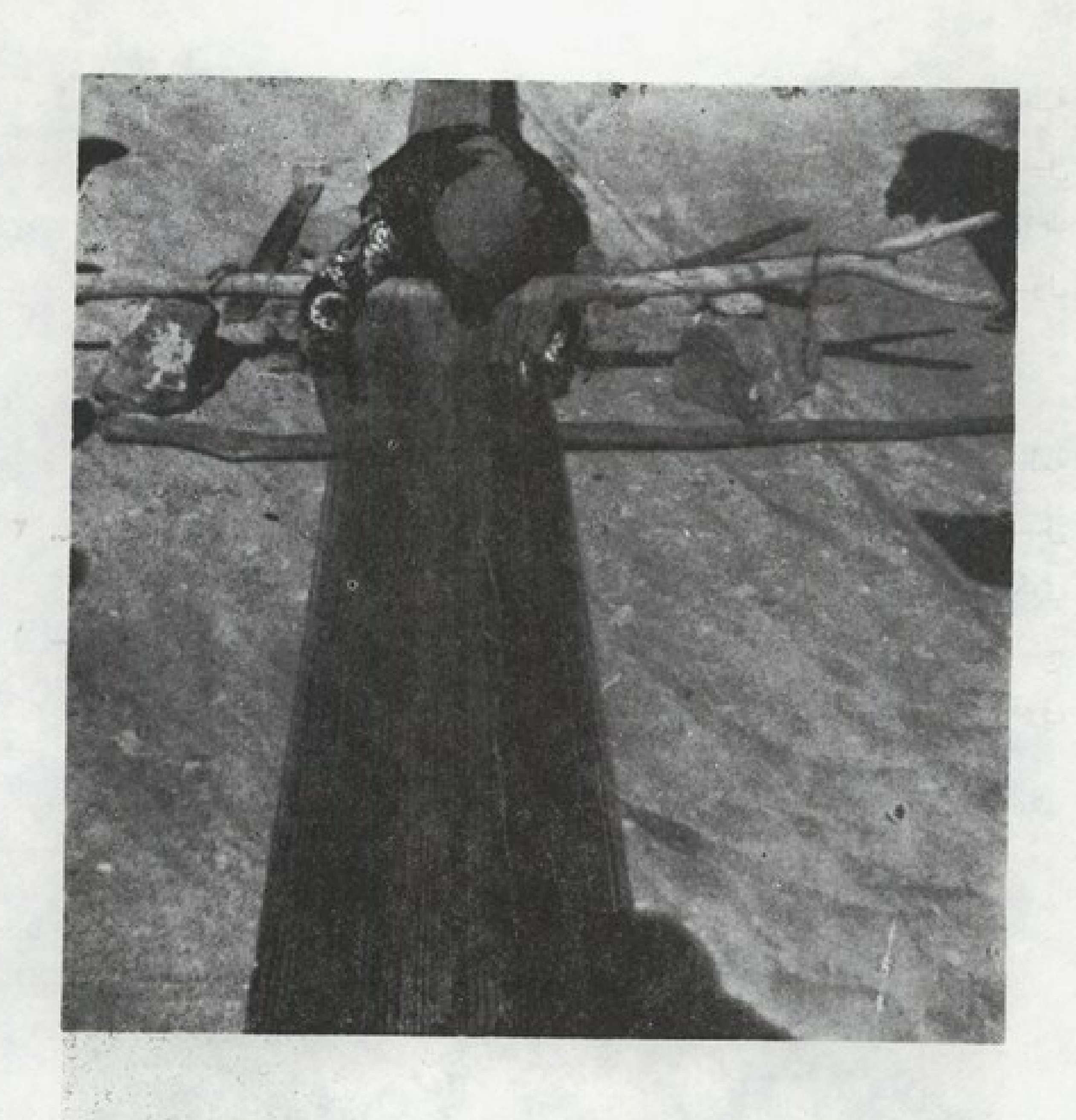
وتحـدد المرأة الألوان التـــي تريدها • ونلاحظ هنا أن المرأة لاتشترك في عملية التلوين لأنه من الصعب عليها ان تقـــوم بذلك ، وتترك المهمة لرجـــل محترف •

٢ ـ الادوات المستعملة في النسيـج

١ ـ النول هو عبارة عن اربعـــة أوتاد يدق كل وتدين في جهة وأمام كل وتدين تربط قطعـة خشبية اسطوانية الشكـــل وتعمل المرأة على ربط الخيوط بهذه القطعة • ويتألف النـول كذلك من الادوات التالية :

أ ـ النيرة وهي عبارة عن قطعة خشبية أسطوانية الشكـــل توضع في بداية النول ويتحكم في موقعها بعد ذلك بقدر مانسج من البساط بحيث تكون فوق





الخيوط غير المنسوجة وتشد الخيوط الى النيرة بحيث يكون احدهما مشدودا والآخر غير مشدود .

ب ـ الموشع : قطعة خشبية اسطوانية الشكل تقوم المرأة بلف الخيوط المغزولة عليها بحيث تزودها بالخيط الذي يوضع في وسط البساط والفجة وتسمى الخيوط في هذه الحالة باللحمة .

ج ـ المنحاز قطعة خشبية عريضة تقوم المرأة بوضعها بين الخيوط لتفصل بينها وتعمل على عدم التشابك بين هذه الخيوط .

عملية النسيج :

بعد أن يمد النول تحدد النساء الطول الذي يرغبن في أن تكون الفجة أو البساط عليه ، ويستعملن استدارة الرأس البشري كوحدة

للقياس اما بالنسبة للألوان المختلفة التي يلون بها البساط فتكون بربط الكبب الملونة بالالوان التي تريدها ومد خيوطها بشكل طولي بعد ربطها بالخشبة ذات الشكل الاسطواني وتبدأ بالنسج بحيث تظهر هذه الألوان بشكل طولي وبالنسبة للخيط الموجود في عرض البساط والفجة فتأخذ المرأة من اللحمة وغالبا ما يكون لون هذا الخيط أحمر غامقا وقد يختلف في بعض الأحيان • وتدخل المرأة الخيوط بعضها ببعض بواسطة المشقاة وهي عبارة عن قطعة من الحديد محدودبة الرأس وملفوفة بالقماش من طرفها السفلي ليسهل الأمساك بها وهناك من يدخل الخيوط بواسطة أصابع اليد وفي البسط الكبيرة يتعاون عدد من النساء بالتناوب في العمل على النول اما اذا كان البساط المراد نسجه صغيرا فلا حاجة لتناوب أكثر من امرأة •





الادوات المنسوجة من الصوف والشعر

١ ـ بيت الشعر :

أهم شيء في حياة الانسان هو ايجاد ماوى له ياويه وهؤلاء البدو أخذوا يستفيدون من الصوف وشعر الماعز في نسج بيوت لهم • ويتكون بيت الشعر من عدة قطع تنسج من شعر الماعز وبعد أن يكتمل نسج القطع تقوم المرأة بخياطة هذه القطع بواسطة خيط من الغزل • وهنالك عدة أنواع من بيوت الشعر مثل المدبول (١) والمثولث (٢) والمروبع (٣) والمخومس (٤) وهذه الانواع لايقومون بنسجها هم أنفسهم بل يوجد أناس متخصصون لمثل هذه الأنواع • وفي الوسط البدوي لا يمتلك هذه البيوت سوى طبقة معينة من السكان وقد يكون مالك هذا البيت هو شيخ القبيلة •

٢ ـ الساحة او الواسط :

وتنسج هذه من شعر الماعز بعد غزله ويخلط فيها بعض من الصوف

المغزول واصبحوا الآن يضعون بهـــا بعضا من الخرز كعرض زخرفي ٠

وتستعمل الساحة لتفصل بين شق الرجال وشق النساء في بيـــت الشعر ٠

٣ ـ البسط (البسطة) :

وتنسج من الصوف بعد أن يغزل ويلون بألوان مختلفة كاللون الأحمر الغامق والأزرق والاخضر وغير ذلك من الألوان ٠ ويستعمل البدو البسط كمفارش للجلوس عليها ٠ وهــــم يتباهون بكثرة البسط الموجــودة عندهم ٠

وقد لا تفرش هــذه البسط الا لضيف عزيز عليهم ومن المعروف انه قد بدىء بنسج البسط بشكل بسيط في الوانها ولكننا نراها الآن وقــد كثرت الوانها ، فالى جـانب تلوين



البساط بخطوط طولية اصبحت النساء تنسج داخل هذه الخطوط اشكـــالا مختلفة وبألوان مختلفة أيضا ٠

٤ ـ العدول (الأكياس) :

تنسج من شعر الماعز بعد غزله ، وقد يخلط به كميـة من الصـــوف المغزول لاعطائه نوعا من المرونـــة ٠ وتنسج العدول على شكـل طولـــي وبعدها تقوم المرأة بخياطة القطعة من جهتين وتبقى الجهة العلويـــة دون خياطة وهم ينسجون العدول لأنهـم يستفيدون منها من الناحية المادية أي ينقلون بها الحبوب ويحفظون بهـــا الطحين وما الى ذلك ٠

٥ ـ الخيرجة (جمع خرج) ٠

وهي على نوعين خرج الجمـــل وخرج الفرس ، وخرج الجمل ينسج من شعر الماعز وصوف الضان بعـد غزلها ٠ وكان هذا ينسج على شكـــل طولي ثم يخاط من جهتين كل جهة على شكل كيس صغير بواسطة خيط من الغزل ويستعمل هذا الخرج لنقـــل الحبوب والحاجيات الأخرى ٠

أما خرج الفرس فكذلك ينسـج بشكل طولي ولكن يوضع فيه بعض من الشرابات المجدولة في طرف كل شقة من الخرج ويستعمل هذا لنقل حاجيات الفارس وغير ذلك ٠ وكانوا يقومون بتغطية هذا الخرج بواسطة غطاء يسمى غطاء السرج يوضع له شرابات في كل طرف ويغطي بـــه الخرج لاضفاء نوع من الجمـــال على الخرج وبالتالي على الفرس ٠

وقد كانوا يصنعون أشياء أخرى مثل الوسائد وتحشى هذه الوسائد بالصوف وتستعمل كمرتكى للضيوف وكذلك عند النوم ٠

ويصنعون كذلك أوعية للقهوة حيث ينسجونها وتشك في واجهتهـــا الاماميـــة بالخرز لاضفـــاء نوع من الجمال وكانت القهوة تحفظ بهذه الاوعية ٠

وأخيرا لا بد من القول ان البدو استفادوا من كل شيء تدره عليهـــم مواشيهم وصنعوا من صوف ماشيتهم اشياء جميلة أستعملوها في فرشهـــم وفي حفظ موادهم الغذائية ٠

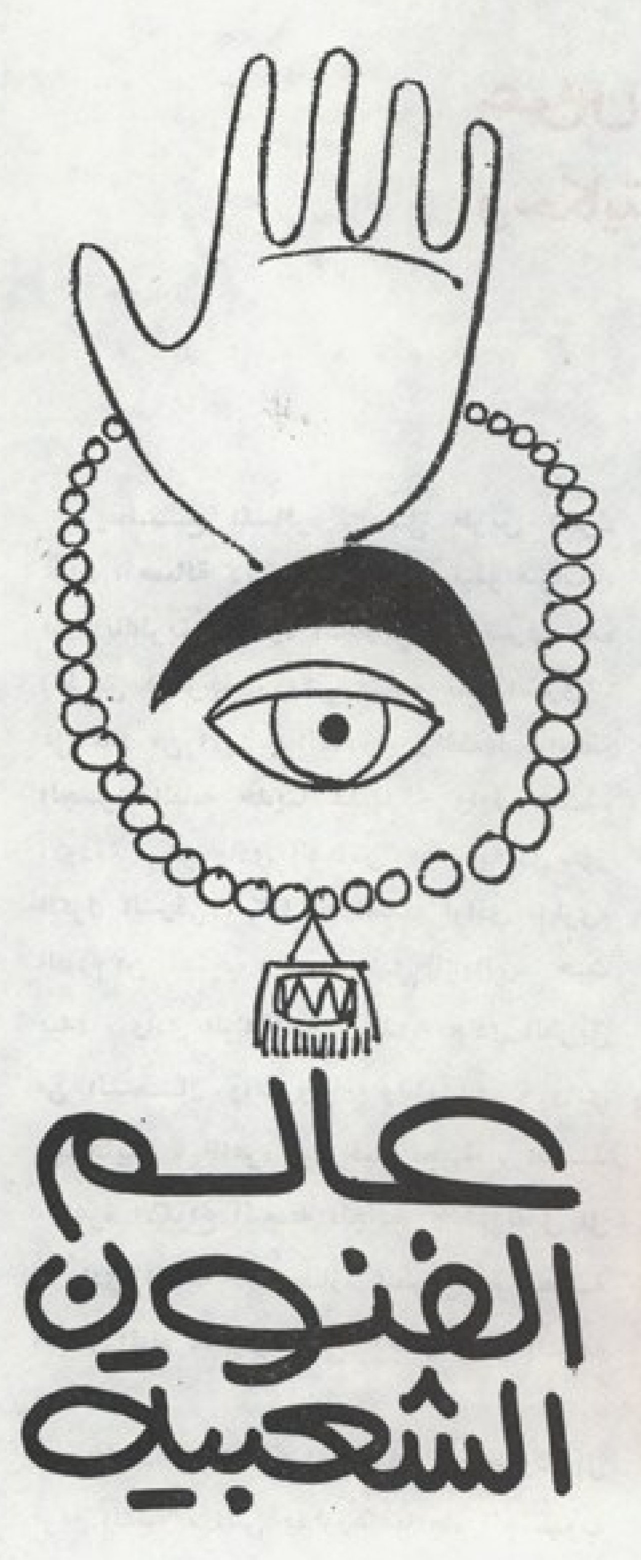
---

(١) يوجد فيه شقان يفصل بين كل منهما واسط

(٢) المثولث ثلاثة شقق يفصل بين كل شق واسط

(٣) المروبع أربعة شقق

(٤) المخومس خمسة شقق يفصل بين كل شق واسط او سام ٠


عالم
الفنون
الشعبية

القرينة

عرس الربيع وافراحه
وحكاية قرينية الثور

عيسى جراجره الضمور

يقطع المسافر ، على طريق الكرك عمان ، مسافة لاتزيد على خمسة كيلو مترات ، مارا بالطريق الكثيرة التعاريج ۰ وتشرف هذه الطريق المتعرجة ، وهي متجهة نحو الشرق ، على عدد من الاودية الجافة ، وتقطعها بواسطة الجسور المقامة حديثا عليها ۰ واول هذه الاودية ، هو وادي الزياتين ، وهو يحاذي سور الكرك الشرقي ، كما انه امتداد لوادي «اطوى» القادم من الجنوب وينتهي وادي الزياتين ، حيث يبدأ « وادي البندقاينة » الذي يحاذي الطريق من الشمال والشرق ۰ وتظهر في « وادي البندقاينة » ظاهرة جغرافية عجيبة ، اقصد «ظاهرة الاكواع المتعمقة الجافة» ۰ ثم نصل الى « وادي الثنية » وتجتازه الطريق بواسطة الجسر المقام عليه والمسمى « جسر وادي الثنية»

بعد ذلك كله يصل المسافر في صعوده الى قرية الثنية ، التي يجاورها باتجاه الجنوب الغربي نبع بيار الثنية وباتجاه الجنوب الشرقي تقع المنطقة الصخرية المستوية المسماة « بيادر الصبحيات » التي تستعمل كاماكن (اجران) لجمع المحصول ۰ ويمتد الى الشرق من قرية الثنية ، سهول واسعة مستوية مفتوحة ، تمتد بامتداد الافق ۰ وتسمى هذه السهول المرعة الخصبة « بفج الثنية » ۰ ويكون الفج الجزء الغربي فقط من هذه السهول الواسعة المفتوحة ، كما تكون سهول «المريغة» الجزء الشرقي منها ۰

وتستمر هذه السهول ممتدة واسعة مفتوحة خصبة ممرعة ، كمزارع في قسمها الغربي ، وكمراع في اقسامها الشرقية ، حتى تتصل بالصحراء ۰ وتدعى هذه السهول كلها باقسامها الغربية (فج الثنية) والشرقية (سهول المريغة) بفج العسيكر أو اراضي المشاريق ۰

وقد كانت هذه المناطق ، ارضا ومسرحا وموئلا ،لافراح جزء كبير من اهالي وسكان الكرك وعشائرها ، الذين كانوا يعتنون بتربية المواشي والاغنام ۰ وقد كانت عنايتهم بتربية الماشية والاغنام سببا في تنقلهم وارتحالهم من مكان لاخر ۰ وتختلف الامكنة ، باختلاف الفصول ، واختلاف سبب الرحلة والانتقال ۰

فنجدهم في الجزء الاكبر من فصل الصيف ، وحتى منتصف الخريف ، يراوحون بين الاقامة والاستقرار في المناطق المسماة «المغاريب» او الارتحال عنها الى المشاريق والمشاتي . والمغاريب هي المناطق الجبلية والمرتفعة في اكثرها الواقعة غربا وعلى مقربة من مدينة الكرك[1] ، بالاضافة الى بعض القرى المأهولة .

وتمتد هذه القرى الى الشمال والجنوب ، وكانها مبنية حسب تخطيط مسبق على خط وهمي ، يخرج من الكرك نحو الشمال والجنوب .

وفي مدينة الكرك يقوم الاهالي بخزن انتاج مواشيهم واغنامهم ، من سمن ولبن وصوف ، كما تخزن العشائر ما زرعته او قامت بشرائه من حبوب القمح والشعير وغيرها من الحبوب والمواد التموينية ، التي تلزم لغذائهم هم ولاطعام اغنامهم ومواشيهم في فصل الشتاء .

ومع بدايات منتصف فصل الخريف يبدأ الناس بالاتجاه نحو « المشاريق والمشاتي» وهي المناطق الواقعة الى الشرق من فج العسيكر ، والتي تبدأ بالمنطقة المسماة « الدبة » ووادي الدكاكين[2] وهو الوادي المليء بالمغاور والكهوف الصالحة لوقاية الاغنام والمواشي والرعاة واللواحيق عند الحاجة من برد الشتاء ومطره . كما تمتد منطقة المشاريق والمشاتي نحو الشرق حتى الصحراء او حتى الاطراف الغربية من البادية بتعبير ادق ، كما يوجد في هذه المناطق في اقسامها الشرقية البعيدة ، بعض القصور الصحراوية القديمة الدارسة ، والمغاور المحفورة في الصخر . ويشرب الرعاة واللواحيق واغنامهم ومواشيهم ، من نبع هنا يسمى « الحفاير » ، كما يذكر بعض الناس وجود صخر يشتعل ، يفيدون منه في بعض اغراض الطبخ واستعمالاته .

ولا يستمر في العادة اصحاب واهالي الاغنام والمواشي معها ، في رحلتهم نحو المشاريق والمشاتي ، بل يكتفون بالوصول الى اطرافها الغربية الوطيئة والمنخفضة والصالحة لسكناهم ، في ايام الشتاء والبرد ، مثل منطقة الغوير[3] وزحوم وغيرها ، حيث يضربون بيوت الشعر ، ويكونون على مقربة من اغنامهم ومواشيهم في المشاريق والمشاتي .

ومع بدايات الربيع ، يبدأ الرعاة واللاحيق (ومفردها لاحوق وهم الافراد الذين يساعدون الرعاة في عملهم ويحرسون الاغنام والمواشي ليلا) رحلتهم تاركين المشاريق والمشاتي البعيدة عائدين الى الغرب نحو سهول فج الثنية والعسيكر . كما يترك الناس الاماكن الوطيئة والمنخفضة ، التي كانوا يقيمون فيها في فصل الشتاء . ويبداون بضرب مضاربهم وبيوت الشعر في السهول كذلك . ويبدا اصحاب الاغنام والمواشي عملية حلب اغنامهم ومواشيهم وخضها لاستخراج الزبدة . وتجمع الزبدة المستخرجة في مداهن (وهي اوعية مصنوعة من جلود الاغنام) . وتستمر عملية تجميع الزبدة في هذه المداهن وتقرن وتسمط باسم احد الاولياء او اولي العزم ، من الذين يعتقد الناس هنا بكراماتهم لكونهم من الاولياء الصالحين ، ولكل عشيرة او قبيلة واحد يعتقدون به وتسمط وتقرن الزبدة باسمه ، مثل جعفر الطيار ، لعشائر الطراونة والضمور ، والصرايره ، وضمرة للضمور فقط ، وعلي بن عليم ساكن الشرق وهو احد اعلام الصوفية في منطقة جنوب فلسطين للمبيضين ، والخضر الاخضر للشمايلة والبدلوي ، والصوالحة للضمور كذلك .

وعادة التسميط والاقران هذه تنحدر من اعتقادات خرافيه قديمة ، ذات جذور دينيــة واسطورية ، تعتقد انه يجب ان يكون لكل قبيلة او عشيرة ، ولي يحميها من العين الشريرة والارواح الشريرة من ناحية ، ويساعدها على القيام بالاعمال الخيرة من ناحية اخرى ٠

ويقصد بالتسميط والاقران ، تجميع الزبده دون التصرف بها لاستعمالات الغذاء اليومية ، حتى تكثر ، وتكفي لاقامة حفلة القران او القرينية في اليوم المخصص لكــل شخص ٠ والقصد من تجميع الزبدة هو لتحويلها كلها ومرة واحدة الى سمن بعد اضافة «الحواجة[٤]» اليها ، استعدادا لاقامة حفلة القرينية عرس الربيع والفراحه ٠ وهي مظهر من مظاهر الحياة الشعبية الجميلة والرائعة التي تقهقرت ، ثم تلاشت وانقرضت امام طغيان مظاهر الحياة الحديثة ، وحلول الآلة والانتاج الصناعي والآلي بدل الانتاج والصناعة اليدوية ، ولزيــادة الاعتماد على الزراعة ، والاتجاه نحو الاستقرار بدل التنقل وتربية الماشية والاغنام ٠

ويقوم كل واحد في « العرب » بتقديــم القرينية ٠ والعرب هو مجموع بيوت الشعر والمضارب ، بينما « الفريق » هو مجموعة من بيوت الشعر والمضارب لاتزيد عن عشرة وتقدم القرينية للناس والمجاورين ، والضيوف والرعاة واللاحيق ، طيلة يوم كامل ٠ وذلك بتقديــم « عيش الربيع » وهو عبارة عن القمح المجروش المطبوخ باللبن ، بعد تغطيته بالسمن البلدي الاصيل ، المستخرج من الزبده التي سمطت باسم احد الاولياء ٠ وقــد يرتب الشخص الميسور الواسع الغنى ، الصحون او الصدور المليئة « بالعيش » بحيث يتلو الصحن الصحن ويكون اعلى منه ، ليتسنى للسمن المسكوب الانتقال من الصحن او الصدر الاعلى الى الادنى ، ويلذ العيش للاكلين من الاضياف واعضــاء العرب وغيرهم ٠ ويسمى ترتيب الصحون المليئة بالعيش ، بطريقة متصاعدة متتالية ، واسالة السمن المسكوب من الصحن الاعلى الى الادنى — بواسطة خبز « الشراك » الرقيق المخبوز عــلى الصاج « المادم » ، اي توزيع السمن واسالته على الصحون لياكل الاكلون ، ويلذ الطعام ٠ وهناك من يسكب السمن من المدهنة وهي وعاء مصنوع من جلد الغنم ، بغزارة وبكميات وافرة، على الصحون التي تقدم للناس والحاضرين ٠

وعادة يقدم القرينية — عرس الربيــع والفراحه — اصحاب الأغنام والماعز فقط دون غيرهم ولا يقدمها من يملك الابقار وثيران الحراثة ، او الذين لايملكون عددا كافيا من الاغنام لتجميع كمية كافية من الزبدة لاقامة القرينية ٠

ومن الطرائف والمفارقات والحكايات التي حصلت ، في سالف الايام عندما كانت تقام حفلات القرينية ، ان ضرب احمد بشير الضمور (وهو متوفى وحفيده في سن الاربعين الآن ، وهو صاحب الشق [٥] ، وراس جماعته) اقول ضرب بيته ومضربه ، ولم يكن عنده الا راس واحد من الثيران ، ولهذا فهو لا يقيم القرينية ، ولا يلحقه اي حرج من ذلك ، في مكان كان قد احتله في العام المنصرم مسلم الملاحمة (متوفى وحفيده محام في الاربعين) ، ومسلم هذا كرجل غني وميسور يقيم ويقدم القرينية ، وبالفعل فقد اقامها للناس والمجاورين والاضياف والرعاة واللاحيق على حد سواء في العام المنصرم في ذات المكان الذي يحتله هذا العام احمد بشير ٠

وفي موعد البدء باقامة حفلة القرينية ، لاحظ مسلم ان المكان ذاته هذا العام ، لن

يطرب باحاديث الناس وهمساتهم ، ولن يسعد بدبيب اقدامهم في الرواح والقدوم ، ولن يرتوي بالسمن المتسرب ، او المتناثر من ايدي الآكلين للقرينية ، ولن تختلط ذرات ترابه بالمتساقط من العيش المعجون بالسمن الاصيل ، ذي العبق الزكي ، ولن تعلو فيه اصوات الصحون ، بين امتلاء وتفريغ وفراغ ، بفعل اكل الاكلين . فقال مسلم ملمحا في جمع حاشد من الناس هل يجوز للشخص الذي لايملك الا ثورا ، ولايقيم القرينية ولا يقدمها ان يضرب مضربه وبيته ، في مكان وعلى مقربة من بيوت ومضارب ، اصحاب الأغنام الذين يستطيعون ان يقيموا او يقدموا القرينية ؟ ؟ . وسمع احمد التلميح وفهمه ، واراد ان يرد كيد الكائد الى نحره . وصبر عدة ايام ثم طلب الاذن من الناس في « العرب » ان يكون له دور في القران واقامة القرينية . وكان قبلها قد ذهب سرا الى مدينة الكرك ، واشترى كمية وافرة من السمن واحضرها واقام عندما جاء دوره حفلة القرينية الخاصة به ، وسكب من السمن على صحون العيش كميات وافرة ، وزائدة عن الحد . كما اسال في « المادم » كمية وافرة اخرى من السمن، وسعد الناس والمجاورون والرعاة واللاحيق والاضياف بذلك كله . وخلال ذلك كله كان يقول هذه « قرينية الثور » ملمحا الى انه لا يملك الا راسا واحدا من الثيران ، ومع ذلك وجد السمن الكافي لاقامة القرينية ، ورد على تلميح الذي لمح ، واردف قائلا هذه قرينية الثور ، وصاحب الشق ، موضحا للناس ان اقامة حفلة القرينية ليست وقفا على اصحاب الاغنام فقط .

وذهبت القصة والحكاية مثلا ، قرينية الثور وصاحب الشق . وخجل مسلم من تلميحه ذاك واعتذر عنه . ومرت الايام وراء الايام وطابت النفوس . وبقيت القصة والمثل تتناقلهما الاجيال بعد الاجيال ، ليبقى عبق وظلال وايحاءات ذلك المظهر من مظاهر الحياة الشعبية حيا في خيال ونفوس الناس .

شروح وتعليقات

(١) الكرك : وتسمى القصبة للدلالة على حدودبلدية الكرك فيما بعد ، تمييزالها عن الكرك بمعنى المحافظة او منطقة الكرك الجغرافية الممتدة من السيل ، أي من الموجب شمالا الى الحسا جنوبا .

(٢) الدبه : هي المنطقة الواصلة ما بين الهضبة الصحراوية وسهول فج العسيكر الواسعة المسنوية ، وسميت لانحدار كبير في الطريق المار بها والواصل بين المنطقتين أما وادي الدكاكين ، فسمي كذلك لان المغاور (المغاير) والكهوف متلاصقة متتابعة متناسقة ، وكانها صفوف من دكاكين او حوانيت في شارع من مدينة . ويسمى الوادي كذلك باسم وادي الصير لان الرعاة يقيمون سورا حول مساحة من الارض امام المغاور كافية ، لتهجع فيها الاغنام في الاوقات غير الماطرة .

(٣)الغوير : وسميت بهذا الاسم لانخفاضها ، وقد استقر بها المزارعون واصحاب الاراضي الزراعية المحيطة بها ، وتفجرت بها الآن المياه من الابار الارتوازية .

(٤) الحواجة : وهي مصنوعة من خليط البهارات ومواد العطارة الاخرى ، وتضاف الى السمن لاعطائه نكهة زكية وعبقا أخاذا .

(٥) الشق : الجزء المخصص من بيت الشعر للضيوف .

التاريخ الشعبي

بقلم : نصر المجالي

لقد عرف التاريخ منذ زمن بعيد في تاريخ الدولة العربية في عهد الخليفة الاسلامي عمر بن الخطاب ، حيث وضع التاريخ الهجري للدولة الاسلامية العربية – واصبحت السنوات تعد وتعرف حسب السنة الأولى للهجرة – هجرة الرسول عليه السلام – وابتداء منها • واستمر هذا التاريخ حتى وقتنا الحاضر ، الى أن اقبلت الدولة التركية حيث اصبحت البلاد بلا دولة تصرف شؤونها ولا من ضابط يضبطها ، الى أن عادوا مكانهم والتاريخ يعيد نفسه، لا يعوقه شيء • وأثرت فيهم الناحية العلمية المتأخرة وعدم الاستقرار فلم يعودوا يسيرون تاريخهم على النظام الهجري ، حيث بدأوا يؤرخون حسب حوادث دارت عندهم وتكون بارزة الأهمية كموت زعيم او ميلاده او غزوة معينة وغيرها فهم عندما يؤرخون لحادثة ما يقولون (سنة الغزوة الفلانية صار كذا) أو (سنة موت فلان ولد فلان) وعلى هذا النحو ، حتى قامت ثورة الكرك سنة ١٩٠٨ ، حيث أصبحت هذه الثورة والتي يسمونها (الهبة) تأريخا لهم فهم يقولون (سنة الهبة ولد فلان) أو (سنة الهبة حج فلان) وغيره وعلى هذا النحو ، هذا بالنسبة للحوادث السنوية والتاريخ السنوي لها •

أما بالنسبة للتاريخ الشهري فلم يعودوا يسيرون على نظام شهري معين فهم اصطفوا اسماء لأشهر يسيرونها حسب رغبتهم حيث تختلف عن الاشهر الهجرية أو الميلادية على حد سواء ، وان تشابهت بعض الأسماء والترتيب فلقد اطلقوا عليها الاسماء تبعا للأنواء

الجوية والطقس فهم يقولون كلمة (أجرد) كناية عن أن الارض جرداء ، وتعني في التقسيم المعروف الخريف حيث لا شيء أخضر ولا نبات ٠

ولنقارن الآن بين التسميات الشهرية التي أطلقوها على أشهرهم الشعبية وبين تسميات الاشهر الهجرية والميلادية :

الاشهر العامية الشعبية	الاشهر الغربية الميلادية	الاشهر العربية الهجرية
ثاني صفر	تشرين أول	شوال
ثالث صفر	تشرين ثاني	ذو القدة
أجرد	كانون اول	ذو الحجة
كانون	كانون ثاني	محرم
شباط	شباط	صفر
آذار	شباط	ربيع أول
الخميس	نيسان	ربيع ثاني
جمادي	أيار	جمادي اولى
أول قيظ	حزيران	جمادي ثانية
ثاني قيظ	تموز	رجب
ثالث قيظ	آب	شعبان
أول صفر	ايلول	رمضان

حتى في تسمية فصول السنة عندهم في وقت الفلاحة والشتاء ، وذلك حين يسمون فصول الشتاء أو كانون (وقت الحسوم) أو (المربعانية) أي أنها شديدة الزمهرير ، وان الطقس بارد ، وتمتد الحسوم هذه من أوائل كانون اول حتى أواخر شباط ٠

أما الخماسين فتستمر من أوائل آذار حتى أوائل أيار حتى يكون بها السعود ، والسعود (جمع سعد) وتقسم الى أربعة أوقات معينة مرتبة :

١ ـ سعد ذبح :

وتبدأ من أول شباط حتى منتصفه وبهذا يكون الجو باردا ولا تنزل به الأمطار ٠

٢ ـ سعد السعود :

وهو الوقت الذي « تدب فيـــه الميـــة في العود » ويبــدأ من منتصف شباط وينتهي في الثلاثين منه ، وهــو في عرفهم ابتداء سقوط الجمرة الأولى ومعناه حلول الدفء في المنطقة ٠

٣ ـ سعد بلع :

وهو موعد سقوط الجمرة الثانية أنه ازدياد في الدفء حتى ولو أمطرت السماء ، فان الجو يكون دفيئــا ـ وسميت هذه الفترة سعدا بلع لأن المطر النازل تبتلعه الارض حال نزوله ويكون وقتها ابتداء نيسان حيــث يقولون (شتوة نيسان تسوي السكة والفدان)أي أنها لها أهميتها باعادة الحياة الى الأرض ٠

٤ ـ سعد الخبايا:

(سقوط الجمرة الثالثة) ٠ وهو ابتداء فصل الربيع ويكون ابتداء شهر أيار حيث يعم الدفء وسميت سعــد الخبايا ، لأن الزواحف المخبأة والتي تهاب البرد تخرج في هذا الوقت ٠

وبالنسبة لهذا التوقيت الشعبي ارتبطت لديهم حوادث معينة كقولهم (في توالي ـ أواخر ـ جمادي سنة كذا تزوج فلان من فلانة) ٠ أو (في أوايل آذار مات فلان الله يرحمه) ٠

وهناك توقيت يومي لهم ، حيث لا ساعة لتعين الوقت ، فانهم يعوضون ذلك بعمود الشمس فلديهم معرفة خاصة بذلك ، حيث يقاس الظل في الصبـــاح ووقت الظهيرة والغروب ، فاذا ما كان الظل أطول من صاحبه ويميل غربا فان الدنيا مازالت صبحا (صباحا) واذا ماتناقص الظـــل لنصفه فان الوقت ضحى واذا مـــا اضمحل الظل وقت الظهيرة فان وقت الصلاة قد حان ، وما الى ذلـــك من تعيينات للوقت ، حيث يسمون الفترة بين الصبح والظهر (ضحوة) والفترة بين الظهر والمغرب تسمى (عصرية) ، حيث أنهم حين يسقون شياهم صباحا يقولون (صبحـوا الشيـــاه) واذا سقوها عصرا سموها (غبقة) ٠

هذا بالنسبة للتاريخ الشعبي ذلك الموضوع الواسع الشمول ، الا أنهم مع لمعات العلم والحضارة أصبحوا يتدرجون في معرفة التواريخ والاحداث وتعيين السنين ٠

الا انهم لايزالون يستعملـــون الأشهر العاميـــة في حســـاب اشهر الرعيان والفلاحه ، الا أنهم يستعملون السنين كنقطة معينة مثل حرب عام ١٩٤٨ ، حيث يقولون سنة (هبـــة القدس) أو حرب السويس (١٩٥٦) وغيرها من الحوادث ، أما بالنسبة للحوادث اليومية فالساعة اليوم لا تخلو منها يد علما بأنهم لا يزالـــون يستعملون المقاييس الشمسية حيـــث يقولون (الشمس طول رمحين) أي ان النهار أصبح في ثلثه الاول ٠٠ وما الى ذلك من مصطلحات شعبية ٠

حوادث لها ارتباط بتعيين التاريخ في الكرك ٠

١ ـ سنة دخول الدولة ـ دولـــة ابراهيم باشا سنـــة ١٨٣٢ ، حيث دخل فاتحا واعتبرت هذه السنة تاريخا في الكرك ويقولون بذلك مثالاً (سنة دخول الدولة ٠٠ مات فلان الله يرحمه ٠٠٠)

٢ ـ هبة الكرك ـ ثورة الكرك سنة ١٩٠٨ م ٠

٣ ـ الحرب العالمية الأولى سنـــة ١٩١٤ ويقولون سنة الحـــرب الأولى (الاولية) ٠

٤ ـ دخول الامير عبـــد الله سنـــة ١٩٢٠ الى البلاد حيث ارتبطت هذه بتواريخ وحوادث مشهورة في الكرك ٠

٥ ـ الحرب العالمية الثانية سنـــة ١٩٣٩ م ٠

٦ ـ وفاة حسين الطراونه سنـــة ١٩٥٠ م وهـــو من الرجـــال المعروفـــين والبـــارزين عـــلى المستوى الاردني ٠

٧ ـ وفاة رفيفان المجالي سنـــة ١٩٤٥ وهو زعيم الكرك ٠

٨ ـ ثلجة ابو الغنم سنـــة ١٩٤٨ م وهو المرحوم محمد ابو الغنـــم وكان مديرا لدائرة الأراضـــي والمساحة في الكرك قتل عـــام ١٩٤٨ في عاصفة ثلجية نسب اسمها له ٠

٩ ـ سنة الرزة سنة ١٩٢٧ م حيث أنه حدث هزة ارضية في الكرك سنة ١٩٢٧ م حيث أن أهـــل الكرك يطلقـــون على الهزة الأرضية اسم (الرزة) ٠

أغاني الفلاحين في الكرك

يتكون غناء الفلاحين من اهازيج ومقطوعات تتردد في مواسمهم المختلفة وحفلات العرس عندهم ، ومن بعض المقطوعات الاخرى في البكاء والندب ، يرددونها عندما يخترم الموت أحد الناس المرموقين . وهذا الغناء خليط من اللهجة البدوية والالفاظ العامية . ويكون ترديده في أغلب الاحيان وقفا على النساء . عدا بعض الألوان الحماسية والحداء الذي يغنيه الرجال على صهوات الجياد وفي حفلات السمر التي قد تسبق زفة العريس . بيد أن الغناء البدوي ترك طابعه وتأثيره على اكثر اغاني الفلاحين اذ ان معظم الفاظه واساليبه ترجع في اساسها الى أصول بدوية ، لأن البداوة أساسا في عماد هذا المجتمع في محافظة الكرك ، ترتبط اصوله ارتباطا وثيقا باصول الحياة البدوية وانماط معيشتها ، برغم نزوع أهلها الى الحياة المدنية وتطورهم من حياة البداوة الى حياة الاستقرار في المدن والقرى ، وبرغم ذلك فاننا نجد في سماع هذا الغناء لذة فائقة تبعث في السامعين نشوة حسية عارمة ، ولاسيما اذا كان صادرا من حناجر ناعمة . غير انني وجدت صعوبة بالغة في تصنيفه وابراز معالمه كما فعلت في دراستي عن الغناء البدوي . ويعزى هذا السبب الى عدم وجود روابط قياسية بين اوزانه ومقاطعه عدا انواع قليلة منه يحكمها الوزن والقافية . على أنه توجد ألوان معينة تنشد في المناسبات المختلفة كزفة العريس ، وعند وداع العروس او السامر ، وهي الانواع التي ساروا فيها على النهج البدوي . ولذا فقد جاءت سائغة مقبولة نوعا ما .

وهناك أهازيج شائعة تتردد بين السكان الا أنها مستوردة من الخارج ، ولا تعتبر ضمن الغناء الشعبي الاصلي للمحافظة كاغاني «الدلعونا» «وغزيل» « وزريف الطول » و « الميجنا » وبعض (المواويل) الاخرى ٠ وهذه الاغاني ترجع في اصولها الى الاغاني السعودية واللبنانية او العراقية والسوريـة ، فقد اقتبس المغنـون هـذه الاغاني وتصرفوا في الفاظها مع احتفاظهـم بالحانها الاصلية تقريبا ومع طـول تداولها وترديدها صبغوها بالطابـع المحلي للبلد فمثلا يقول المغني مقطعا من الدلعونا ٠

قصي شاليشك اوعي لا تروحي

صار الملاقى عا النبي نـوح

ذوبت عقلي جسمي مع روحـي

انـا المتيـم بالله ارحمينـا

وكما هو معروف أن مقام النبي نوح عليه السـلام يقع الى الجهـة الغربية من الكرك ٠

وقس على ذلك معظم محافظـات المملكة فقد قال المغني في السلط :

يا زريف الطول وطايح وادي شعيب

والشعر الاشقر لحـد الكعيـب



ووادي شعيب هو سيل يقـع بالقرب من السلط ٠

ومعظم اغاني الفلاحـين قطوف ومقاطـع تسـير على نسـق الشعر العمـودي الثنـائي أو الـرباعي وقوافيه تتبدل وتتغير بعد كل مقطع ولا تحيد عن هذه القاعدة الى نهايـة الاغنية ٠

اغاني الفلاحين في الميزان

لانستطيع ان ننقد هذا الغناء نقدا صحيحا مبنيا على قواعد سليمة في النقد كما فعلنا في الغناء البدوي ٠ فهو في مجموعه خليط من الالفاظ البدوية واللهجة العامية ٠ فقد يسف احيانا حتـى يصـل الى مستـوى الركاكة والابتذال ٠ ونجد المغنـي يحشر فيه من الالفاظ والجمل بدون

تمييز أو تمحيص بغض النظر عن جميع الاعتبارات الفنية للغناء والشعر ولكن فقط ليستقيم له الوزن الذي يتناسب مع سياق اللحن لهذه المقطوعة أو الاغنية•وعلى سبيل المثال فلنقرأ هذين البيتين فاننا نجد ان البيت الأول يغاير البيت الذي يليه في معناه ومضمونه وانما اتي به المغني ليسد فراغ اللحن كما اسلفت وهذان البيتان هما :

هبت شراقي
وسرح الوز ما روح
عينك كحيله
وخدك برق يتلوح

فلو نظرنا الى البيت الثاني بالرغم من رشاقته وسلامة معناه فانه لايتناسب ابدا مع معنى البيت السابق ، اذ كيف يتفق كحل العين ولمعان الخد مع لفح الريح الشرقية التي تثير الغبار وتبعث الاشمئزاز في النفوس • وما علاقة ذلك برجوع اسراب الأوز السارحة في البرية • وبالاضافة الى ما تقدم فان المغني لايهتم بقوافيه كما يفعل شعراء البدو • فقد نجد قافية تتكرر بنفس لفظها في بيتين متتالين يؤلفان مقطعا واحد خلافا لقوانين الشعر والغناء ولنقرأ مثلا :

غصنين من الريحان
شقن عباته

نادوا على امه
تخيط عباته

البارحه البارحه
واليوم والليلة

يا موحش البارحة
ياموونس الليلة

فكلمة عباته تكررت مرتين في قوافي المقطع الأول وكلمة الليلة تكررت مرتين ايضا في المقطع الثاني هذا بالاضافة الى تكرار كلمة (البارحة) في مقطع مؤلف من بيتين وثماني كلمات فلقد وردت ثلاث مرات : اما فساد المعاني وسطحيتها فهو واضح ايضا في معظم هذه الاغاني ولنقرأ مثلا :

يا شجيرة الريحان
عامين مريحه
مريحه على فلان
معلق ذبيحه

فمعنى هذين البيتين سطحي ثقيل على السمع وتكرار لفظة مريحة مرتين فيهما يجعلهما ثقيلين لا تستسيغهما الأذن •

ومعظم الالفاظ التي تتكون منها هذه الاغاني غثة نابية وبعضها ثقيل

على السمع يكاد يوقره . ولولا اللحن الذي يقف كالحارس الأمين يحمـي هذه الاغاني لاصبحـت كومـة من الالفاظ والقوافي المكردسة لا يعبأ بها احد او هو كالاطار المذهب يحيـط برسم مشوه او صورة مطموسة المعالم وضع حواليها ليجذب انتباه الناس اليه بدلا منها . وهذا لا يمنع من أنه قد صدرت عن بعض القوالين والمغنين فلتات فنية رائعة وابيات عامرة اللفظ جيدة المعنى قد يرجع سببها احيانا الى هـذا الجو المختلط بين الجنسين أو انها صدرت من عاشق محروم يرى محبوبته امـام عينيـه في سرب من رفيقاتها فينفس عن صدره بهذا الغناء الذي يترجم عواطفه واحاسيسـه فدفعه الحرمان لأن يقول ما قال او تلك الاغاني الحزينة التي تقال عند وداع العروس ، فقد تخرج مشبعة بالألم والأسى ولذا فاننا نشتم منها رائحة الشعر الحي ونلمح فيها خيالا فنيا خالصا . فمثلا يقول المغني ،

والله لاعلمـك

ما انا عليك جاحد

قلبي وقلبك سـوا

مفتاحهـن واحـد

ياطـايـح البـير

واسقيني بحفناتك

والله ما صيدي ظما

ودي محاكاتـك

خيتي يا فلانـه

ولا دمعه ولا الأخرى

بيتك حنين يزورك

ليلـة الدخلـه

فمعاني هذه الابيات جيـدة والفاظهانسبيا سليمة مستقيمة لا غبار عليها . والحان هذا الغناء بسيطـة حلوة تسير على نسق واحد لا تنويع فيها ولا تلوين بل يستمر نغم القطعة الواحدة على نفس الوتيرة ويلازمها الى نهاية الاغنية . ومن اشهر الاغاني في محافظة الكرك اغنيتان مشهورتان هما الترويدة والرجيد هذا بالاضافة الى اغاني السامر والشروقي والهجينـي التي يرددونها ببراعة واتقان عظيمين ومع انها من ضمن الغناء البدوي فان كثيرا من المغنين القرويين قد احترف هذا اللون من الغناء فأجادوا غناءه وبرعوا في نظمـه حتى بزوا البـدو انفسهم .

الأيـــدي التي باركها اللهُ

مراجعة : فاروق جرار

في الـذكرى العاشرة لتأسيس المجلس العالمي للحرف صدر هـذا الكتاب الفريد . وكان المجلس العالمي للحرف قد تأسس في اجتماع عالمي للحرفيين والمربين عقد في جامعـة كولومبيا في نيويورك عام ١٩٦٤. وقد اسهم المجلس خلال هذه السنـوات العشر في تعزيز الروابط بين الحرفيين في جميع قارات العالم بحيث أصبحت نشاطاته الآن يشارك فيها سبـع وسبعون بلدا .

وقد نشر الكتاب في الوقت الذي اقيم فيه المعرض العالمي الأول للحرف في مركز اونتاريو للعلوم في الفترة ما بين الحادي عشر من حزيران الى الثاني من ايلول عام ١٩٧٤ ، واختار له واضعوه اسم « الايدي التي باركها الله : الحرف المعاصرة في العالم » وأهدوه ذكرى عرفان واكبار الى ايلين اوسبورن ويب ومـارجريت ميروين باتش الامريكيتين اللتين كان لهما الفضل الاكبر في تأسيـس المجلس العالمي للحرف .

تـم طبع الكتاب في الولايـات المتحدة الاميركية وهو يقع في مائتين وأربع وعشرين صفحة من القطع الكبير ، ويحتوي على مائتين وثلاث وأربعين صورة فوتوغرافية لحرف يدوية بلغت حدا من الجمال الحسي يقصر عنـه الوصف وتنتمي للبلدان التالية : مصر استراليا ، النمسـا ، بوليفيا ، الكاميرون ، كندا ، سيلان ، كولومبيا ، قبرص ، تشيكوسلوفاكيا ، داهومي ، الدنمـارك ، الاكوادور ، اثيوبيا ، فنلندا ، فرنسا ، المانيا الغربية ، غانا ، جواتيمالا ، المجر ، الهند ، اندونيسيا ، ايرلندا ، ساحل العاج ، اليابان ، الاردن ، كوريا الجنوبية ، مالي ، مالطا ، المكسيك ، المغرب ، نيبال ، هولندا ، نيوزيلندا ، النيجر ، نيجيريـا ، النرويـج ، بـاناما ، البراغـواي ، البيرو ، بولنـدا ، السنغال ، اسبانيا ، السويـد ، سويسرا ، تايلاند ، المملكة المتحدة ، الولايات المتحدة الاميركية ، فنزويلا ، وغيرها .



(٣)

وقد وضع اكتافيو باز دراسة في أول الكتاب عن استعمال الصناعات اليدوية وما يولده التأمل فيها من اشعاعات جمالية ، ومن ابرز ماورد فيها قوله « كان يظن ـ لسنوات قليلة خلت ـ ان الصناعات اليدوية مقدر لها ان تتلاشى لتحل محلها الصناعات من نتاج الآلة ، الا اننا نرى اليوم ان مايحدث هو العكس تماما اذ أن الصناعات اليدوية تأخذ مكانا مرموقا في التجارة العالمية ٠٠٠٠ ونلاحظ ان بعث الصناعات اليدوية يكون على أشده في المجتمعات التي تكتظ بنتاج الآلات ٠٠٠٠ والعديد من الشباب الذين أصابهم المجتمع الحديث بالقرف قد عادوا الى الصناعات اليدوية ٠٠٠٠ » ، وقوله « ٠٠٠٠ان مايصنع باليد ليس مفيدا فحسب بل جميل أيضا ، وهو يبقى فترة طويلة وتزداد قيمته الفنية مع

تقادم الزمن عليه ، وهو ليس فريدا في نوعه كاللوحة الفنية مثلا ويمكن استبداله بما يماثله في الصنعة دون أن يكون بينهما تطابق كامل · ان ما يصنعه الحرفي بيديه يعلمنا معنى الموت ومن ثم يعلمنا معنى الحياة » ·

كما وضع جيمس س · بلوت السكرتير العام للمجلس العالمي للحرف مقدمة ذكر فيها ان جميع العينات المصورة في الكتاب تم اختيارها من قبل لجنة عالميه لتعرض في المعرض العالمي الاول للحرف الذي ضم اكثر من خمسمائة عينة من صناعات الحرفيين اليدوية من اكثر من خمسين بلدا · وعليه فان هذا الكتاب ليس موسوعة للحرف في العالم وليس دليلا فنيا وضع لارشاد القارىء وتسهيل مهمة عمل العينات ، بل هو – مثله في ذلك مثل المعرض العالمي


(١)


(٢)

الاول للحرف – اداة تنظر من خلالها في الحرف المعاصرة وفي الاحوال الاقتصادية والاجتماعية التي تحيط بالحرفيين في ارجاء العالم ، وفي المركز الذي يحتله الحرفي في عالمنا المعاصر ·

فالحرفيون مهما اختلفت اصولهم وتقاليدهم واوضاعهم الاجتماعية وبلدانهم لديهم قاسم مشترك وهو تلك الموهبة العظيمة التي حباهم الله بها في ايديهم التي يعملون بها ·

وهذا القاسم المشترك – وهو طريقة العمل – يتخطى جميع حدود اللغة والعادات ويكون اساسا للغة عالمية مشتركة تمكن الحرفيين من الاتصال بشكل مفيد ومرض ·

ان الحرفي–يقول بلوت–هو صانع ، يستعمل يديه للتشكيل والرسم والنسج والخياطة والنحت الخ ···



(٤)

وهو في الوقت ذاته يقف في الجهة المقابلة للعامل الصناعي من ناحية ويعتبر مكملا له من ناحية أخرى ٠

وهو يكمل العامل الصناعي لان العديد من الصناعات تحتاج الى مهارة اليدين كما هو الحال في الصناعات الالكترونية الدقيقة في مرحلة التجميع ويقف في الجهة المقابلة له كنقيض لان ما يصنع باليد يختلف عن النتاج الصناعي : يختلف في المفهوم ، وفي الصناعة وفي الاستعمال ٠

وقد ضم كتاب « الايدي التي باركها الله » اربعة أعمال من الاردن هي :

١ ـ حقيبة صوفية من صنع هاني معايعة (اعطيت رقم ٢٤ في الكتاب) مزينة وملونة طولها ٥٢سم وعرضها ٣٦ سم ، ومثل هذه الحقيبة تضعها العروس ـ يوم الزفاف ـ على الحائط لتوضع فيها الهدايا ٠

٢ ـ قلادة من صنع ابراهيم يوسف مكونة من العملات القديمة والعنبر طولها ٥٦ سم ، حيث أن العملات كثيرا ما تستعمل للزينة في منطقة الشرق الأوسط

٣ ـ بساط من صنع مادبا مغزول من صوف الغنم وهو منتشر في منطقة الكرك طوله ٤٠٠ سم وعرضه ١٨٥ سم ٠

٤ ـ « خمسة وخميسة » التي تجلب الحظ والسعادة وتدفع الحسد من صنع زكريا يعقوب ، وهي مصنوعة من الفضة والتركواز وطول أطولها ١٢ سم ٠

الأواني
و
الأدوات المنزلية

في قريتنا (السافرية(١)) مجموعة من الأواني والأدوات المنزلية التي تسترعي انتباه الباحث الشعبي من حيث دراستها والكتابة عنها لكي لا تضيع تلك الأدوات وتندثر مع غيرها من الأدوات التي عايشتنا منذ زمن طويل ، وهي من الأهمية بحيث كانت ضرورية للناس بشكل لايمكن معه الاستغناء عنها ، رغم بساطتها من حيث مادتها وصناعتها .

والآن ، فاننا نواجه السؤال

(١) تقع قرية السافرية على الخط الحديدي الممتد بين يافا واللد وهي من قضاء يافا لواء اللد وثالثة قرى القضاء اذ بلغ عدد سكانها سنة ١٩٤٨ ستة آلاف نسمة . يشتغل معظم أهالي السافرية بالزراعة واهمها بيارات البرتقال وكافة أنواع الحمضيات بالاضافة الى البساتين والكروم والمقاثي واعمال الفلاحة الاخرى ، وغني عن القول أن التراث الشعبي فيها يشبه تماما والى حد كبير غيرها من القرى المجاورة .



التالي ٠٠ من حيث تصنيف وترتيب هذه الأواني ، :

هل نصنفها بالنسبة لمعدنها أو مادتها ، أم بالنسبة الى مجـــال استعمالها ، وبمعنى آخر هل نفرز الأداة المعدنية على حـدة وكذلـك الفخارية ، والخشبية أم تصنف على أساس المجال الذي تخدمنا فيه ؟ ٠٠

وعليه ، فقد رأيت التصنيـف الثاني هو الأنسب ، أما من حيث الترتيب ، فان المرء يحتار في أي الأواني أهم ٠٠٠ هل هي الباطية ؟ أم القدر ، خصوصا وان لكل وجهة نظره في الموضوع ، وبناء على ذلك فقد كان لابد من الأخذ بالترتيب الأبجدي ٠

وأحب أن أضيف ، أن ليس هناك شعرة فاصلة بين ما هو مستعمل في الأكل وما هو مستعمل في الشرب ، والأمثلة كثيرة في هذا البحث

وبما أننا بصدد الحديث عـن الأواني والأدوات المنزلية فان ذلـك سيقودنا بالضرورة للحديث عن كل



ما له صلة وثيقة بالطعام والشراب ولكن في حدود المعقول ، والقاعدة التي تحكم ذلك هو ما كان استعماله في داخل المنزل ، ولكن قد يشذ عـن القاعدة بعض الاستثناءات ، فالطابون أهم أداة لتحضير الخبز قد تقع في خارج المنزل لسبب أو لآخر ، كذلك المطمورة التي تعتبر أكبر مستودع يحفظ فيها الفلاح حصيلة الحصاد ، دون أن يقودنا ذلك للحديث عن أدوات الحراثة والحصاد باعتبارهما أدوات تدخل المنزل ، وتساعد في تحضير مادة الطعام ٠

الساوريّة

أواني وادوات الطعام

١ ـ الباطية :

من الخشب وغالبا ماتكون قطعة واحدة من جذوع الأشجار التي تستورد من الخارج ، ويمكن اصلاحها اذا كسرت بالمسامير والقصدير ، وجمعها (بواطي) ومن أحجامها ما هو عادي أو كبير أو كبير جدا الى درجة أن ملء الواحدة يكفي لأكثر من خمسين شخصا ، ويستعمل هذا النوع في الولائم والمناسبات ، أما الباطية من الحجم العادي واسمها (باطية العيلة) ، فتستعمل للعجين وللخبز في آن واحد ، (ويفتل) نيها المفتول ، ويؤكل ، كما يؤكل فيها المفلفل والثريد ، وتجلس العائلة بكاملها حول الباطية في الأكلات الشعبية المعروفة كالمفتول دفعة واحدة أما غطاؤها فهو طبق القش الذي يصنع خصيصا لهذه الغاية ٠

ويصنع على شكل الباطية ومن نفس المادة الكرمية والهنابة ولكن بشكل مصغر ،

وللباطية مكانة كبيرة في الحياة الشعبية في القرية ووردت في الأقوال والأمثال والأساطير ،

فمثلا : فلان قعر الباطية !! (تهكما) أي أنه لم يأكل بما فيه الكفاية ٠

أو : هو فلان طول نهاره قاعد على باطية أبوك أو (باطيتك) ؟ ، بمعنى أنه لا غلبة له ولا (ثقلة) ٠ وفي السنين العجاف ، كانت المرأة (المستورة) في القرية تحمل على رأسها الباطية فارغة الى الطابون وتعود أمام الناس ، حتى لا يقال أن عائلتها نامت تلك الليلة بالجوع ٠

أما في الحكايات الشعبية ، فقد وردت الباطية في قصة (بقرة اليتامى) على أنها رهن اشارة من صاحبها لتمتلىء له بالرز واللحم وانواع المأكولات الشهية الأخرى

بابور الكاز :

هو البريموس المعروف ومن الأدوات التي دخلت مؤخرا للمطبخ وحل محل الموقد الى حد كبير ، ولكن كانت له سيئاته ومنها التسبب في الحريق مما كان ينفر الناس منه ٠

البقلولة :

أو المحلبة ، وهي وعاء من الفخار يستعمل لترويب الحليب ليصبح لبنا وهي بأحجام مختلفة ، أما متوسطها فيتسع لـ ٣ـ٤ أواق من الحليب ٠ وعند البدء في استعمالها كانت تحرق

أو تشوى في الطابون ، لكي تسد المسامات ، فلا يرشح الحليب • كما كانت تعاد الى الطابون بين فترة واخرى لتطهيرها (نوع من التعقيم) وأذكر أن الشخص كان يشربها (يديرها في راسه) مرة واحدة وبدون خبز أكثر من مرة في اليوم ، خصوصا في أيام الحصاد ،

الجراب :

من جلد الغنم غالبا ، ويسلخ بطريقة خاصة (تشليح) حتى لا تجرحه أو تثقبه السكين ، وقد استعمله الحراث والراعي والحصاد قديما ، لكي يحافظ على طراوة الخبز لعدم امكانية تسرب الهواء اليه ، وورد في المثل الشعبي « كل واحد من جرابه يسل ويبلع » •

جرة الفول :

من المعدن ، نحاسية على الغالب ، يستعملها الفوال في البلدة ، ولها مغرفة خاصة بها من نفس المعدن •

الجعبوبة :

عبارة عن خابية صغيرة الحجم ، توضع في احدى زوايا البيت على ضوء المساحة والحاجة ، ويحفظ فيها الطحين أحيانا والسمسم وأنواع الحبوب الأخرى غالبا • وسيرد بحث أوسع عن الخابية في هذا المقال •

الدست :

وهو القدر النحاسي ، يصنع باحجام مختلفة يتسع العادي منه الى ٣ جرار ماء و ٥ أرطال رز مفلفل ، أما أكبرها فيتسع الى جزور وله اكثر من مقبضين ، وهو من الأواني المهمة في القرية الا أن له عيبا واضحا عندما يفرز مادة الجنزارة من قلة الأستعمال وهي مادة سامة بطبيعة الحال •

الهاون :

صنع من الخشب ومن النحاس ، واستعمل في دق العصفر والفلفل والجوز والبهارات الأخرى •

الهنابة :

عبارة عن صحن صغير مفلطح من الخشب ، وهي صورة مصغرة عن الباطية ، ولكنها تؤدي وظيفة الصحن •

حفارة الكوسا :

معدنية الأداة والمقبض ، أحيانا يكون مقبضها من الخشب ، وتستعمل في حفر الكوسا والباذنجان والقرع والبطاطا والجزر والخيار ••• الخ •

ولا أدري لماذا أخذت اسمها من الكوسا •

الطابون :

هو العامود الفقري لكل بيت في القرية ، واليد اليمنى لكل عائلة خصوصا وأن الناس في الريف لا يعتمدون كثيرا على الأفران ، وكلمة طابون تطلق على المخبز وعلى الغرفة التي يوضع فيها في آن واحد ،

أما المخبز ، فيبنى من الطين المجبول بالتبن الناعم جدا ، أو على الأصح تلك المادة التي تطير أبعد من التبن ، وهي أخف واسمها (السفوح) بفتح السين وضم الفاء ۰۰۰ يبنى على مراحل في الشمس في كل مرحلة (طوف) وبعد أن تجف يبدأ في الثانية وهكذا الى أن ينتهي ،

والمخبز عبارة عن تجويف واسع في قاعدته ضيق في أعلاه ، بحيث تتسع فتحته للرغيف أو لآنية الشوي ۰

تحرق أرضية المخبز بالحطب (القرط أو الصليح) طيلة نصف نهار حتى تطير (البرودة) من الأرضية ثم تنظف الأرضية ، ويؤتى بالمخبز الجديد ، ويركب ، ويوضع فيه الرظف (وهو عبارة عن حصى بيضوي الشكل) على الأرض بحيث يغطيها بالكامل ، وللمخبز غطاء بيد من الصاج ۰

ويحمى المخبز بعد ذلك بوضع أقراص الجلة عليه (لأول مرة فقط) ، ثم يزبل كالمعتاد بالقصل مرتين في اليوم ، وثلاث مرات في أيام الحصيدة لكثرة ما يستعمل أيام الحصاد ۰

يتسع مخبز الطابون الى (طرحة) من الخبز ، وتكبر الطرحة وتصغر بحسب حجم الطابون ، ومعنى ذلك أن منه الكبير والصغير ، وهذا صحيح لأنه يصمم في العادة حسب حجم العائلة المصنوع من أجلها ، وعليه فان الطرحة تكون من ٥ ـ ٩ أرغفة ۰

يخبز في الطابون بالاضافة الى الخبز العادي ، المخمرات والمطبق والأقراص بأنواعها ، والكردوش ، والكراكيش والكعك ، وتشوى فيه صواني اللحمة ، ويسخن فيه الخبز بالزيت ، ۰۰ والطبيخ أحيانا ۰

أما الغرفة التي تضم المخبز ، فهي بسيطة جدا تتسع وتضيق بحسب ما تسمح به مساحة البيت وقد لا تسمح فيبنى في خارجه ، ويسقف الطابون اما بالخشب والقش والتراب (الركس) أو بالزينكو ، ويفضله الناس أن يكون واسعا ، فتبنى فيه المصاطب لاستعمالها في عملية الخبز ، أو لتسهر فيه العجائز والأطفال في ايام الشتاء حيث يتلقون فيه أول درس في العملية التربيوية (بشكل مغلوط)

عن الغول والغولة والضبـــع ونص نصيص ٠٠٠٠ الخ

كما كان ينام في الطابون بعض الخدم والرعيان أما الطوابين التي كانت خارج المنزل ، فقد كانت ملجأ للقطط ، والكلاب ٠

وملخص القول ، فان الطابـــون مرتبط بالقرية ، وذكره يثير في النفس أشياء كثيرة أقلها ذكريات الطفولة ، والأكل الشهي (وهداة البال) ٠

وقد كانت تلجأ اليه النساء عنـد حلف اليمين فتقول الواحدة (وحياة مخبز ها العيش) مما كان يعطيه جوا أكثر تقديرا ورهبة خصوصا عندمـا كان يسمع الطفل بقصة الانسان الذي مسخه الله قردا بمجرد أن (مسحت) له أمه برغيف الخبز ٠

وأخيرا فان شعور أهل الريــف مجمع على أن خبز الطابون لا يعلو عليه خبز آخر ، ولا غرو أن تسمع حكاية عن أحدهم بأنه أكل أربعـــة أرغفة بالليمون ، واربعة بالزيتون ، واربعة سخنات من باب الطابون ٠ ولقد كان يعلم الأطفال بأن خبـز الطابون الساخن مع الزيت يقـــوي العضلات ويشد الأعصاب ، ولعله من قبيل الأهتمام بخبز الطابون كـــان يغنى :

ظربت الطابون طارت غطاته
وهجمت علي كبار الرغفان

الطاحون :

أو الجاروشة ، وهي قطعتان من الحجر ومن النوع الصلب (البازلتي) ، القطعة السفلى ثابتة وفي منتصفهـــا مسمار ، والعليا متحركة ولها فتحة للمسمار ولوضع الحب فيها ، ولها يد من الخشب تديرها واحدة من النساء أو اثنتان لتسهيل عمليـة الطحـن وللسرعة فيه ، وتجلس الواحدة على الارض في وضع وكان الطاحون في حجرها أما الحبوب التي يمكن طحنها أو جرشها بالاضافة الى القمح ، العدس والفول ، والشاطر حسن ٠٠٠ الخ ٠

وقد كانت المرأة تستعمل هذا النوع من الطواحين في حالات كثيرة منها بعد (بابور الطحــــين) ، أو أن الطحنة قليلة ، أو لصفة الأستعجال ، أو للمفتول ٠٠٠ الخ ، ولكثرة الأعمال فقط كانت تضطر المرأة أن تطحن في الليل حتى تنام ، ويحكى أن واحدة كانت تطحن عندما أحست بالغول وهو يطحن معها تارة ويقرصها تارة أخرى ، ولم تتمكن من الصراخ ، وبعد تفكير ، رأت أن تستمر في الطحن والغناء مثلما كانت وأن تستنجد بجار لها أسمه (أبو علي) دون أن تناديه صراحة خوفا من الغول فقالت مغنية :

ياجارنا يا أبو علي
حس الغويل[1] بطحن معي
يا شوشته الغراقه
يا عيونه السراقه
احمر وله قنزعه
رب السما ينزعه[2]

وفعلا فقد سمعها جارها أبو علي وهب لنجدتها كما تقول الروايـة ، وانقذها منه ،

واستعملت هذه الحكاية فيما بعد في تنويم الأطفال ٠

طاحونة القهوة :

هي صندوق من الخشب مربـع الشكل ، صغير تركب فيه ماكينـة طحن القهوة التي تشبه ماكينة فرم اللحمة تقريبا ، ويطحن فيها الفلفل الأسود بالاضافة الى القهوة ٠

طبق القش :

أو الصينية أو صينية القش كما كانت تسمى وكانت تنسج من قش القمح ، وتعمل على أدوار بالـوان واشكال مزخرفة غالبا ، وباحجام مختلفة ، ويعمل له «علاقة» في الدور الأخير ليمكن تعليقه في صدر البيت كأداة للزينة ٠ ويستعمل الطبـق لتغطية باطية العجين وهي وظيفتـه الأساسية ، أو لتقديم السفرة ، وقد كان الطبق أداة للتشبيه ، يشبه به وجه الفتاة من حيث الاستدارة : فمن أغاني العرس (في زفة العروس) ٠

يـا وجه القمر يـا فلانـه
يـا مدور دور الصينيـه
شو حط العريس من كيسه
تـا يوخـذ هـا الشلبيه

ومن أغاني الدلعونا :

قومي تنقشش بالله يا خيا
نبدي ع الطبق قمر وثريـا

الطباخة :

من الفخار وباحجام مختلفة وهي بحجم الابريق العادي تقريبـا في متوسطها لها باب واسع بالنسبـة لحجمها ، واثنان من المقابض ٠ غطاؤها يشبه صحن الفخار أو تربط بقطعة من القماش أما اسمها فلعلها أخذته من الطبخ ، اذ تصلح أحيانا لذلـك ، خصوصا في الخلاء أو في الطابون لانها بحجم يسمح لها بالدخول فيه ٠ أما استعمالاتهـا الأخرى فلحفظ الملح ، والعدس المجروش والسمن والعسل ، والفريم (اللحم المقلي) ، وتعلق في السقف لتكون في منأى عن أيـدي الأطفال وبعيدة عن الحشرات الضارة

الطبلية :

طاولة بسيطة من الخشب قليلة الأرتفاع (شبر أوشبرين) توضـع

---

[1] الغول [2] او يقزعه

عليها السفرة والناس جلوس على الأرض وسبب ذلك الاعتقاد بأن موضع السفرة يجب أن يكون عاليا ، ولذلك يكره الوضع المعكوس وتستعمل في رق العجين والمطبق وخرط بعض أنواع الخضار ، وفرم اللحمة وتنقية القمح ، وتقول أغنية الدلعونا :

يا أبو الشبابة غير ها الدقه
علي الطبالي يا قمح منقى
يا رب السما تحفظ ها الخلقه
ياأم العيون المكحلونا

الطنجرة :

كانت من النحاس بحجم صغير يشبه الدست متسعة في القاعدة وتضيق في الأعلى ، تتسع حسب حجمها من رطل ماء الى ثلاثة أرطال ، ومن سيئاتها الجنزارة أيضا ككل الأواني النحاسية ·

ثم اصبحت الطنجرة من التوتيا ثم الألمنيوم التي كانت تدهن من الخارج بالطين لتسهيل تنظيفها من (الشحبار) الذي يعلق بها أثناء عملية الطبخ على الحطب ·

الطوس :

من الفخار ، على شكل البقلولة (المحلبة)ولكن اكبر منها بمرتين أو ثلاث ، ويستعمل لنفس الغرض ويحفظ فيه (المش) الذي هو عبارة عن لبن حامض جدا ، وملح وشيء من الفلفل الأخضر مع شيء من الزيت ويمكن أن يقوم بوظيفة الطباخة ومرطبانات اليوم ·

الكرمية :

من الخشب وعلى شكل الباطية ولكنها تليها في الحجم واكبر من الهنابة ، وتقوم بوظيفة الباطية ، ولعلها أخذت اسمها من الكرم (١)

المحرمة :

أو المنديل ، من القماش ، ولقد لعبت دورا كبيرا في صر (خبزات) الراعي أو الحراث مع شيء من البنادورة والبطاطا المسلوقة والبصل ··· حيث كان يشدها الى وسطه بواسطة (السير أو القشاط) الحزام،

وهي المحرمة نفسها التي حملت أشواق المحبين ورفعت عالية في يد اللواح على أنغام أغنية الدلعونا :

يا ريتني محرمة في ايد اللواح
والا ع صدير البنت شباح

المدرس :

(من درس يدرس فهو مدرس) ، بكسر الميم وتسكين الدال وفتح الراء

---

(١) نمر سرحان

وهو عبارة عن حجر مقصوص من عامود أثري على الغالب ، تحته بلاط أو حجارة مبسطة ، يوضع الزيتون تحته ويدحل عليه مرات حتى يدرس جيدا ثم يرفع ليعالج بالماء الساخن في السطل أو الباطية الكبيرة ،

وكان في البلد من هذا النوع حوالي خمسة يدرس عليها الكميات القليلة ، أما الكثرة الغالبة فتذهب الى معصرة اللد ، ويضرب المثل بالزيت اذا كان « من الشجر للحجر »

مدقة الفول والحمص :

قطعة مستديرة من الخشب بحجم قبضة اليد لمعالجة صحن الفول والحمص .

المرطبان :

كان من الفخار المطلي ، ولكنه نادر ، ثم أصبح من الزجاج ، وغطاؤه من التنك يستعمل لحفظ الأطعمة في المطبخ ، ويستعمل في الدكاكين .

المطرحة :

من الخشب ، تستعمل لوضع أرغفة الخبز في الفرن ، ولها يد طويلة تساعد الفران في الابتعاد عن وهج النار . ولعلها أخذت أسمها من طرحها الخبز في داخل الفرن .

المغرفة :

من الخشب وعلى شكل الملعقة ولكنها أكبر منها بكثير وتستعمل لسكب الطعام خصوصا من قدر الفخار وهي أقل أذى للفخار من المغرفة المعدنية ،

وهي من الأهمية بحيث قال فيها المثل « اللي في ايده المغرفة ما بيجوع »

المفراك :

من الخشب وله يد بطول يد المغرفة ٤٠ـ٥٠ سم في نهايتها أصابع من الخشب (ضمن ثقوب فيها) ، يستعمل لتحريك طبيخ الملوخية الناشفة والحميض والعدس ....الخ

مفرمة الخشب :

قطعة خشبية أو عدة قطع على شكل (المقعدة) واحيانا الطبلية نفسها تستعمل لفرم أنواع من الخضار وكذلك اللحم .

مفرمة الملوخية :

سكين معدني في شكل نصف الدائرة له مقبضان من الخشب يستعمل لفرم الملوخية وغيرها

مقحار الطابون :

قطعة رقيقة من ألواح الخشب يقل طولها عن متر ، يستعمل في جرف

الرماد عن المخبز ومن ثم اعادته بعد تزبيل الطابون مع مابقي فيه من الجمر لتبدأ عملية تسخين الطابون (حميه) من جديد ، وورد المقحار في المثل الشعبي « فلان مثل مقحار الطابون » كناية عن أنه اسمر ونحيف ·

كما ورد في بعض الحكايات الشعبية (نص نصيص) الذي كان يضرب شاته الجرداء به ويقول لها طيري يا نخالة طيري ، وتقول الرواية أنه سبق بهما (المقحار والشاة)اخوانه السبعة بجيادهم الاصيلة ·

المقطف :

نسيج من الحلفاء أو من قش الحصر ، ويستعمل كالقفة ـ وهو يشبهها الى حد ما ـ نقل وحفظ بعض الفاكهة والأشياء الأخرى ·

مقلاع الطابون :

عود من الخشب ، يستعمل في تحريك رغيف الخبز من داخل الطابون ويساعد المرأة في رفعه بعيدا عن حرارة الرضف ·

معلقة الخشب :

أكبر من المعلقة المعدنية قليلا واصغر من المغرفة الخشبية بكثير ولكنها تشبهها وتؤدي وظيفتها ·

المنخل :

يستعمل لتنخيل الطحين وتنقيته وهو من السلك المشبك الدقيق ، واحيانا من الشعر واطاره من الخشب

الموقد :

يعمل من الطين المجبول بالتبن الناعم (السفوح) على ثلاثة قوائم والجهة الرابعة مفتوحة للحطب لان القدر لا يقف الا على ثلاث كما يقول المثل الشعبي ويمكن أن يعمل من ثلاثة حجارة في الخلاء ،

وللموقد موقعان في الأغلب ،في ساحة الدار في أيام الصيف وفي داخل البيت في فصل الشتاء للاستفادة منه في تدفئة البيت من جهة ، وللابتعاد به عن المطر من جهة أخرى ·

وغالبا ما يكون بجانب كل موقد مكانان ثابتان مكان لابريق الماء وآخر لأبريق الزيت ، ولعل اختيار الموقع للماء والزيت بجانب الموقد راجع لكثرة الحاجة اليهما في أعمال الطبخ ·

السدر :

كان من التوتيا ثم من الالمنيوم ، واستعمل في تقديم السفرة ، وبدلا من طبق القش في تغطية البواطي وكان نادرا ما يستعمل في بيوت الفقراء ·

السطل :

هو سطل الغسيل (أو اللجن) وليس الجردل كما هو شائع اليوم ،

لان الجردل كان يقال له دلو ، ومنه الصغير والعادي ، أما الكبير فيسمى (بيله) ، وكان يستعمل في (قصف) الزيت بعد أن يدرس على الحجر في القرية ، والجديد منه يستعمل في المفتول في الولائم .

السطولة :

(جمع سطل) معدنية ، تستعمل لتقطيع اللحم ، واكثر ما تستعمل لدى الجزارين ، ولكنها مع ذلك موجودة لدى البعض .

السكين :

أو الخوصة اذا كان مقبضها من خشب أما اذا كان من معدن فهي (الكزلك) وأما ما يمكن طيه فهو (الموس) ويمكن أن تعمل الشبرية عمل السكين في البيت أحيانا .

السل :

يصنع نسيجا من البوص ، واحيانا من خريص (خلال) الزيتون وهي الفروع التي تنبت بجانب الشجرة الأم وباحجام مختلفة المستطيل للخضار كالسبانخ والسنق والباذنجان ويبلغ طوله نحو ١٥٠ سم وعادي ويستعمل لنقل الفاكهة واكثر استعماله في نقل ثمر البرتقال خصوصا بعد أن يبطن بالخيش خوفا من تجريح الحب .

وله مقبضان ، يحمله واحد على ظهره أو امرأة على رأسها ويمكن أن (يتشادله[١]) اثنان .

السلطانية :

أو الزبدية من الصحون الصيني أو المدهونة ، وتختلف عنها بانها ذات قعر عميق .

السياخ :

قضبان من الحديد ، تستعمل لشي اللحم في المطاعم الشعبية وغيرها ، وفي بعض البيوت وكان يقوم السلك العادي مقام السيخ عند شي العصافير في الطابون . فبعد تنظيفها يجري (شكها) في السلك ، ومن ثم يربط السلك في نهايته بعضه ببعض ، ويصبح على شكل قلادة ، ويوضع في الطابون ، .

الصاج :

من المعدن وهو الذي يستعمله البدوي في الصحراء ، وكان يستعمل للحالات المستعجلة في خبز الشراك (المشروح) ويستعمل لقلي الفلافل بالاضافة للامشاط والمقلي والزلابية والعوامة .... الخ وقد ورد الصاج والخبز عليه في أغنية « جفرا ويا هالربع » :

---

(١) يحمله .

ياشوفة شفتها بتخبز على الصاج
مدقوقة ع الصدر خرفان ونعاج
لاتزعلن ياسمر البيض غناجي
والبيض شحم القلب والسمر عينيا

صحن العجين :

من الزينكو المدهون ثم الألمنيوم وهو من أكبر الصحون وحل محل الباطية الخشبية وانتشر بسرعة ، ويعتقد أن السبب هو سهولة تنظيفه ، لأن الباطية كانت صعبة التنظيف خصوصا بعد ما يجف العجين عليها ٠

الصحون الأخرى :

أغلبها من الفخار ، مختلفة الأنواع والأحجام وانتشر الالمنيوم والصيني وكان صحن الصيني المفلطح اسمه (قشنيه) من القيشاني ٠

ومن الصحون الفخارية ما كان كبيرا ، لدرجة أنه كان يعجن فيه ، (وتمرس) تعصر البنادورة فيه ومنها ما كان يشبع عائلة كاملة بالثريد أو غيره ، وتستعمل الصحون عادة فيما يتناسب مع حجمها فلا يستعمل الكبير للسلطة مثلا للضيوف ولكنه يستعمل للحراثين والحصادين اذا كان عددهم كبيرا ٠

وفي القرية عادة متبعة في استعارة الصحون ، أنه لابد من اعادتها ملأى فلا تعود فارغة بين الجيران حتى ولو ارتفعت الكلفة فيما بينهم ٠

صينية اللحمة :

من التوتيا أو الألمنيوم ، وتستعمل للشي في الطابون ، وللأكل أحيانا ، ولكاسات الشاي في بعض المرات ، عندما لاتوجد صينية للشاي

القبعة :

من قش القمح المنسوج بالوان مختلفة (سيأتي بحثه في القدح) ، تستعمل لوضع (الطقريس) فيها وهو عبارة عن كمية الطحين اللازمة (لتقطيع) العجين أي تساعد هذه الكمية على جعل العجين قطعا وكل قطعة رغيف ، وفي الفرن كان يأخذ الفران ما يزيد من هذه الكمية ٠

القدح :

وعاء كبير من نسيج قش القمح، وهو صورة مكبرة أضعافا عن القبعة ، ويستعمل لنقل الخضار والفواكه والزيتون من البساتين والكروم ، وتحمله المرأة على رأسها ، ويمكن أن يبطن هذا القدح بالقماش أو الجلد للمحافظة عليه أطول مدة ممكنة ، وهو أشبه شيء باللجن الكبير ، ويمكن تصليحه اذا تلفت بعض جوانبه ٠

أما القش ، (والتقشيش) فهو في البيدر (النوادر) ، تجلس المرأة بجانب (غمر) حزمة من قش القمح غير المدروس ، وتبدأ بقطع السنابل عن الساق ، وتجريده من الورق الناشف الخفيف المحيط بالساق ، وتوضع كل مجموعة في ضمة وتحزم ويمكن خزن هذه المجموعات الى أيام الشتاء أو أوقات الفراغ حيث يمكن البدء في النسيج .

أما طريقة الصنع فهي بسيطة ، وتتلخص في عمل (طوف) دور بعد دور من نفس القش أو قش آخر أقل جودة منه ، بعد أن يكون قد أبتل بالماء مدة كافية ، ووضع في أصباغ مختلفة منها الاحمر والاخضر والازرق والبنفسجي ... الخ .

ونقطة البدء تسمى (بدوة) لا تتقنها غير المجربات فتعمل قاعدة القدح أولا على شكل الطبق ، ثم وبعدها يبدأ العمل بالجوانب التي ترتفع حوالي ٢٠ ـ ٣٠ سم .

وعملية التقشيش وردت في الاغنية الشعبية من أغاني ليلة الحنة:

قومي تنقشش يا فلانه
قومي تنقشش يا هيه
حناك مرشرش يا فلانه
حناك مرشرش يا هيه

وكان يصنع القدح أيضا من خريص الزيتون .

القـدرة :

وهي القدر الفخاري الذي كان أهم أداة للطبخ في القرية ، وهي باحجام مختلفة ، ولكن المتوسط منها تكفي لعائلة قوامها ثمانية أشخاص لاكثر من وجبة (أما اليوم فقد تكفي لعشرين شخصا) ، ولها مقبضان من الفخار ولونها دائما أسود يعلوها (السخام) الناشيء عن دخان الحطب والجلة ،وكانت هذه المادة ذات دلالة مؤلمة جدا عندما تسود بها الرسائل ، ومن أسوأ الالفاظ عندما تقول الواحدة للاخرى (الله يسخمك) ، كما كانت تلجأ اليها بعض النساء في حالة وصولها خبر مؤلم فتسخم وجهها بها .

وبين القدرة والمغرفة تلازم وثيق جدا حتى في الامثال الشعبية : « اللي في القدرة بتطوله المغرفة » و « عايرت القدرة المغرفة ، قالت لها روحي يا سودا يا مكحلفة » . و « لا تعايريني يا قدرة ولا بعايرك يا مغرفة » وكانت بعد غسلها تقلب على وجهها فوق نفس الموقد الذي يطبخ فيها عليه .

القرطلـة :

هي السلة ، وحجمها أصغر من السل وتصنع من البوص ، ومن خريص الزيتون ولها يد تشبه يد

الجردل ولكنها ثابتة وكثيرا ما كان يحملها الرجال في أيديهم والنساء على رؤوسهن ، وكانت تنقل فيها الهدايا ، والفواكه ... وكل شيء تقريبا .

قصرية المفتول :

عبارة عن جرة من الفخار مكسورة ، فتقص من الوسط جيدا ، وتكسر فوهتها واذناها ، أما استعمالها فانها توضع على القدرة ، ولكن بشكل معكوس ، أي فوهة كل منهما في الاخرى ثم توضع المصفاة في باب القصرية ... ويوضع فيها المفتول ، ويبدأ البخار المتصاعد من القدر يتخلل حب المفتول من خلال المصفاة ، ثم ينزل عن القدر مرتين أو ثلاثا وكل مرة تسمى (تهبيلة) . وبعدها يوضع المفتول في الباطية وعليه المرق واللحم ويغطى حتى (يزور النبي) كما كان يعتقد ، للحظات ، ثم تأكل منه العائلة مجتمعة . ولا عجب أن يقول البعض :

اذا مت أنا يا ناس
في قصرية مفتول ادفنوني

هذا في القصرية ، أما في المفتول ، فقد تعلمنا في كتاب القرية أول ما تعلمنا ، ما يشبه النشيد التالي :

تبت يدا
حل الغدا
لحم العجول
مع المفتول
برد وكول
يا ابن الملعون

ولعل شيخ الكتاب رحمه الله كان مولعا بالمفتول ، وهو أكلة شعبية ، تبعث الدفء في جسم الانسان في أيام البرد .

القفة :

القفة والمقطف قريبان في الشبه من حيث مادة الصنع والشكل والوظيفة التي تؤديها كل منهما ، فقد تصنعان من قش الحصر ، أو البلح ، وشكلهما يشبه الى حد ما قفة الجلد في هذه الايام ، ويستعملان في قطف الفاكهة أو الخضار وغيره .

القلاية :

معدنية في الغالب ، وتستعمل للقلي ، و (للقدحة) التي توضع في نهاية الطبخة وهي من الزيت والبصل .

القوطة :

نسيج من قش الحلفا ، ويعمل لها غطاء من نفس المادة ، وتستعمل لنقل الطعام والفاكهة ، وبعض الاشياء الاخرى .

ولنا عودة أخرى لدراسة أواني وأدوات الشرب في القرية في العدد القادم ان شاء الله .

البحث الفولكلوري السوفيتي والمعاصرة

تتميز المرحلة الحالية في تطور العلوم الاجتماعية في بلادنا بالسعي الى تبيان مكانة هذه العلوم ووظيفتها في الحياة العصرية ، وايجاد صيغ وطرائق جديدة لأضافة معارف معينة يكون باستطاعتها حل المهام الملحة التي توجه البناء الجديد ، وكذلك الجمع الدقيق بين الاعمال ذات الخطة التاريخية والدراسة المنتظمة للعمليات الاجتماعية والهامة في أيامنا هذه ٠

ان الالمام بالمهام العصرية في كل علم من العلوم الاجتماعية يتنافى في اشكال متميزة ، ترتكز على عوامل وحالات شتى وعديدة ٠ ونحن نرى أن من الأصوب توضيح مادة البحث الفولكلوري كعلم توضيحا تاما ٠ فوجود أي علم اجتماعي لايمكن تبريره الا في حالة واحدة ، وهي أن يتناول موضوعه حقلا معينا من الوجود الاجتماعي للانسان ، وان تكون مهمته دراسة اسباب وسنن التحولات التاريخية للاشكال التي تظهر وتحيا أو تهيمن في هذا الحقل ٠ وهذا يحتم على البحث الفولكلوري بأن لايربط وجوده بأحد اشكال الوعي البياني ، القولي ، حتى ولو كان الفضل في وجوده يعود الى تسميته المعروفة ٠ لذا يتعين علينا ، مهما كان ذلك متناقضا ، ان نعلن بحزم أن موضوع علم البحث الفلكلوري ليس الفولكلور فحسب ، اذا كانت هذه الكلمة الأخيرة تعني شكلا محددا من اشكال الوعي القولي والابداع ـ الشفوي ، الجماعي الذي أصبح ذا أصول ثابتة وتقاليد محدودة الى حد ما ، مع أنها تتفاوت



طبقا للمتغيرات ، وصيغة المجهول وغير ذلك ...

كان موضوع البحث الفولكلوري وينبغي ان يبقى الحياة البلاغية والبيانية للشعب في تطورها التاريخي ، وكذلك تاريخ الثقافة القولية الشعبية مهما يكتنفه من تبديلات وتحويرات ، ومهما يكتب من اشكال (فولكلورية وغيرها) جديدة . وعلى البحث الفولكلوري طبعا خلافا لعلم الادب ان يدرس الاشكال الجماهيرية للثقافة الشعرية ، وليس الاشكال المهنية الصرف . أن الاشكال الفردية البارزة والوحيدة (على سبيل المثال ابداع الشعراء والملحنين المحترفين) يمكن دراستها طبقا لمدى تاثيرها على الأشكال الجماعية ، فعلى سبيل المثال لايطرح البحث الفولكلوري ضمن مهامه دراسة مبدعات شيفشينكو مع أن من مهامه دراسة مدى تاثيره على تقاليد الاغنية الاكرانية كعنصر هام في تاريخ الاغنية الاكرانية في القرن التاسع عشر ، فالبحث الفولكلوري يدرس تاثير الفن البلاغي في اطاره الجماهيري والحياتي مع الاخذ بعين الاعتبار ودراسة طبيعة هذا الفن الجمالية . اذا كان علم الادب يتشبث بحقيقة واضحة بارزة اكثر من آلاف الحقائق الجماهيرية العادية والشائعة فان البحث الفولكلوري يعطي الأولوية والاهمية القصوى للاشكال الجماهرية (مثل التصنيف ، علم الجمال ، الاصول والتاريخ) ويعتبرها مهمته الاساسية وغايته الرئيسية . فمن بين الحقائق العديدة واللامتناهية للحياة الشعرية الشعبية يضع البحث الفولكلوري في محور اهتمامه الجوانب التي شاعت في الاستعمال الجماهيري وحظيت على الذيوع الواسع ، واصبحت نمطا في فترة تاريخية معينة .

الفولكلور ـ شكل متميز للوعي القولي وابداع الشعب في فترة عصر الاقطاع وما قبله بشكل خاص . فاذا أخذنا روسيا ـ على سبيل المثال ـ وتاريخ الثقافة القولية الشعبية فلا بد وأن نلاحظ أن أشكالا اخرى قد بدأت تظهر الى جانب الأشكال الفولكلورية لتلبية متطلبات الشعب الجمالية ليس فقط في العهد السوفياتي أو حتى في الفترة الرأسمالية وانما بشكل خاص في مرحلة التطور الاقطاعي (يعني في القرن السابع عشر ، ومن ثم الثامن عشر والتاسع عشر) .

وقد شرعت الفئات الدنيا من الفلاحين تعلن عن نفسها في المخطوطات وبدأ يظهر شكل ونمط جديد من الكتب الشعبية (لوبوك) منذ نهاية القرن السابع عشر وبدأ تسجيله

وتثبيته فيما بعد ، واخذت تتسرب اغاني الكتب والرومانس ، والكتب المخطوطة والمطبوعة الى الوسـط الشعبي ٠ وأخيرا أخذ يشيع ويتحدد خط « الشعراء الفلاحين » الذي يتميز تاريخ الادب الروسي (منذ العقـد الأول من القرن التاسع عشر وعلى رأس شعراء تلك الفترة كولتسـوف وحتى ما يسمى بمدرسة سوريكوف) وبعدها بدأ يتغلغل الفولكور العمالي ، الذي يظهر عليه تأثير الكتاب بشكل قوي ، ومن ثم تظهر الاغنية الثورية ٠ ومع ذلك استمر بشكل عام التنوع الفولكلوري الذي خلق وولد المبدعات القولية في شكلها الجماهيري والنمطي القائد ٠

ولم تتصاعد هذه العملية بعـد الثورة فحسب ، بل اصابتها بعض الهنات كذلك ٠ ولا يعنى هذا انعدام وجود الفولكلور التقليدي والاشكال الفولكلورية في الابداع المعاصر ، أو أنها فقدت قيمتها لدى الدارسين ، فلا زالت تقاليد الاغنية القديمـة أو الاغنية الفولكلورية ذات المنشأ المتأخر قوية جدا في كثير من مناطق تواجد وتوزيع الشعب الروسي ، وقـد ضعفت أو تلاشت نهائيا في اماكن اخرى ٠

ولا زالت الرباعيات الروسيـة (تشاستوشكا) والحكايات الشفوية والالغاز الحياتية والامثال والاحاجي منتشرة في كل مكان ٠ وينبغي أن لاتسقط هذه النظرة من اهتمـام الدارسين والجامعين للفولكلور ، ومع ذلك يتعين ملاحظة تقلص مجال تأثير الاشكال الفولكلورية ، مع أن هناك ألوانا وأشكالا أخرى مـن الثقافة القولية للشعب ما زالت قائمة ، والآن وصلت روسيا (تتطور هذه العملية لـدى شعوب الاتحـاد السوفياتي الأخرى بوتيرات متباينة ، وتتصف بميزات متغيرة) الى مرحلة أصبح فيها الادب وغيره من اشكال الفن الاحترافي يلعب دورا بارزا في حياة الشعب الجمالية ، وفي تطور الثقافة القولية الجماهيرية ٠وحدود هذا المدى الواسع للنشاط الادبي المستقل ، وظهور مختلـف الاشكال الشبيهـة بالادب والقريبة منـه (أغاني المجموعـات ، ابداع فرق الدعاية ، وتحول الكثير من الرواة الى شعراء وشواعر وغير ذلك) ، وكذلك التأثير القوي والمؤثر للادب الحرفي على الاشكال الفولكلوية وشبه الفولكلورية لخلق وانجاز المبدعـات القولية ، وازدياد دور البداية القردية في جميع ألوان الابداعات الجماهيرية ، بما في ذلك الفولكلورية خاصة ٠ وكل هذه الأشكال لا تعيش فحسـب ، ولكنها تتفاعل بلا انقطاع ، فتلتحم

في تراكيب غير متوقعة اطلاقا ، وتتحول من شكل لآخر ٠

ويطلب من العلم عندنا أن يقوم بدراسة مجموعة هذه الأشكال كلها في تشابكها وتفاعلها ٠ ومع ان هذه مهمة عسيرة وشاقة الا أنه يمكن الاحاطة بها ، ولا يؤدي ذلك الى تحويل البحث الفولكلوري الى « علم العلوم » كما أشار بذلك أحد الدارسين ٠ فهذا العلم يبقى كما هو علم البحث الفولكلوري ، الواعي لهدفه ووسائله ٠ وقد وضع مهام هذا العلم ووظيفته على الشكل المشار اليه كل من تشيرنيشيفكي ودوبرلوبوف وغوركي اذ اعتبروه علم الشعب ، ورفضوا كل المحاولات الداعية الى ربط مهام البحث الفولكلوري بجانب واحد أو شكل معين من الحياة الجمالية للشعب ٠

يتميز موضوع البحث الفولكلوري كعلم بخاصية هامة جدا ، فهو ظاهرة جمالية وظاهرة حياتية في نفس الوقت وقد برز ذلك واضحا ، جليا في الماضي اذ تعايشت الى جانب الحكاية ، البلين والاغنية التاريخية الالوان الطقسية (أغاني المآدب والمواسم والاعراس ، والمراثي الطقسية والحياتية) والالوان الحياتية الصرف ٠ (أغاني الالعاب ، والمهن ، والالغاز ، أغاني الاطفال المسلية ، واغاني موسم الحصاد) الأغاني الاحترافية (أغاني اصحاب المراكب ، والحوذية والعساكر) الالوان التي انفصلت عن الكلام اليومي (الأحاجي ، الامثال ، الحكم النصائح وغير ذلك) واخيرا ذلك البحر الزاخر من النثر الشعبي (المزاح ، الحزازير ، القصص الشفوية الخرافات والاساطير وغير ذلك) ٠ وقد كان دارسو الفولكلور دائما يهتمون ليس فقط بمنشأ الاغنية ، الحكاية والبلين فحسب وانما كذلك باستمرار تطورها وحياتها : وكانت التقاليد المرعية كما هي عليه الآن تشترط الثبات الحياتي لهذا اللون او ذاك ليكون موضوع البحث الفولكلوري ، وكان البحاثة يهتمون بعملية تصنيع الاعمال الادبية فولكلوريا ، وكذلك بتكنيك وطبيعة الانجاز التمثيلي الذي يجمع بنسب متفاوتة العناصر التقليدية والابداعية ٠ وعلينا ان نؤكد هنا أن هذه الظواهر ليست عابرة أو دخيلة وانما هي في جوهر وطبيعة الثقافة القولية والشعرية الشعبية ٠

أما فيما يختص بالمعاصرة فان القول السابق يعني ان العناصر الابداعية والتمثيلية و «الاستهلاكية» يجب ان تعتني بدراسة الفولكلور ، يعني ذلك ليس الاهتمام بالنص

الفولكلوري الذي قام بتثبيته الجامع فحسب ، بل الاهتمام كذلك بالتاريخ الحياتي لذلك النص وبيئته الفنية والارضية التي أدت الى نشوئه ومسيرته التالية ٠ وينطبق هذا بنسب متساوية على الاشكال القديمة للثقافة الشعرية (الفولكلورية في الدرجة الأولى) والحديثة كذلك ـ اماكن تواجد الاغنية المعاصرة ، الرباعيات ، والقصة الشفوية والكتب وغير ذلك الى أن نصل الى الأشكال التركيبية الحديثة : السينما ، المسرح ، والراديو والحاكي وغيرها ٠ واثناء ذلك يتعين دراسة هذه الاشكال كأشكال منتظمة للحياة الجمالية الشعبية ، وكذلك الحياتية والعفوية ، لا سيما عملية التفاعلات والتأثيرات المتبادلة ٠ وعلينا ان لا نتوهم ان بامكاننا على اساس مجموعة الحقائق المعاصرة ان نستخلص الحقائق الفولكلورية ، ونتوقف عندها أو نجعلها في نهاية المطاف السياق الاساسي للابحاث ان جميع الاشكال الموجودة التي تستوعب الثقافة القولية والشعرية يجب ان تكون محور الاهتمام وفي كل مرة ينبغي ان يكون محور الدراسة والبحث كل مايشكل في واقع الأمر الطبقة الاساسية للثقافة الابداعية العصرية في المنطقة التي نقوم بمسحها ٠ من الممكن ان تتلاشى بعض الاشكال وتولد غيرها ، وان تتبدل فترات التطور العاصف والجارف بهدوء نسبي ، الا ان الواقع الحياتي الجمالي بشكل عام لايعرف الفراغ ، فالمتطلبات الجمالية للشعب خالدة ، مثلها مثل ارادة الشعب في الابداع ، لكن وسائل تلبية هذه المتطلبات واشكال الابداع تتغير مع مجرى التاريخ ومسيرته ، والمهمة الاساسية للبحث الفولكلوري تتلخص في دراسة هذه الوسائل والاشكال ٠

يقول معارضو الرأي السابق بعدم توسيع وظيفة البحث الفولكلوري ، لأن ذلك قد يؤدي الى نسيان المهمة الاساسية وهي دراسة الفولكلور كما هو ٠ ونحن هنا نكرر مرة أخرى ونشدد على أن القول لا يدور حول طرح مهام جديدة للبحث الفولكلوري ليست من خواصه وطبيعته ، وانما المقصود الالمام الصحيح لتلك المهام التي طرحها دائما وقام بحلها (طبعا على مستويات مختلفة طبقا للفترات التاريخية المتباينة) والتي نجازف اذا أسقطناها من دائرة الضوء والاهتمام ٠

عندما كان يقوم الجامع في القرن التاسع عشر بالسفر الى القرية ، كان مقتنعا بان الفولكلور يغطي متطلبات الشعب الجمالية فاذا وقعت بعض الاغلاط فانها تكون دائما محدودة ٠

وفي عصرنا الراهن فان الفولكلور هو شكل واحد من اشكال الواقع

الحياتي الجمالي والابداع الشعري للشعب ، كما انه ليس الشكل الوحيد أو الشكل المسيطر والبارز ، وهو واقع تحت التأثير الظاهر للادب الفني والسينما والمسرح وابداع الشعراء والقصاصين الناشئين • فبدون الدراسة الجادة للاشكال المختلطة (شبه الفولكلورية ، والتي لها بعض الصفات الفولكلورية أو الاشكال المفلكرة) لا معنى لدراسة الظواهر والحقائق الفولكلورية الصرف • ان محاولة الدراسة المنفردة للاشكال الفولكلورية تؤدي حتما الى نتيجة مؤداها ان هذه الاشكال لا تعكس الكثير من الجوانب الحيوية لحياة الشعب الراهنة •اذا قمنا بعملية التسجيل الفولكلوري فحسب ، فاننا لانستطيع وصف الواقع الحياتي الشعري الراهن ، ولا ان نفهم تطور الفولكلور نفسه • ذلك ان الكثير من الاغاني التي ظهرت في الحرب الوطنية العظمى مرتبطة بشكل ظاهر ليس بالاغنية الفلاحية القديمة ، وانما بالاغاني الثورية زمن الحرب الاهلية لا سيما بالاغاني الجماهيرية في الثلاثينات التي ألفها شعراء وملحنون محترفون ، وقد شاعت هذه الاغاني في مختلف مناطق البلاد وفي التجمعات المتطوعة ، وهذه الاغاني كانت تشترك في الكثير من المميزات أكثر بكثير مما يجمع بينها وبين الاغاني التقليدية المتواجدة في تلك المناطق •

لا يعني ذلك وضع الاغاني التقليدية طي النسيان ، بل تتعين دراستها باهتمام بالغ ، وذلك لان الالوان القديمة والانتاج التقليدي تزول مع واقع الحياة المتجدد ، ولأنها كذلك ما زالت تتواجد وتشكل حقائق عصرية • ان ذاكرة الشعب لا تعرف الخمول ،الذي لا طائل تحته ولا سبب له • فالاغنية الحياتية مهما كانت ولادتها قديمة لا يمكن اعتبارها رواسب أو عرضا في متحف ولكنها تراث شعبي أنشأه الشعب ، وكذلك عنصر من عناصر الثقافة الشعبية لمعاصرينا • فالأغنية والحكاية ـ ليستا محراثا أو خما للدجاج ، فخروجهما من الاستعمال الحياتي لايعني عدم اهميتهما للانسان المعاصر والاجيال القادمة • وعلينا ونحن نسعى الى الوفرة الروحية ان ننظر اليهما بحيطة شديدة وعناية فائقة وذلك بتسجيلهما وحفظهما ونشرهما ، والعمل على اعادة الحياة اليهما ثانية عن طريق النشر في كتب وكراريس • وتفيدها في هذا الخصوص الرحلات القديمة التي كان القائمون بها لا يهتمون الا بالفولكلور لاسيما الفولكلور التقليدي • ومع كل ذلك يتعين علينا ان نعي جيدا ان

هذه الطريقة المشار اليها لا يمكن بواسطتها رسم خارطة موضوعية للحياة القولية والشعرية المعاصرة للشعب ، أو على الأقل تحديد دور ومكانة الفولكلور في الحياة العصرية ٠

ان انصار الابحاث الفولكلورية الصرف لا يستطيعون تقديم جواب شاف على السؤال الهام التالي : اذا كانت لا تدخل ضمن مهام البحث الفولكلوري دراسة الحياة الفنية ـ اللغوية للشعب بحجمها الكلي ، فعلى كاهل أي العلوم يتم ذلك ؟ من وجهة نظرنا نرى من المفيد مناقشة مسألة تمشي التسمية التقليدية لعلم تاريخ الثقافة التعبيرية والقولية للشعب ـ البحث الفولكلوري ـ مع المهام العصرية ، أفضل من الاصرار على التسمية ، لان التسمية تجبرنا على دراسة الفولكلور مهما جرت على حياة الشعب من تغييرات ٠

ينبغي أن يكون للبحث الفولكلوري مادته الخاصة والمحددة ٠ ولكن هذا لا يعني حصره وحجره عن العلوم الاجتماعية الأخرى ٠

ان البحث الفولكلوري كعلم يدرس الاشكال الجماهيرية للحياة الشعرية للشعب ، وقد كان ولا يزال جزءا عضويا من الاثنوغرافيا ، وهو كعلم يدرس حياة الشعب الشعرية جزء لا يتجزأ كذلك من علم الادب ٠ والبحث الفولكلوري لايشكل استثناء في هذا الخصوص ٠ ان جميع العلوم العصرية تتشابك وتتداخل بالعلوم القريبة والمجاورة ، ولا يؤدي هذا الى ضياع الاحساس بموضوعها الخاص ، ولا الى فقدان صيرورة واستمرار تجربة العصور الماضية ٠

ان دفع مسائل المعاصرة وتركيز الاهتمام عليها لاينبغي أن يؤدي الى تقليص الاختصاصات الفولكلورية الاخرى ـ النظرية العامة للفولكلور وتاريخ دراسة نشأته وأصله ، والطبيعة الفنية لتطور الالوان الفردية أو النصوص الفولكلورية ، وتاريخ البحث الفولكلوري ، وتاريخ الروابط الادبية ـ الفولكلورية وغيرها ٠ دون تطور جميع هذه الاتجاهات لايمكن فهم المعاصرة كنتيجة تاريخية ، وكحلقة بين الماضي والمستقبل ٠ ومن جهة أخرى فان دراسة العمليات لايمكنها الا ان تشكل لجانا خاصة وهاما بدا في البحث الفولكلوري ٠ وهذه الدراسة هي انجاز مباشر للواجب الاجتماعي الملقى على عاتق العلم عندنا ٠ ومن جهة أخرى فان تنوع الاشكال الشعرية الجماهيرية ، والتغيرات الصارمة التي حدثت في حياة الشعب تجعل البحث الفولكلوري ذا آفاق مستقبلية في المجال التاريخي ـ الثقافي ، والتاريخي ـ الحياتي للشعب ٠

الطب في البادية

قدم الطب :

الطب قديم بقدم الانسان ، لان المرض ــ اومسببات المرض ــ وجدت قبل ان يوجد الانسان ، فالجراثيم ، وجدت منذ العصر الفحمي ، الذي يحدد علماء طبقات الارض بدأه بنحو مائة وثمانين مليون سنة[١] .

ومن نحو ثماني عشرة سنة ، وجد علماء الآثار وهم ينقبون في اميركة وجدوا هيكلا عظميا لـ (ديناصور)[٢] ولما فحصوه اكتشفوا ان هــذا الحيوان العملاق المنقرض ، كــان قد اصيب ــ قبل ملايين السنين ــ بمرض السرطان في عموده الفقري . واظهرت الاكتشافات الحديثة أن البشر الذين عاشوا قبل الازمنة التاريخية ، قد اصيبـوا بامراض كثيرة منها : السل والنقرس وتسوس الأسنان .

اذا فلا بد أن الطب ، قد رافق تلك الامراض ، لان حب الحيــاة نشأ مع الانسان من اللحظة التــي شاهد فيها النور ، فالبداوة على كل ما كان فيها من شظف ــ قديما ــ يقول أهلها : « ألف ساعة في الكدر ، ولا ساعة تحت الحجر » .

ومن هنا ، فان القوم كانوا يحتالون على المرض بوسائلهـم الفطريـة الطبيعية ، ليتخلصوا من آلام المرض ويبعدوا شبح الموت عنهم ، لكنهـم اذا واجهوا الموت ، واجهوه بشجاعة وصبر عجيبين . وكان لسان حالهم يقول :



«ولا تراهم ـ وان جلت مصيبتهم
يوم اللقاء ـ على من مات يبكونا » ٠

فهم ابناء الطبيعة ، فاذا مرضوا لجأوا الى الطبيعة امهم الرؤوم : لعلهم يجدون عندها العلاج الشافي وقد عالجوا أغلب أمراضهم بأعشاب وعقاقير كان في الكثير منها الشفاء التام ٠ ومن تلك العلاج ما كان يبرىء المرض لساعته(٣)، وقد احتفظت بعض الاسر الاردنية بعلاج مرض معين ، بعقاقير كتمت سرها واخفت اسمها وشكلها ، فكانت لها مورد رزق ، وجعلت اهل البادية ينظرون الى تلك الاسر نظرة فيها اجلال وتكريم ٠

● اسماء الامراض :

شغل البدوي بالمرض فوضع للامراض اسماء ، كما وضع لها اصحاب المعاجم ، فقالوا :

وجعان ـ أي مريض ، عليه حمام ، اي مصاب بالحمى ،

مسحوف ٠ أي مصاب بالسل والكلمة من الفصحى ، وقال الفراء السحاف ، السل ٠ وقالوا به كلبة أي مصاب بالسل ، اذ شبهوا السعال المتواصل بنباح الكلب ٠ وقالوا مريض ، وقالوا مع الذي طال مرضه ولا امل في شفائه : « يسوق داه في راداه » (٣) وقالو مفارق ، أي صار مشرفا على الموت ٠ كما وضعوا اسماء لامراض الابل والخيل ، والشاء ٠ ووصفوا لكل مرض دواء ! ولما استعصت بعض الامراض ، ولم تشف عمدوا الى العلاجات الوهمية والخرافية ، والى الطلسمات والحجب ، حتى في ايامنا هذه التي بلغ فيها الاختصاص مبلغا لم يعرفه عصر من العصور ، ما زلنا نسمع من يقول : « الطب العربي احسن من الطب المدني ! »

واللجوء الى السحر في العلاج ، ليس خاصا بالبادية ، فقد وجدت صورة على جدار احد الكهوف في جبال (البرانس) تمثل طبيبا عاش قبل الف وخمسمئة سنة ، رهيب المنظر ، يرتدي جلود حيوانات على رأسه قرون وعل كان يعالج المرضى ، وصورته تشبه الى حد بعيد صور الدجالين الذين يضللون العامة بشعوذاتهم ٠ وهذه الصورة من اقدم الادلة على وجود الاطباء الذين كانوا يمارسون الطب الدجلي :

● اعشاب يعالجون بها :

في البادية الاردنية نباتات ، واعشاب يعالجون بها ، وهانحن اولاء نذكرها ذكرا ، لعلنا ننبه الطب الحديث الى مزايا ما كان غير معروف في عالم الطب للافادة من خصائصها :

١ ـ البابونج (٤) :

ويسمى في مادبا وضواحيها (قبة عبد السيد) ومنهم من يدعو

هذا النبات (قريعة سيدي) وقد استعمل في الطب قديما ، وهو نبات ذو رائحة طيبة ، ازهاره صفر محدبة تشبه القبة ، من أجل هذا دعاه القوم (قبة عبد السيد) وحول ازهاره المحدبة الصفر ، تويج ذو تضاريس بيض تشبه الاسنان ، يشربون خلاصته لازالة التعب ، وتنظيم عمل المعدة ، وللتخلص من الارق ،ولجلب العرق للمريض • واذا اصيب طفل بالمغص سقوه خلاصة هذا النبات بعد ان يغلى •

٢ ـ الجعدة :

نبتة ذات اوراق مبسطة خضرة اذا غليت ، كانت خلاصتها مرة ، يعالجون بخلاصتها المغص الحاد •

٣ ـ اجرية الحمامة :

نبات سابح على الارض ، ذو ازهار بيض فاتحة ، يستعملون خلاصته بعد أن يغلى بالماء على النار لعلاج الرمال المتجمعة في الكليتين ، وفي حصر البول •

٤ ـ الحرمل :

نبات ينمو في اراضي مادبا ، وغيرها ، له رائحة كريهة يعالجون بمسحوقه القرع والقوبا •

٥ ـ الحلبة :

نبات ذو رائحة طيبة ، يستعملونه بعد أن تغلى حبوبه بالماء لادرار الحليب عند توقف جريانه عند المرضعات •

٦ ـ الخوخ :

نبات عطر الرائحة ، ينبت في الحقول ، اوراقه خشنة ، يستعملون خلاصته علاجا للعنة المؤقتة ، والمزمنة •

٧ ـ الشميح :

نبات طيب الرائحة ينبت في البادية ، وفي الاراضي التي شرقي مادبا تتخذ البدويات ـ قديما ـ منه فراشا لطيب رائحته والبدو يعتقدون ان رائحة الشيح تطرد الهوام ، وتحول دون الاحلام المزعجة ، وقد شارع اسم (شيحة) بين نساء البادية دلالة على قيمة هذا النبات ـ في الاصل ـ عندهم •

٨ ـ البعيثران :

وهو البعوثران في اللغة ـ وهو من النباتات الخالدة يشرب البدو منقوعه ، علاجا للمغص الكلوي والمعوي • يحب البدو رائحته • غيران رائحته صارخة منفرة ، هذا ما شعرت به شخصيا !

٩ ـ القيصوم :

من نباتات البادية الاردنية ، يتخذون خلاصته علاجا لحالات المغص وللنقرس ـ مرض المفاصل ـ وللنسا[٥] وهو يسمونه ـ خطأ ـ

عرق النسا ـ ومنهم من يبلغ اقصى دركات الوهم ، فيقول (عرق النسا) جمع امرأة ٠

١٠ـ الكرية :

بلفظ الكاف جيما تركية ثلاث نقاط ، نبات تعلوه غبرة ، يعالجون بخلاصته الملاريا ـ الوبالة ـ وكثيرا ما يضعون مع خلاصته ، الكينا ، وملح البارود غير المصنع ! ويسمون هذا المزيج (المثلوثة) يعطون المريض منها كل ثلاثة فناجين قهوة مرة ٠

١١ـ الكتيلة :

بلفظ الكاف جيما تركية بثلاث نقاط، يستعملون خلاصتها بعد أن تغلى ، مخلوطة بخلاصة الشيح والخوخ للتخص من الدود بجميع اصنافه ٠

١٢ـ الوسبة :

او الوسبا ـ يستعملون خلاصتها علاجا لاحتقان الكبد ، ولتلطيف آفات القلب !

●امراض مشهورة عندهم وعلاجاتها :

١ ـ الباسور :

ويسمونه الماسور بقلب الباءميما ولعلاجه يأخذون ضفدعا فيحرقونه الى ان تتحول فحما ، وبعضهم يحرق السرطان ، ومنهم من يحرق الحرذون ومنهم من يصف الوزغة ـ ويسمونها ابو بريص ـ ويسحقون ماحرقوا منها ويخلطونه بمقدار ربعه من مسحوق الشيح ، ويعجنون هذا المسحوق الناعم جدا بدهن النعام ، فان لم يجدوه عجنوا المساحيق هذه بدهن الدجاج ، ويضمدون الباسور بهذا المعجون ، سبعة ايام ويقولون ان فيه الشفاء ٠ ومن اطباء البادية من يصف مثلوثة البعيثران والشيح والقيصوم ، تغلى جميعها بمقادير متساوية ، ويغسل بخلاصتها المكان الملتهب ، ثلاث مرات يوميا لمدة اسبوع ويقولون ان هذا العلاج فيه الشفاء !

٢ ـ ابو الحقي :

اسم الزائدة الدودية عندهم ، وعلاج (ابو الحقي) عندهم ، كي الربابة ـ شكل مربع على مراق البطن من الجهة اليمنى ـ وكثيرا ماكانوا يذيبون اقذار الكلب ، ويسقونها المريض ٠ ومن هنا جاء المثل القائل « الله بيلعن وجع القلب ، اللي يلزك على خرا الكلب ! » مثل يضربونه عند الاحتياج الى الخسيس من الناس ٠ ويعالجونه ايضا بعصير قثاء الحمار ٠

٣ ـ ام السين :

وهي بثرة خبيثة تظهر تحت اللسان ، يعالجونها بالكي بالمخاط ـ

ابرة غليظة تخاط بها المنسوجات الصوفية ـ سبع مرات على البشرة نفسها ، وبعد الكي ، يدهنونها بدهن الغام ، وبعض اطباء البادية يجعل الكي في مؤخرة الرأس ، غير انهم يقولون ان العلاج الاول انجع ٠

٤ ـ التهاب طبلة الاذن :

علاجه عندهم ، قطرات من خلاصة البابونج بعد غليه ، عصارة الكلية المشوية بنار الحطب ـ وتفضل كلية الضأن ، على كلية المعاز ـ وبقطرات من زيت الزيتون الصافي الدافيء ٠

٥ ـ جفاف الانف :

وما يظهر فيه من بثور ، يعالجون ذلك بالسمن والمر ، بعد غليهما معا أو بدهن الغام المخلوط بمسحوق الشيح ٠ او بدهن الوبر(٦) المخلوط بمسحوق القيصوم او بدهن القنفذ المخلوط بمسحوق الوسبه او بدهن النيص ـ الدلدل ـ المخلوط بمسحوق البابونج ٠

٦ ـ التعناية :

اسم يطلقونه على مرض (الزحار) ويقولون (تقريطة) ويقولون (زنطاري) والعلاج عندهم الحمية التامة عن الطعام ، ما عدا اللبن الرائب ، والثوم ، وخلاصة الجعدة والميرمية ، بعد ان تغلى وتبرد ، والليمون الحامض ، والشاي غير المحلى بالسكر ٠ فاذا حلي بالعسل تحلية خفيفة قبل !

٧ ـ الحصار

حصر البول ـ يعالجونه بالجلوس في الماء الساخن ، الذي طرح فيه (البعيثران) العبوثران ، وخلاصة الرشاد المحلاة بالعسل وبخلاصة النبات الذي يسمونه (اجرية الحمامة)

٨ ـ الزكام ـوالانفلونزا :

وقد سمعت من يسمي الانفلونزا (التلفزيون) العلاج هو استنشاق دخان السكر المسحوق ، واكل البصل المشوي ،ويكثرون عليه الفلفل والملح، مسحوق الشيح والقيصوم سعوطا ، ومنهم من يصف استنشاق ما تجمع بين اصابع القدمين من أوساخ ، وسمعنا بدويا يصف استنشاق بول الناقة ، وسمعت من يصف علاجا خاصا بالناقة ، يشير الى رواسب من عبارة الجاهليين للجمل !

٩ ـ الريح :

وهو انتفاخ عام يصيب الجسم ٠ ولا سيما الاطراف ، فيشعر المريض

بالم شديد ، لايتمكن معه ان ينهض من فراشه ، وقد يكون الريـــح في عرفهم اوراما موضعية لا تؤلـــم . فعلاجه : جذور شجرة الريح ، ولعلهم يقصدون بشجرة الريح (الوسبة) نفسها ، لان الطبيب البدوي يحتفظ بسر هذه الجذور ، ويسميها جذور شجرة الريح . ويقول انه اذا باح باسمها افسد مفعولها . والطبيب البدوي يسحق هذه الجذور ، ويرش منها على خبز فطير ، مقدار ما يملأ معلقة الشاي كل مرة ويواصل علاجه اسبوعا كاملا ، كل يوم ثلاث مرات ، ويأكل المريض هذا الخبز الفطــير العذب مثرودا بسمن الضأن الخالــي من الغش .

ويعتقد هذا الطبيب ، انه يجب البدء بهذا العلاج نهار الاحد ، لكي يحد الشر عن المريض . ويوجــب تغطية المريض ، قبل البدء بتناول العلاج بسبعة اغطية ، اعلاها منديل لفتاة غير مخطوبة ، لم يفكر احد في ان يتزوجها بعد ، والـدهـامي . ويشترط الطبيب ان يقدم الطعــام الذي ذر العلاج عليه ، بدون ذكـر الله . وغرض الطبيب من ذلك ، كما ذكر لي ، ابقاء الجن ، وملاطفتهم ، لكي لا يهربوا عند ذكر الله ويتركوا المريض يتخبط في آثار مرضه . وبما أن الطعام يكون مرا ، بسبب ما ذر عليه من مسحوق ، فان على المريض ان يتناسى تلك المرارة لئلا يقــع في مرارة استعصاء الداء . ويحتـــاط الطبيب البدوي احتياطات يعتقد انها ضرورية ، ليكون الدواء ناجعا :

- ففي الدور الاول ، يجب عـــلى المريض ان يلازم الفراش الى ان يعرق عرقا شاملا ، وعلى اثر ذلك ينزع عنه الاغطية ، واحـــدا فواحدا ، الى ان يبقى عليه الغطاء الضروري ، بالنسبة الي الفصل الذي يعالج فيه المريض .

- يتناول المريض العلاج صباحــا قبل اي طعام .

- يصوم عن الماء اثنتي عشر ساعة .

- يمتنع من المو الــح والحــوامض والمغلظات ، ويسمح له باكــل التمر ، والحلاوة والخبز الفطير العذب .

- يشرب الحليب من غير أن يعرض على النار مدة سبعة ايام . وهكذا ينقضي الدور الاول .

- وفي الـدور الثـاني : تراعــى الاحتياطات السابقة ، ويزيــد عليها : اعادة العلاج نفسه .

- يسمح للمريض ان يتناول الطعام المملح قليلا ـ نصــف الملــح العادي ـ

● يسمح له باكل لحم الضأن المشوي العذب ٠

● وفي الدور الثالث : يعطى المريض العلاج نهار الاحد ـ لكي يحد الشر نهائيا ، مع مراعاة الاحتياطات السابقة ٠

● يسقى المريض الماء كل سبع ساعات مرة نشحا ـ اي بلا ارتواء ـ

● وقد ذكر لي الطبيب ، ان المريض يشعر بآلام تعم جسمه كله في الاسبوع الاول ٠ لكن يصحب ذلك تناقص في الانتفاخ ٠

● وفي الاسبوع الثاني تكاد تزول الاورام وتخف الاوجاع او تزول

● وفي الاسبوع الثالث تزول الاورام والانتفاخات ، فيسمح للمريض ان يعود الى اسلوب حياته المعتاد ٠

وعلى المريض ان يدفع قبل البدء بالعلاج : رطلين من الارز ، ورطلين من السكر وكيلو من القهوة العدنية ويسمون هذا (سماط شجرة الريح المباركة) الدائمة الخضرة التي لايحق لاحد اقتلاع جذورها الا اذا كان من اسرة هذا الطبيب او من عشيرته ، وان تجاسر غيرهم على استئصالها عمي ، واستؤصل نسله ٠

هذا وبما أن الموضوع متشعب ، فسنعود اليه مرة ثانية وثالثة لكي نستوفي العلاجات التي وقفنا عليها ومنها ما هو عملي ، ومنها ماهو من قبيل الخرافات والشعوذات ٠

لكن القوم يؤكدون ان علاجاتهم تلك انجع من طب المدن كما يقولون ٠

---

(١) التدوي ـ تاليف الاستاذ المرحوم عبد القادر عياش ، صفحة ١٤ ٠

(٢) اضخم الحيوانات هيكلا ، انقرض لعدم قدرته على التطور مع البيئة ،يوجد من هياكله هيكل في متحفة اللوفر ٠

(٣) كانت مجلة المشرق الشهيرة ، قد نشرت كتابا في الطب العربي القديم اسمه (باب برؤساعة) قرأته من نحو خمسين سنة فيه من العلاجات البسيطة الشافية ، ما يكاديكون مذهلا ٠

(٤) معربة عن الفارسية ٠

(٥) لعل اشنع الاوهام في هذه الكلمة قولهم عرق الانسر ٠

(٦)الوبر رويبة على قدر السنور ، غبراء بيضاء من دواب الصحراء حسنة العينين ٠ شديدة الحياء ، لا ذنب لها ، تدجن في البيوت٠ ومن اقوال العامة : « قتال الوبر يانادم الوبر خي ابن آدم ! »

(العزيزي)

التجربة الرومانية في إحياء التراث الشعبي

يحظى التراث الشعبي في رومانيا باهتمام يتجاوز اوساط المختصين والمثقفين الى جميع فئات السكان . واستطاعت اعمال العديد من الفنانين والادباء ان تجعل من هذا التراث مظهرا راسخا من مظاهر الحياة الثقافية في رومانيا اليوم .

وفي حين ساعدت حركة التصنيع المكثف التي شهدتها البلاد في السنوات الاخيرة على حدوث عملية انتقال تلقائية لعناصر التراث الشعبي من الارياف الى المراكز الصناعية في المدن ، فان سكان الارياف المقيمين في قراهم ما يزالون يحافظون على عاداتهم القديمة وتقاليدهم واغانيهم ورقصاتهم وازيائهم .

ووجد علماء الاعراق البشرية والاجتماع في عملية الانتقال هذه ميدانا رحبا للقيام بالمزيد من الدراسات والابحاث وأنشىء في هذا المضمار وفي عام ١٩٤٩ «معهد بخارست لدراسة الاعراق البشرية » بهدف دراسة مراحل عملية انصهار التقاليد القديمة والعادات والاعراف في اطار الحياة المدنية الحديثة ، وكانت اهم وسائل اجراء هذه الدراسة جمع كل ما يمكن جمعه وحصره من عناصر التراث الشعبي ، ولقد تم جمع ما يزيد على المئة الف مادة فلكلورية تشمل ضمن ما تشمل النصوص



الادبية المكتوبة والشفوية والموسيقى والـرقص والعـادات والطقـوس الاحتفالية حتى انه اصبح من النادر العثور على مواد غير مسجلة · وبهذه الخطوة الكبيرة تم درء خطر زوال هذا الرصيد الهائل من عنـاصر التراث الشعبي امام سرعة وحجم التقـدم الاجتماعي والاقتصادي· وسجلت تلك المواد على اشرطة وافلام وفي ملفات ستظل بلا شك اهم مرجع وقاموس عن التراث الشعبي الروماني باكمله ·

ومن ضمن المواضيع التي تـم التركيز عليها اثناء اجراء المسـح الشامل للتراث الشعبي الرومانـي دراسة المفاهيم الاجتماعية التقليديـة واشكال تطورها فيما يتعلق بعادات الزواج والسلوك والقرابة والعلاقات الشخصية ، كما حظيت الانمـاط المختلفة للحياة الرعويـة والحـرف الشعبية باهتمام مماثل ·

وفي مجال الادب القولي اهتـم الباحثون بتاكيد الهوية الرومانيـة للاغاني الشعبية والقصائد الملحميـة وايجاد حلقات ترابطها بمثيلاتهـا في دول جنوب شرق اوروبا · كما جمع الباحثون نماذج مختلفة لكل الآلات الموسيقية الشعبية وعرضها في متحف خاص يعتبر من انجازات الباحثـين الرومانيين في الدراسات الموسيقيـة التي يشرف عليها المجلس الدولـي للموسيقى الشعبية ·

وتجري المحاولات الآن لتبويـب وتصنيف هذه المواد التي استغـرق جمعها عشرين عاما ليصار الى نشرهـا في مجلدات تضم جميع عناصر واشكال التراث الشعبي الروماني ·

وتوجد في رومانيا الى جانب معهد بخارست معاهد واكاديميات متخصصة في دراسة اللغات والموسيقى والاقليات المقيمة في رومانيا · كما توجد متاحف عديدة مهمتها الحفاظ على معروضاتها وتسهيل اجراء الدراسات عليها عنـد الحاجة · وفي عام ١٩٣٦ اسس متحف نموذجي باسم « القرية المتحفية » في بخارست لاعطاء صورة متكاملة لشكل وتنظيم القرية الرومانية القديمـة ، وهناك متاحف اخرى اما ان تكـون متخصصة بكاملها او لها اقسـام متخصصة تعرض لونا محددا مـن

الوان الفنون الشعبية ، ويؤمن بعض الاختصاصيين بالجدوى العلمية والسياحية لانشاء قرية صغيرة تعيش فيها جماعات نموذجية في ظروف ريفية حقيقية .

لقد كانت التقاليد والاعراف تنتقل من جيل لآخر داخل نطاق الحياة الأسرية ، اما اليوم فان انظمة التعليم المتبعة في القرى والارياف لا تختلف عن تلك المطبقة في المدن الكبيرة والنتيجة هي تعرض الجيل سواء في الريف او المدن لنفس المؤثرات الخارجية وبالنسبة للريف فان الطلبة يتلقون مفاهيم تلائم العالم الخارجي اكثر من ملاءمتها لبيئتهم المحلية . وترتب على ذلك ايضا ضعف الروابط الاسرية واقترابها من ظروف الحياة الاسرية في المدن ، كما أن النظرة للقيم والنظام الطبقي قد تغيرت واصبح الفرد هو مرآة لقيم المجتمع واصبحت عملية الاخذ بالعادات خاضعة لمبدأ الا نتقاء .

ودرس الباحثون ايضا دور وسائل الاعلام كالكتب والصحافة والاذاعة والسينما والتلفزيون في تغيير مفاهيم الناس واعدادهم لتقبل القيم الجديدة .

لقد اصبح التراث الشعبي بشتى اشكاله والوانه مادة استهلاكية ثقافية واسعة الانتشار .. ففي رومانيا اليوم ٣٦ فرقة موسيقية كبيرة والعديد من فرق الرقص والغناء سواء على مستوى الاحتراف او الهواية .

وتقام في انحاء عديدة من رومانيا مهرجانات شعبية موسمية وكان اشهرها « مهرجان الفنون الشعبية الدولي » الذي اقيم في بخارست عام ١٩٦٩.

لقد ثبت ثراء التراث الشعبي الروماني كما وكيفما وأكد الباحثون هويته الرومانية التي أبرزت في محافل دولية كثيرة ، وتربط حاليا المعاهد والمتاحف والاختصاصيين الرومانيين صلات تعاون وثيقة بالمعاهد والمتاحف والاختصاصيين في انحاء العالم وتتبادل المؤسسات الرومانية المختصة المعلومات والنشرات مع اكثر من اربعمائة مؤسسة ومختص في مجال التراث الشعبي خارج رومانيا .

المَركز الفولكلوري العِراقي

عمر الساريسي

اذا ما زرت بغداد وتجولت في حي الباب الشرقي ووصلت الى المفرق استوقفتك لافتة مكتوبة بمعدن اصفر لامع ناتىء وبالخط الكوفي « المركز الفولكلوري » ولا تستطيع مقاومة الاغراء لان ما اصبحت تراه خلف النوافذ الزجاجية العريضة يدعوك بصوت عال ، فتدلف الى الداخل فتجد نفسك بين ادوات البيت العراقي الشعبية الموضوع بعضها على حاملات تكاد تنحط الى الارض وبعضها على طاولات ترتفع عنها الى ان تصبح في متناول يد الواقف ، وبعضها يقف بنفسه ٠

تسرح نظرك في هذه الأدوات فتجد انها تحاول ان تغطي جميع مناطق العراق من خانقين الى البصرة فهذه ادوات القهوة وبعضها مصنوع من نوع من الفخار الناعم : وعاء لغلي القهوة وست فناجين عليها نقوش محفورة ، وبعضها معدني مزين بالنقوش المحفورة والملونة ، واواني الطبخ الريفي في البيت العراقي : قدور فخارية ومعدنية ، ودست فخاري ومعدني وصحون للأكل فخارية ومعدنية مزينة باشكال هندسية ورسوم شخصية ، وملاعق خشبية ، ويلفت الانتباه النحاسيات اللامعة من ادوات البيت العراقي من التي تستخدم للطعام وللشراب وللعرض في زوايا المنازل ٠ ويندر ان يخلوانا‌ء نحاسي من نقوش لرسوم بدائية او من شكل من اشكال الخط العربي المعروف بالكوفي ٠ وان كانت النقوش اثرا من آثار الفن التشكيلي القديم في العراق فان هذا الخط اثر من آثار الفن الاسلامي ٠

وليس الفن عرضيا في المعرض ولكنه معني بصورة اساسية ، فان الزائر يقف امام خمسة انواع او ستة من انواع الربابة التي يستعملها الشاعر الشعبي في الانشاد والحكاية في مجالس الليل والرجال ٠ كلها تدل على الاتقان ، وجلدها جلد ارنب او

غزال رقيق واوتارها تكون غالبا من شعر اذناب الخيل ٠

وادوات الحراث الريفية ممثلة في المعرض ببعض « السكك الحديدية » ذات الرأس الطويل المدبب الـــذي يستخدم لشق الأرض وحفر الاتلام ، وهو يرتبط بيد خشبية يمسك بهـا الحراث وهو واقف وهي افقية ترتبط بخشبة عمودية تتصل « بسكـــة الحديد » ٠

والفروة التي يلبسها الناس في العراق في الريف حينما يشعرون ببرد الشتاء وتصنع من جلود الخراف او الماعز ، وفي المعرض تجد اشكـــالا مختلفة منها ، لتناسب مختلف الاعمار ومنها ماتدخلت فيه الصنعـة كثيرا أو قليلا ٠

وتتجول في ارض المعرض فتقـع عينك على اشكال مختلفة من الاحذية القديمة ، البسيطة الصنع ، والتـــي تتكون غالبا من نعل ومن سيـــور جلدية تمسك باحد الاصابع وبعضها يزين بالأشكال الجميلة التي تتناسب مع القطع الجلديـــــة طولا وقصرا وتدويرا ٠

والثيـاب العراقيـــة للرجـال وللنساء قد توفر المعرض على الكثير منها ، وكلها يرتفع اليك على قوائـــم ويلبس هياكل تتكفل بعرضه عرضا جيدا ، فلباس رأس الرجل العراقـــي (الكوفية البيضاء والمخططة بالخـــط الاسود) والسترة التي يلبسها الرجل فتغطي صدره وظهره ويديه ، ثم السروال الأســـود والملون ، ثـــم (الدماية) التي يلبسها الرجـال في ريف العراق وبلاد الشام ثم البسة النساء بما في ذلك غطاء الرأس والثوب البدوي الواسع ولا يكاد يخلو ثوب نسائي من نقوش بمختلف انـــواع الحرير والوانـــه ٠

ومن الاشياء الكثيرة التي تعرض في الطابق الأرضي من المعرض مجلة التراث الشعبي العراقية ، والتـــي تصدر عن المركز ، منذ سنـــوات ، والتي تعتبر مجلة الفولكلور الأولى في العالم العربي ، بعد احتجاب مجلـــة الفنون الشعبية القاهرية ٠ان الزائر يستطيع ان يشتري العدد الذي يريد من أعداد هذه المجلة التي نرجـــو لعمرها ان يطول ٠

اما الطابـــق الثاني من المعرض ففيه الأدارة والمكاتب ، وفيه اشغـال الأبرة وانوال البسط البسيطة ، واذا تجولت في الغرف الكثيرة اطلعت على فن التطريز على الثياب النسائية الذي يلخص شيئا من اشكال الفن الشعبي العراقي والذي يحاول ان يمثل الازياء الشعبية العراقية المختلفة البيئـــات والتواريخ ٠

هذا قليل من كثير يعلق بذهن الزائر للمعرض ، في زيارة مستعجلة وتحية للعناية الفائقة والاهتمام الفذ وللقائمين على ادارة هذا المركز الـــذي من بعض اعماله المعرض والمجلــــة واشياء كثيرة ، تحية للاخوة الاساتذه لطفي الخوري وسعدي يوسف وكل من يعمل في المركز ٠

بيركهاردت يصف الحياة الشعبيّة في الكرك

شعيب الدناي

نورد فيما يلي ، وصفا ميدانيا حسب المصطلح المعاصر - لما رآه وعاشه وسجله ، عن الحياة الشعبية في الكرك ومنطقتها ، الرحالة يوهان بيركهارت المولود في مدينة لوزان ، سويسرا عام ١٧٨٤ .

ولا غرو فان رحلة بوركهارت في منطقة الكرك التي امتدت من ١٤ تموز ١٨١٢ لغاية ٧ آب من العام نفسه ، حصلت في الوقت الذي بدأ فيه « الانثروبولو جي » يتبلور كعلم قائم بذاته بين العلوم الانسانية ، على يد العالم الالماني يوهان فريدريش بلومنباخ ، استاذ الطب في جامعة غوتنغن الالمانية والذي تتلمذ عليه بيركهارت نفسه . كما انه من الناحية الأخرى بدأت كتابات الدارسين الالمان في تسجيل الفولكسكنده ، وذلك منذ عام ١٨٠٦ ، وهذه الفولكسكندة التي اختلفت تعريفاتها ما بين« البحث في الثقافة الشعبية » و « دراسة القرويين ومأثوراتهم » . وبعد وفاة بوركهارت عام ١٨١٧ بثلاثين عاما بدأ تومز يكتب في المجلات البريطانية سلسلة رسائل كانت اولاها تلك التي اقترح فيها استعمال مصطلح فولكلور بدلا عن التسمية المشوشة «الآثار الشعبية القديمة Popular Antiquities .

وهكذا نشأ وسار «الفولكلور» علما انسانيا يدون مالم يدون من المأثورات الشعبية على سعة ما يشمل هذا التعريف . مكملا لسلسلة «العلوم الانسانية » ومكتملا منها ، فاعلا بها ومنفعلا منها وبلا استثناء ، سواء كانت هذه العلوم تاريخا ، علم آثار ، انتروبولوجي ، بترولوجي او علم الاجتماع وغيره .

الرحلة من دمشق الى الكرك

يقول بيركهارت « ترددت من أين يجب ان انزل في الكرك ، وفيما اذا كان من الأنسب ان اعلن انني

مسلم ام مسيحي ، لانني كنت اعرف ان نجاح تقدمي جنوبا يتوقف على حسن النية عند الاهلين ٠ وبالرغم من انني كنت احمل كتاب توصية من صديق مسلم دمشقي زوجته من مواليد الكرك ، الى شيخها الا اني اذ كنت اتوقع انه بنزولي عند شيخ الكرك سوف اتعرض لزيارات بعض الفضوليين فقد قررت أن أنزل في بيت احدالمسيحيين ٠ وما كدت ادخل بوابة البلدة الشمالية حيث يقع الحي المسيحي ، حتى احاط بي عدد من هؤلاء الناس الكرماء يتجاذبون لجام راحلتي وكل مصر على ان انزل ضيفا على مسكنه ٠ واذ تبعت واحد منهم فقد تجمع الجيران بكاملهم على الوليمة التي ذبح فيها شاة ٠ كل ذلك تم دون ان يسألني احدهم قط عمن أكون أو الى أين انا ذاهب ٠٠»

السكان

ويذكر بيركهارت ان الكرك في ايامه كانت « مأهولة بحوالي اربعمائة عائلة مسلمة ومائة وخمسين عائلة مسيحية ، ولديهم جميعا ١٠٥٠ بندقية وذلك لحماية القوافل التجارية والمزارع المحيطة وانعام الرعاة في المنطقة خصوصا وكل السكان يمارسون هذه الاعمال (التجارة والرعاية والزراعة) في المنطقة المحيطة ٠ ويتألف السكان على الأغلب من مهاجرين وابناء مهاجرين من منطقتي جبال نابلس والخليل ، هذا بالنسبة للمسلمين منهم أما السكان من المسيحيين فهم من ابناء مهاجرين ومهاجرين من القدس وبيت لحم وبيت جالا ، كما أن بينهم كثيرون من اصل بدوي أذ يقبل البدو على تزويج الكركيين والتزوج منهم كما أن هناك بعض الخلاسيين والزنوج الذين كانوا اما عبيدا معتقين أو آتين من بلدان نائية والتزاوج من البدو يمتد الى قبائل بعيدة المنازل كعنيزة والرولة ٠ ويزداد السكان عددا في الليل اذ يفد على المضافات السبعة عدد ملحوظ من البدو النازلين في الجوار للرعي أو اولئك المارين في القوافل اذ يطيلون المكوث في الكرك لينعموا بالطعام الشهي الذي يقدم يوميا في هذه المضافات ، اذ يتعهد كل رب عائلة بتقديم الذبائح في يوم بذاته مما يضمن توارد الغذاء يوميا بشكل منتظم ٠

الحياة المعاشية (الاقتصادية)

في ايام رحلة بوركهارت لم يكن في بلدة الكرك من الحوانيت الحرفية سوى ٣ واحد لكل من الحداد ، الاسكاف وصانع حلى فضية ، لكن كانت تجارة المقايضة مع بدو ومزارعي الجوار هي العمل الاكثر رواجا والسلع التي كانت تشترى وتجمع مقايضة متعددة وتقوم قوافل مرة كل شهرين بتوريدها الى مدينة القدس والخليل ، وترجع محملة

بالسلع المشتراة من هناك واهمهـا البن ، والرز والتبغ ، والغريب أن هذه السلع الثلاثة كانت محرمة أو شبه ممنوعة من الوهابيين الـذين غزو الكرك حينـذاك لكنهـم لم يستطيعوا تنفيذ ذلك ، اذ كـان الكركيون يستفيدون من الوضـع القائم اذ أن جيوش ابراهيم باشـا كانت تقـارع الوهابيين كـمـا ان الاتراك كانت الكرك تخومهم مـع الوهابيين . اما البن فقد كان طيلـة القرن السابق للرحلة موضع جدل بين فقهاء العثمانيين هل هو مسـكر ؟ ولذلك اطلق عليه اسم «قهوة» وهو احد مترادفات « الخمر » اما التبغ فهـو حديث الاحضار من اميركا (الدنيـا الجديدة) ومـا زال الوهابيـون يتحرجون منه ليومنا هذا ـ لكـن قصة تحريم او منع الرز فهو أن الرز ادخله المغول والتتر وهم كالصينيين والماليزيين جميعا اكلهم الاساسي هو الرز ـ لذلك افتى فقهاء الوهابيـة حينذاك بأنه مكروه اذ لم يؤكـل او يذكر عنه في الحديث والسنـة واخبار السلف ! اما الصادرات التي كانت بيد عدد من تجار الخليـل ولذلك كانت الارباح فيهـا تتجـاوز الـ ٢٠٠٪ فهي تتناول السلـع التالية : الفوة ، وهو نبات تتخـذ عروقه لاستخلاص الصباغ الاحمر ، النيلة وهو النبات الـذي يستخرج منه صباغ ازرق ، وكانت النيلـة المجنية من غور الكرك تتفوق عـلى النيلة المصرية وسعرها اعلى بـ ٢٠ بالمائـة . والبغـال وقرون العنز البري الذي له قرون ملتوية كبيرة تقارب المتر امتدادا ، وكانت تتخـذ منها ايدي السكـاكـين المنزليـة المصنوعة في الخليل وكذلك الحمـر (الزفت) الذي كان يستخرج مـن ضفاف البحر الميت الـذي يدعـوه الكركيون بحر لوط . والذي كـان يستعمل في مدن الشاطيء في طـلاء القسم الغاطس من السفن والقوارب الكبيرة ليمنع نز الماء من خلال خشب جسم هذه السفن والقوارب كـمـا كانت تحمل القوافـل بالتـراب الحمضي (القصرفل) الذي يدخل في صناعة الصابون ، وكان الصنفان الاخيران يباعان في غزة ومدن السهل الفلسطيني .

اما في الزراعة والرعي . فـان ثلث سكـان بلدة الكرك كـان باستمرار في المضارب حول البلـدة وعلى مسيرة ساعتين منهـا وهـي ٨ مضارب لمختلف فئات السكان اذ كانوا باستمرار يزرعون القمح والذرة ونوعا من التبـغ « التتن المردين » وكذلك رعاية قطعان الغنم والماعـز ومبادلتها مع بدو الجوار ونزلائـه بما ينتجون من حبوب ، واصـواف تتخذ في الانسجة كملابس ومضـارب أما « السمـن » الـذي يسميه بوركهارت « الزبدة » فيقص علينا رحالتنا هذه الطرفة التي كانت أيامه : « في الكرك يعتبر بيع السمـن او المقايضة به بأي من ضرورات الحياة

دناءة لاتغتفر • وهم يمونون ضيوفهم بهذه المادة بسخاء ، ولاغرو فان ممتلكات الاهلين تتكون اساسا من المواشي ، وكل عائلة تحوز على اكثر من قطيع من الماعز والغنم التي تنتج الزبد والسمن • وبالاضافة للاصناف الاخرى التي يتخذ فيها السمن في مطبخهم ، فان الطبق الاكثر شيوعا عندهم في وقعتي الفطور والغداء هو « الفتيت » وهو نوع من العصائد التي يساط بها السمن بكثرة • وهكذا فان بعض العائلات تستهلك بالسنة نحو عشر قناطير من السمن • واذا عرف عن شخص انه باع هذه المادة أو قايض بها تبقى بناته واخواته دون زواج اذ لا احد يناسب عائلة «بائع السمن » وهذا احقر لقب يمكن ان ينعت به الرجل في الكرك لكن هذا غير متبوع بين بدو الجوار » •

وكذلك يجنون من منطقة الغور المجاورة عسل بيروق الذي هو نوع من الصمغ السكري الذي يحسبه بيركهارت « المن » ويجمعون ايضا نبياتات برية يستخرجون حريرها ليستعمل فتيلا أو عنصر اشتعال في بنادقهم التي يدكونها بملح البارود المعدن محليا كما انهم يعدنون من على سطح الارض على مشارف بحر لوط كلا من الملح الصخري ومادة الكبريت وكذلك الصخر الصدفي هذه كلها تورد الى الخليل والقدس وبيت لحم • بينما يعدن الحجر البترولي للاستعمال كوقود مع روث الابل والبهائم • والحجر البترولي هذا يسميه الاهلون « الحجر المنتن » لرائحته ، بينما يفسر بيركهارت ذلك بانه نتيجة لانحلال المادة العضوية التي فيه ، ولا يزيد على ذلك فان الجيولوجيا ايامه كانت علما لم يستكمل بعد انجازاته •

اما النبات البري الذي يستخرج منه حرير الاشتعال فهو شجرة العشير » التي بحجم شجرة الدفلي وثمرها بحجم الرمان برتقالي اللون يكثر في الاغوار • وبالاضافة لحريره المشتعل كان الكركيون يستخرجون عصارته لتباع لعطاري القدس والمطببين الذين يستعملونها في الادوية خصوصا المسهلات اما العرار وهو الفرجس البري فهو عبق ويستخرج البدو عصارته المغذية •

المرأة والزواج والولادة

يصف بيركهارت المرأة الكركية بانها اكثر حرية وأقل تحفظا من نساء الطفيلة اللواتي عكس الكركيات يتحجبن ولا يتحدثن مع الغرباء مقلدات بذلك نساء الحواضر والمدن • كما أن النساء يقمن بواجبات كثيرة في الاعمال خارج المنزل في الحقل والمزرعة وساحات الرعي والمخيمات التي تقام لهذه الاغراض ، كما انهن يوصلن

المعلومات الى الرجال بسرعة ودقة اذا تعرضن لحوادث سلب واغارة من شذاذ البدو وكان الرجال بعيدين عنهن . وبشكل يكفل تطويق السالبين ورد المسلوبات غالبا . ويذكر بيركهارت الاستقلالية التي تتمتع بها المرأة الكركية مقرونة بالاسباب والموجبات الاقتصادية كالآتي :

« المبلغ الذي يدفع كمهر لوالد العروس يتراوح عموما بين ستماية وثمانماية غرش . أما الشبان الذين ليس لديهم هذا المبلغ ، فيعملون في خدمة والد العروس لمدة خمس او ست سنوات بلا أجر ، وذلك بديل مهر البنت . والكركيون لايعاملون زوجاتهم برقة وحنان كالبدو ، فاذا اصاب احداهن مرض وأزمن ، يعيدها زوجها الى بيت والدها الى ان يتم شفاؤها . وهذه قاعدة متبعة بين المسلمين والمسيحيين على السواء . وكذلك ليس من العرف أن ينفق الزوج على كسوة زوجته فهذه الاشياء يمدها بها أهلها ، أو تقوم الزوجة باخفاء بعض المحاصيل وتبيعها خفية لتكتسي بثمنها كما لا ترث زوجها بأي من ممتلكاته . والكركيون لاينامون مع زوجاتهم تحت لحاف واحد فهذه عندهم كبيرة قد توصم فاعلها بالجبن مثلا . واساليب الحياة البيتية التي يتبعها المسيحيون في الكرك ، هي نفسها المتبوعة عند المسلمين كما أن قوانينهم هي ذاتها باستثناء مراسيم الزواج ، وفي حالات الخصومة حتى تلك التي تقع بين المسيحيين أنفسهم يلجأون الى القاضي الشرعي ، وهو عادة يعين بالانتخابات من قبل وجوه البلدة . ويصف المساكن في الكرك بانها من طبقة واحدة فقط تقوم ثلاث أو اربع غرف في نفس الفناء أو ساحة الدار ، وسقف المنزل مدعوم بقوسين على ذات الاسلوب المتبع في بيوت حوران ... وتوضع فوق الاقواس جذوع الاشجار وفوق هذه الجذوع طبقة من نبات الاسل أو السمار . وعلى امتداد جدار الغرفة ، حيث مدخلها ، توجد القواري ، المبنية من الطين ، لتخزين الحنطة ، وهذه الغرف لا تحتوي على اية نوافذ خلا الباب .

ومن الناحية الاخرى يذكر بيركهارت أن في الكرك كنيسة واحدة باسم الخضر ، بالرغم من أن رعيتها يدفعون النذور للكاهن المحلي وكرسي القدس بانتظام الا انهم قليلو التردد على الكنيسة ولا يقومون بالصوم اذ أن ذلك يعني امتناعهم عن اكل المنتجات الحيوانية والاكتفاء بالخبز الجاف اذ أن قوام ادام الأكل الكركي هو من الانتاج الحيواني . ويقول ان اطفال المسلمين يقدمهم اهلهم الى الكاهن ليعمدهم ، الذي يكتفي بالنسبة لهم بتغطيس الاطراف فقط . وذلك لاعتقاد اهلهم بان ذلك فال حسن في نجاحهم في الحياة العملية ، وأن الذي يتعمد هكذا يعيش سن الشيخوخة .

رسائل .. الى المحرر..!

● **ارجو اثبات ملاحظاتي التالية على مقال الشاعر الشعبي مصطفى المجلي العتوم**

١ - ان نسبة هذه المقطوعة الى الشاعر العتوم غير صحيحة ! فهي لشاعر رويلي اسمه ذعار ابن مانع ، كان اسيرا عند (مفوز النجفيف) بحدود سنة ١٨٢٠ تقريبا .

٢ - يجوز ان الشاعر تمثل بها تمثلا ، مع هذا فالرواية غير صحيحة وصوابها هكذا :

والله لولا التتن والكيف لولاه
الشاوري[١] من التتن يرد روحي

الله على عظم[٢] من التتن نملاه
اكويه بالجمره ويكوي جروحي

عبه عماشا[٣] التسالي تشراه
بيه العصا للقلب يوم ان يسوحي[٤]

الله على دلة على النار مركاة
اقلب الطبخة على كيف روحي

منقية من ديرة الهند مشراه
وبهارها منقود حبة نقوحي[٥]

تصبها القباب خضاب الخونداه[٦]
الجاذل[٧] اللي عند اهلها طموح[٨]

حبه القرم[٩] يذعر الخيل طرياه[١٠]
يرخص بروحه دون راعي الندوح[١١]

واثن على اللي تدفق السمن يمناه
لشلفخت[١٢] خصو السنين الشحوح[١٣]

---

(١) الشاوري نوع من التبغ الهيشي الممتاز (٢) - عظم غليون - سبيل

(٣) العماش التبغ بلهجة الرولة (٤) يسوح - تقصره الهموم ويذهل

(٥) نقوح منتقى بدقة

(٦) الخونداه - لا الخلنداه - المراة الرائعة الجمال .

(٧) الجاذل المختالة بجمالها .

(٨) الطموح التي هجرت زوجها اعتزازا بمكانتها وبجمالها .

(٩) القرم البطل - جمع قروم (١٠) طرياه - ذكره

(١١) الندوح - والندوع هو الجبان والذي يسرق من الصاحب

(١٢) شلفخت اشتد محلها .. خصو - بعض (١٣) الشحوح التي بخلت بالماء والمرعى

اللي اسنين اعمل الكل ينصاه (١٤)
كريم سيلا باموالــه سمــوح
واثلث على اللي تكره الناس طرياه
يضوي (١٥) ولو حكمت عليــه النيوح (١٦)

وباقي الملا افحول (١٧) نسوان وارعاه
يهود مال مكفكفين السروح (١٨)

روكس العزيزي

● **السيد سكرتير تحرير مجلــة الفنون الشعبية المحترم ٠**

تحية طيبة وبعد

بعد قراءتــي لمجلــة الفنــون الشعبية العدد السابــع وددت ان الفت نظر شخصكم الكريم الى مــا يلي :

١ ـ ورد في المقال بعنوان « الشاعر الشعبي مصطفى المجلي العبد العزيز العتوم ، القصيدة التي يقول فيها

يا عمي لوما التتن لومــاه
لو ما شراب التتن وين اروحي
٠٠٠٠٠ الخ

وفي اعتقادي ان هذه القصيــدة هي للشاعر الأمير ذعار بن مشاري بن ربيعان من شيوخ عتيبة وقد عاش في الفترة ١٨٦٠ ـ ١٩٤٥ واورد اليك القصيدة كاملة للمقارنة

يا معــذربين التتن لولاه لولاه
لولا شرابه ياعرب وين اروحــي
والله لولا العظم (١) يوم اني املاه
واكويه بالجمرة ويكوي جروحــي
مع دلة صفرا على النار مركــاه
اقصر بصبتها على كيف روحــي
فنجادلها كنه خضاب الخونداه
الجاذل اللي عند اهلهــا طموحــي
عده لمن يثني خلــف المخــلاه
فكاك بالضيقات يوم اللدوحــي
وعده على اللي تدفق السمن يمناه
عيــد لربعه بالزمــن اللحوحي
وعده لغمــر ماتوني مطايــاه
يضوي ولو صكت عليه النبوحي
وباقي الرجال فحول نسوان ورعاه
ضباط مال وحافظــين السروحي

---

(١٤) ينصاه ، يقصده طالبا رفده في هذاالمقام وينصاه يستجير به مشهدا من عند اهله ٠

(١٥) يضوي يهجم على الأعداء ، ويقتحــم البيوت ليلا ،

(١٦) لا يرهب نباح الكلب ولو اشتد واخذهمن كل ناحية ٠

(١٧) فحول نسـوان ـ لايصلحــون الاللعلاقات الجنسية ٠

(١٨) يهود مال ـ يشبهون اليهود في البخــل وجمع المال ٠ لا مزية لهم الا تكثير الاموال والمواشي !

٢ ـ نلاحظ بان ترابط البيت عندما يقرن شراب التتن مع القهوة في بيت الشاعر ذعار بن مشاري بقوله

مع دلة صفرا على النار مركاه ....
أترى من ترابط قول الشاعر العتوم
من دلة صفرا ع النار مركاه ....
حيث يكون حمس القهوة قبل الصب من الدلة

٣ ـ جاءت كلمة الخلنداه والهلوف
يا صبها الصباب خضاب الخلنداه
خضاب الهلوف اللي عند اهلها طموحي

والأصح هي الخونداه ... الفتاة الجميلة

والهنوف بدلا من الهلوف وهي ايضا الفتاة الجميلة

٤ ـ نلاحظ بان كلمة النقوح في البيت .

كزه على اللي يذعر الخيل طرياه
ايظي وان هبت عليها النقوح

لم تأت بمعنى الرجل الخامل الكسول كما ذكر . بل هي بمعنى الرياح الغربية كما ان كلمة كزه ليست في المعنى حيث تعني ادفع او ازح

هذا ما أرجو ان ابينه اليكم .
واقبلوا الأحترام .

جميل الخريشة

● حول الرقي والتعاويذ

قرأت مقال الرقى والتعاويذ في العدد السادس من مجلة الفنون الشعبية وخطر ببالي أن اتحدث في هذا الموضوع متطرقا الى بعض الاشياء التي لم يوردها كاتبه السيد ابراهيم السنجلاوي في بحثه وبهذا اكون قد ساهمت في الاشارة الى جوانب اخرى من هذا الموضوع .

الرقى كلمات لها نظم معين ومسجوعة غالبا وليست بدون معنى كما ذكر السيد السنجلاوي حيث قال انها غير مفهومة حتى من قبل الذين يقرأونها فلو حاولنا أن نستعرض احد نصوص الرقى او التعاويذ لوجدنا انها مليئة بالمعاني الهادفة . وعلى سبيل المثال التعويذه التي ذكرها السيد السنجلاوي «بسم الله الرحمن الرحيم .. عين الحسود فيها عود ، عين الولد بها وتد ، عين الجار بها نار ، عين الضيف بها سيف .. الخ نرى من ذلك ان هذه التعويذة دعاء باهلاك الشخص الحاسد سواء كان هذا ولدا ام جارا او ضيفا او امرأة أم بنتا الى غير ذلك .

والرقى قديمة قدم معتقدات الشعب ، فمنذ أن آمن الانسان بالحسد واصابة العين وجدت هذه الرقى والتعاويذ التي تقرأ على المريض او المسحور فتساعد في شفائه وتخفيف ألمه . وهناك رقى

وتعاويذ مختلفة تستخدم في حالات الحسد والمرض وغير ذلك فمثلا اذا مرض طفل او ارتفعت درجة حرارته فان والدته تأخذه الى جدته او ستـه كما يسميها البعض او الى عجـوز شيخة لكي ترقي لها ابنهـا ٠٠ ويسمي البعض هذا العمل « تخريج » أو يقولون جبته يا حجة او يا شيخة علشان اتديري عليه او علشان ترقية الى اخر هذه التسميات ـ وبالطبع فان بعض الرجال يعملون بالتخريج او الرقي ـ وتضع المخرجة يدهـا اليمين على رأس الولد وتتمتـم بكلمات قد لا تكون مفهومة في بعض الاحيان ، ونحن لا نفهمها لاننا لا نسمعها حيث أن المخرجة تقرأ هذه الكلمات تمتمة وبصوت سريع ٠٠ ومما يقال في هذه الرقى والتعاويذ سورة الناس والاخلاص والفلـق ويسمونها المعوذات ، وكذلك تقال هذه التعاويذ : « رقيتك واسترقيتك من عين امك وعين ابوك ومن عين أختك ومن عين اخوك ومن عين القوم اللي شافوك من عين اللي شافك وما صلى على النبي » ومن ملاحظتنا لهـذه التعويذة نرى ان هناك اعتقادا بأن الاهل قد يحسدون اولادهم وكذلك فان اعجاب الاهل الشديد باولادهـم وكثرة تقبيلهم اياهم قد يسبب لهـم الحسد ونرى من هذه التعويذة أن كلمات التعاويذ قوية ومرتبـة ومسجوعة وهذا يدل أن صاحب التعاويذ اديب متكلم ماهر حيـث لا يتأتى ترتيب هذه الكلمات وسجعها الا للماهرين في فن القول ٠ وكذلك فان ملاحظة هذه التعويذه تفيد بأن هناك اعتقادا أن من يصلي على النبي لايحسد ومن التعاويذ المستخدمة : « حوطتك بالله من عيني ومن عين خلق الله ، وعين الحسود فيها عود ، والعين اللي ماتذكر نبيها يبلاهـا بالقلعة اللي تقلعها» وايضا «حوطتك بالله وبالاربعـة المدركين ، ومحمـد اجمعين » وايضا « حوطتك بالعشرة النايمين تحت الشجرة ، لا يوكلوا ولا يشربوا ، عين الجار فيها نار ، عين البنت فيها حنت ،عين الضيف فيها سيف ٠٠٠ الخ »

ومن الملاحظ ان المخرجة تحرك يدها على رأس المخرج عليه حركات خفيفة وعامة لاجزاء الرأس وعندمـا تنتهي من تعاويذها تنفخ على رأس المخرج عليه وتدعو له بالشفـاء والبعض يستخدم في الرقى قماشة زرقاء او سوداء حيث يحرق طرفها ومن ثم يطلب من المحسود أو المريض استنشاق دخانها ، ومن الملاحظ أن هناك اعتقادا بأنه اذا تثاب المخرج وهو يخرج على المريض فان هـذا دليل على انه محسـود وكذلك اذا عطس المخرج عليه عند استنشاقه الدخان فان ذلك ايذان بالفرج ٠

والبعض يستخدم في الرقي البخور حيث يشعل نارا ويضع عليها بخورا ومن ثم يقرأ بعض الادعية والتعاويذ ويطلب من المحسود أو المريض التهبي على النار لكي يبرأ من علته . ومنهم من يستخدم رصاصة في الرقى حيث يأتون بقطعة رصاص ثم يضعونها على النار حتى تنصهر ويكونون قد احضروا وعاء به ماء ومن ثم يوضع فوق رأس المريض وتدار قطعة الرصاص على الماء فاذا فرقعت وتفجرت يكون المريض محسودا ويعتقدون بأن أنفجار الرصاصة هذه دليل على ذهاب الحسد ، ويشبه هؤلاء تفجر الرصاصة بتفجر عين الحاسد .

وهناك من يستخدم الهف على المريض ويستعمل في ذلك قطعة قماش مثل شاشة او منديل او ثوب ويكون المريض في حالة سيئة حيث يكون متعبا جدا وربما كان هناك بعض اعضائه لايستطيع حركته او غير ذلك . ويهف عليه عدة مرات او لمدة اسبوع او ثلاثة ايام . ومنهم من يستخدم الموس او السكين في التنقيط على مكان الوجع وخلال ذلك يقرأ بعض التعاويذ او الآيات القرآنية او بعض الادعية .

والبعض يقرأ التعاويذ على مشروب ويسقيه للشخص المريض او يكتب على ورقة ويضعها في الشراب ومن ثم يشرب عنها .

وهناك معتقدات سائدة أنه اذا زار أحد الناس بيتا او مكانا ما وشاهد اصحابه او احد الناس وخشي أهل الدار حسده لهم فان قولهم له صلي على النبي خلال حديثه يمنع الاصابة بالحسد . والبعض يلقي خلف الحسود حفنة من التراب لكي تطرد الشر . وهناك اعمال تستخدم في امور شريرة كان يحاول البعض زيادة الشجار بين طرفين فان البعض يقلب الحذاء والبعض يطبل على باب ابريق ومنهم من يضع حجرا فوق آخر معتقدين أن هذه الاعمال تساهم في اشتداد الازمة .

ولقد حدثني والدي عن استخدام الحذاء في معالجة الملوح (اللي فمه على ناحية) وهناك رقى وتعاويذ مختلفة لدى كل قوم او منطقة .

ويستخدم الناس بعض الاشياء لمنع الحسد من اهمها الخرزة الزرقاء حيث توضع على كتف الاطفال وكذلك أية الكرسي حيث تعلق على الاطفال وفي البيوت والسيارات والبعض يستخدم الاحذية الصغيرة (احذية الاطفال) لمنع الحسد حيث

تعلق في البيوت والسيارات ولقد استخدم الفلاحون رأس البصل المغروس فيه ريش طيور لمنع الحسد حيث كانوا يعلقونه على البيت المبني حديثا ٠

وعندما يتعجب الانسان من شيء او من شخص فان الناس يقولون له « ايش سقط منك » لكي يذكروه انه ربما يحسدهم وهذه اهانة له ٠ هذه خواطر عن الرقي والتعاويذ وربما يكون عند آخرين اشياء غير ذلك منها العجيب الغريب ٠

احمد الكرنز

● **قرأت القصيدة المثبتة في الصفحة الـ (١١٠) من مجلة الفنون الشعبية (العدد الخامس) فرأيت القصيدة منسوبة الى الشاعر الشعبي المشهور ، المرحوم (نمر العدوان) في رثاء (وضحا) ٠ وانا اعتقد أن هذه القصيدة لشاعر شراري – لا لنمر – ٠**

والشاعر الشراري كان قد ارسل الى (نمر) بقصيدة يقول فيها معزيا لـ (نمر) باسلوب فيه عتاب ، موازنا مصيبته بمصيبة نمر :

هذا جضيضك من ثلاثين ليلة
الله يعين اللي قضى العمر مغبون

أي هذا ضجيجك – أي شكواك – من فراق زوجتك الذي لم يمض عليه سوى ثلاثين ليلة فكيف تكون مصيبتي انا الذي قضيت حياتي حزينا بسبب وفاة زوجتي ٠

واردف هذا الشرارى المسمى (ابن دعيجان) قصيدته التي اثبتنا مطلعها بالقصيدة المنشورة في مجلة الفنون الشعبية ٠

والقصيدة المثبتة في مجلة الفنون الشعبية لا يمكن ان تكون لنمر للأسباب التالية :

١ – لان وضحا لم تقض مع نمر سوى عشر سنوات بدليل قوله :

قضيت انا واياه عشرة جليلة
وقم عشر سنين واظنهن دون

٢ – لانها عند موتها لم تبق اطفالا صغارا كما يذكر الشاعر ٠

٣ – لان اسلوب القصيدة نفسه لاينطبق على اسلوب نمر ٠

٤ – لان اشهر الرواة الذين اعتمدنا عليهم انكروا ان تكون هذه القصيدة لنمر ٠

والذي اريد ان اقوله : – ان المرحوم (نمر) العدوان ، صار كل راوية ينسب اليه قصيدة ليرتزق بها ، وكثيرا ما تحلو قصائد لم يفكر فيها ٠

روكس العزيزي

الدراسات الفلكلورية في الكويت

محمد عوني الخصاونه

الكويت بلد له عاداته وتقاليده ومأثوراته الشعبية التي كانت شائعة في حقب مختلفة ، وحينما يتعرض دارس المأثورات الشعبية لمواد المأثورات الشعبية ، يتعرض لها من خلال التعرف على انماط السلوك والمشاكل الاجتماعية ، ليدرس عمليات الخلق والابداع الفني التي تضفي على حياة الانسان قيما فنية وجمالية .

وقد حرصت الكويت على انشاء مركز لرعاية الفنون الشعبية في سبتمبر عام ١٩٥٦ م ، بهدف رعاية الفنون الشعبية والحفاظ عليها والاهتمام بالفنانين الشعبيين وخاصة الذين قاموا بدور أساسي في الحفاظ على فنون البحر ، وقد بدأ المركز بجمع نماذج مختلفة من الفنون الشعبية الكويتية ، وتمكن من تسجيل جل الأغاني التي ترتبط بحياة البحر في الاستعداد للسفر في رحلات التجارة بين الكويت والهند وفي رحلات الغوص بحثا عن محار اللؤلؤ . وذلك بجانب ما يقوم به الافراد من جهود للمحافظة على التراث الشعبي ، مع العمل على تطوير هذه الاغاني والحانها ، واعداد افلام سينمائية عن حياة البحر وعادات وتقاليد الزواج .

ولعب البحر دورا متميزا في تشكيل طابع الحياة الاجتماعية التي عاشها ابناء الكويت ، وكونت فنون البحر سمات خاصة تميز بها الفن الشعبي ، فحياة البحر حياة أخذ وعطاء ، حياة لقاء ووداع ، وكلما انتقلت سفينة من مكان الى آخر تناقلت معها الأخبار وتداخلت معها الثقافات نتيجة تبادل البضائع وشراء المنتجات ، ولما كان البحر في الكويت مصدرا من مصادر الرزق فقد صاحب ذلك الغوص الى أعماقه بحثا عن محار اللؤلؤ ، حيث أنه كان في يوم من الايام يشكل مصدرا من مصادر الثروة .

وحياة الغوص التي تبدأ في أوائل الصيف وتستمر أربعة شهور وعشرة أيام تزخر بجوانب من الفنون والابداع الشعبي ، ولما تتطلبه حياة الغوص من تعاون في العمل تجد في فنون الغوص دور

الفرد واضحا ، حيث أنها تتسم بالجماعية . فالنهام «المغني» يقدم فنونه مع اشتراك الجماعة ويتبادل الغناء مع غيره من رفاق السفر والعمل .

فاذا ما أقبل موسم الغوص ، توجه جميع المشتركين في العمل الى ساحل البحر واجتمعوا حول السفينة التي سينطلقون بها في رحلات الغوص لاستخراج محار اللؤلؤ ، ويبدؤون في سحب السفينة الى الماء عن طريق جذبها بالحبال من الشاطيء .

ومن الأغاني التي تؤدي في مناسبة سحب السفينة الى الماء والتي ينشدها (النهام) أحد أفراد جماعة الرفاق في السفر .

البارحة يا أعمامي
عن ما جرى في منامي
عطشان والقلب ظامي
من شافني قال لحول[1]
لحول ياوليد حردان
محار بالقوع [2] بردان
يبغى سواعد تشيله

وبعد انتهائهم من عملية سحب السفينة الى الماء ، يقوم البحارة بجمع مايلزم من زاد وادوات كالتمر والسكر والشاي والبن والحطب والحبال وجميع ما يحتاجون اليه في أثناء السفر للغوص .

ويبدأ البحارة في جر المجاذيف مسافة قصيرة الى أن تاخذالسفينة مستقرها على صفحة الماء لتسير بعد ذلك بقوة ضغط الريح على الشراع ، وفي أثناء ذلك تتردد الأغاني وتتناغم الكلمات ، وتتنوع الألحان ، مع اضفاء حركة وحس جديد يبدد مشقة العمل ، وتظل الأغاني تردد والحكايات « السوالف » تروى الى أن تصل السفينة المكان الذي يبدؤون فيه الغوص ، وينزلون بعد ذلك الشراع بأمر من « النوخذا » قبطان السفينة ، وأثناء ذلك تنطلق الأغاني بالأبيات الحلوة :

منزلنا وأبرك دار
على الهيد [3] والمحار
يا الله منزل مبارك
وأبر خير المنزلي

وينزل بعد ذلك الغواصون الى قاع البحر ممسكين بحبل ومغلقة انوفهم « بفطام » ويرتدون « الشماشيل » وهو لباس أسود اللون ، ومع كل غواص كيس يسمى « ديين » وكان يستخدم مع السروال « دراعة » لتحمي جسد الغواص من حيوان مائي في عمق البحر يترك أثرا على الجسم مثل ضرب السياط بمجرد ملامسته له يسمى « الدول » وهناك « سيب » يربط به الغواص الحبل ليساعدة على الخروج .

وللغوص ثلاث طرق استعملها الغواصون لتوصلهم الى محار اللؤلؤ وهي ١ ـ الحجاري ٢ ـ الأيدة ٣ ـ الرواسي .

(١) لحول : أي قال لاحول ولا قوة الا بالله .
(٢) بالقوع : بالقاع
(٣)الهيد : مكان الغوص

وبعد الانتهاء من عملية الغوص يطلق من احدى السفن قذيفة مدفع لتتجمع باقـي السفن للعـودة ، وتسير السفن في قافلة واحدة لتعود الى البلاد ، ويسمى رجوعهم «قفالا» واما الانتقال من مكان الى مكـان الغوص فيسمى « مسـاناة » ومن اشهر غنائهم أثناء الرجوع ما يسمى « الهولو » .

ومن ذلك :

غاب القمر وأظلم الليـل
ظـل المـولع يـدور
يا سعد من لـه خليلـة
يسير لها تالي الليالـي
ويقول يا ليـل طـول
طـول بدستـور عيسى

ومن هذه الأغاني كذلك أغنيـة «هولو» التي وضع كلماتها الأستاذ أحمد العدواني ولحنها الأستـاذ أحمد باقر وغناها شادي الخليج .

هولو بين المنـازل
أي والله اسمر سبانـي
هولو حـلو الشمايل
أي والله زين المعانـي
اسمر ومضمر ما في مثاله
شفته يتخطر مثل الغزالة
الخ

فحياة البحر مليئة بالأهـوال والمخاطر ، وكما يتغنى « النهام » بأغانيه يحكي الغواص « السوالف » والاحداث التي مر بها وسمعهـا ، ويتبادل البحارة حكايات تناقلوها عن الأجداد يمتزج فيها الخيـال بالحقيقة والوهم بالواقع ، وبعضها يهدف الى حكمة وبعضها الاخر يحمل قيما أخلاقية ، وبعضها يؤكد الايمان الديني والمعتقد .

وتقوم الحكايات الشعبيـة بدور كبير في تاكيد الروابط الاجتماعية بما تحمل من قصص عن القيـم الاجتماعية والروابط الأسرية ومـا تحققه من مشاركة فكرية ووجدانية بين الراوي والسامع .

فالسامعون لراوي الحكايـات ينصتون اليه في شغف وصمـت ، ويتطلعون الى مايقـدمه من سرد ووصـف لموضوعـات الحكـايات واحداثها .

ومن ذلك فان دارس الحكايات الشعبية يكتشف جوانب تاريخيـة يضيفها الى التاريخ المدون للشعـب بمزيد من الفن والادراك من خـلال ما يرويه الراوي ويحكيه الفنـان الشعبي .

وتعتبر الحكـايات الشعبيـة المصدر الأساسي لكـل المرويات وتتعلق الحكايات الشعبية الكويتية بحياة البحر والغوص وبأهـوال الصحراء وتروى الحكاية بعـد أن يبدأ الراوي بقوله «صلو على النبي» بأنه كان يوجد أخ وأخت يعيشان معا ... الأخ عقيد قومه ... وأخته جميلة .... الى آخر الحكاية .

وقد قـام مركز رعاية الفنون الشعبية الكويتي بالاعتناء بالحكايات الشعبية والالغاز وتمكن من تسجيل أغاني البحر وفنونه وتتبع هـذه الظواهر تتبعا ميدانيا .

والمركز يتتبع في ذلك الأساليب العلمية الحديثة من حيث وضع الاستبيانات التي يسترشد بها الباحث الميداني مع الحرص على أن تكون المادة الفولكلورية في أطارها الانتوجرافي ، كما صاحب ذلك العمل على تدريب جيل جديد من الباحثين والفنانين والأدباء على أعمال جمع وتسجيل وتحليل دراسة الفنون الشعبية وتطويرها ، واخراجها في الاطار الذي يتفق وروح العصر ·

ولا بد لنا من ذكر أهم الفلكلوريين الكويتيين في هذه الدراسة ·

الاستاذ أحمد البشر وهو من الرعيل الاول وأحد الرواد القلائل الذين أهتموا بالحفاظ على الفنون الشعبية بجمعها وتدوينها وتسجيلها، ومجموعة الامثال الشعبية التي جمعها خلال ثلاثين عاما تعتبر الركيزة الاساسية التي يقوم المركز بعمل بحثه المقارن عن الامثال ، والتي تبلغ الفي مثل مدونة ·

والاستاذ أيوب حسين الذي قام بمجهود فردي في جمع الالقاب الشعبية ·

والاستاذ سيف الشملان يقوم بجهد خاص في جمع نماذج من الفنون الشعبية من خلال بحوثه واهتماماته التاريخية ·

ويقوم الاستاذ حسن السعيدان باصدار موسوعة كويتية تضم نماذج عن المسميات والمصطلحات الشعبية ·

أما في جمال الفنون التشكيلية يضم متحف الكويت الوطني مجموعة من الازياء والحلي والبوابات الخشبية القديمة والأدوات المنزلية ·

كما حافظ المتحف على منزلين قديمين من بيوت الكويت كنموذج لفن الحارة الشعبية التي كانت شائعة خلال القرن الماضي ويقوم مركز الفنون الشعبية الذي قدم أحد أجزاء هذه البيوت ـ وهو بيت البدر والذي يرجع تاريخه الى مائة وعشرين سنة مضت ـ بعمل تسجيل للوحات الزخرفية الشائعة والبوابات قديما تسجيلا دقيقا بمساحاتها واحجامها الطبيعية · ويقوم بذلك الفنان يوسف قاسم ·

وقد قام المركز أيضا بجمع نماذج من الالات الشعبية الموسيقية بجانب الادوات التي كانت تستخدم على السفينة وبخاصة أدوات الصيد ·

ويختص السيد على صالح بفنون البحر وأغانيه ويقوم بالاشراف على أرشيف مركز الفنون الشعبية ·

كما أصدر كل من الاستاذ عبد الله النوري كتابا عن الامثال الشعبية والاستاذ خالد سعود الزيد كتابا عن الامثال الكويتية ·

رسائل

رسالة بغداد : من عبد الجبار محمود السامرائي

المتحف الفولكلوري البغدادي

للمتحف البغدادي حكاية .. اختمرت باديء ذي بدء فكرة في مديرية العلاقات التابعة لأمانة العاصمة .. وقد عكست هذه الفكرة أصدق رغبة في تسجيل الحياة البغدادية ومظاهرها الشعبية وفي الحفاظ على موروث الأباء والأجداد .. بعد أن طرح الفولكلور العراقي على الدولة حاجته الى متحف تزدهر قاعاته بالتراث البغدادي .. حفظا عليه من الانطفاء والضياع .

وفعلا رسخ الاختيار على بناية المتحف العراقي القديم في شارع المأمون قرب جسر الشهداء بجانب الرصافة .

وللحقيقة والتاريخ نذكر أن انبثاق فكرة هذا المتحف كان أول من طرحها الفنان (فخري الزبيدي) وكان تنفيذها على عاتقه أيضا . وها هو يقول : (لاحظت ان اكثر الأعمال الفنية التي كانت تعرض على الجماهير ، ينقصها شيء مهم هو ابراز معالم الطابع الشعبي ، ومميزات الفرد العراقي بأخلاقه وطموحه وأمنياته . ولهذا ركز الفنانون الأوائل اهتمامهم الكبير على هذه النقطة الحيوية ، وكان هدفي أن اساهم في هذا المضمار ، فنحوت منحى التمثيل الشعبي في كافة أدواري التمثيلية ، كما أخذت على عاتقي مهمة شاقة هي جمع أقوى وأدسم النكات البغدادية العريقة . ثم تحول هذا الموضوع بعد ذلك من خلال هذا المنطلق ، الى قضايا شعبية أوسع ، فدخلت بغداد من أصعب أبوابها ، واطلعت على تاريخها الفولكلوري والحضاري وأفرزته على

شكل صور كنت أتمنى يوميا أن احققها .. فكان كل شيء يقال عن بغداد ، التفت اليه واحفظه بل وأعيشه ثم أتخيله .

وازدادت حماستي لبغداد ، وتضاعف حبي لها واهتمامي بها بعد دخولي أمانة العاصمة موظفا في أحد شعبها .. ومن هنا تولدت لدي فكرة انشاء متحف ، يضم بين جنباته تراثنا الشعبي ، وتقاليدنا العريقة ، وحرفنا البسيطة ، التي أخذت تنقرض بالتدريج ، اضافة الى التقدم الحضاري الذي أخذ يسحق وبدون رحمة مثل هذه المشاهد والصور . وانطلاقا من هذا الاحساس تقدمت باقتراح الى أمانة العاصمة عام ١٩٦٣ لأيجاد متحف بغدادي يحفظ هذا التراث المهدد بالانقراض ، ثم كانت الموافقة ووقع الاختيار بعد ذلك على بناية المتحف العراقي القديم هذه ....

ثم اتصلت ببعض الفنانين واتفقت معهم حول صنع التماثيل الخاصة .. والتي كنت قد رسمت لشخصياتها قبل العمل بالمرحلة الأولى ، ومن هذه الشخصيات ، مما يضمها المتحف الآن ، شخصية بائع الفرارات ، والسقه والمطهرجي (الختان) والبلام ، والمبيض وبياع الجقجقدر ، والكهوة البغدادية ، والحفافة والدلال ، وزفة العروس ، والجالغي البغدادي ، وصياد السمك وبياع المعلاك ، والملا والتلاميذ من حوله والخبازه ، وجراخ الخشب والحداد ، والتتنجي (بائع التبغ) الخ .....

كما تم الاتفاق مع أحد الفنيين لعمل الأصوات اللازمة لهذه الشخصيات رغبة منا في تجسيد حركة كل تمثال ومنحه الحياة الطبيعية . ان عمل الأصوات للتماثيل جاء فريدا من نوعه حقا ، فان كافة المتاحف في العالم لم تتبع هذه الطريقة .

وقد حاولنا قدر الامكان ابراز الأزياء البغدادية القديمة بكافة اشكالها وألوانها وموديلاتها المتعددة وبهذا نكون قد حافظنا على الأزياء أيضا .

ولم نكتف بهذا حسب ، بل قمنا بانشاء ـ جومتين ـ لحياكة البسط والعبي ، وغيرها من المنسوجات الشعبية الأخرى ، وعينا عاملين فنيين القينا على عاتقيهما

مهمة الحياكة . لتنوير أبناء الجيل الجديد والزوار الاجانب بالجوانب المضيئة من الصناعات الشعبية العراقية ذات الصلة الحياتية بالاجداد الأولين ..)

والذي يدخل المتحف البغدادي بمرحلته الثانية التي أنجز القسم الاكبر منها سيشاهد بابا قديمة ويلتقي بقاطع التذاكر وهو يرتدي لباسا بغداديا قديما هو : الصاية والدميري والياشماغ وسوف يستلم المبالغ الخاصة بالدخول ليضعها داخل الكيس الذي سيمسكه بيده ، وستواجه الزائر عند دخوله البناية : الشناشيل البغدادية (وهي النتوءات البارزة عن المباني) وسيكون المدخل الى بناية المتحف من الجانب الأيسر حيث (الديوه خانة البغدادية) المزينة بالصور الأثرية لبغداد ، والثريات والفوانيس واللمبات النفطية كما سيشاهد « الفجايج » مفروشة على التخوت والقنفات القديمة ، فيجلس عليها ، حيث يقدم له « شاي أبو الهيل » أو القهوة ، فيما يستمع الى قصة بغداد العظيمة عبر تمثال جالس وهو يروي كيف بنيت بغداد وكيف نشأت ، ومامر عليها من حوادث مهمة وحروب اضافة الى بعض الدعابات والملح الشعبية الخفيفة .

وبعد أن ينتهي الزائر من تناول شايه والاستماع الى قصة بغداد ، يبدأ جولته ، وسيكون أول مايقع عليه نظره هو « بيت الحبوب البغدادية » حيث يرى « الحب » والبواكة والكروزة والجيرية والدولكة وغيرها .. ثم ينتقل الى غرفة أخرى هي غرفة الزورخانة ليعيش هناك لحظات بين اصوات لاعبي الشناو والميل و الجروخ واليك دوسي .

وينتقل المشاهد الى غرفة أخرى ليلتقي بـ « المليات » اللائي كن يحيين الموالد البغدادية ، وهن يقرأن الموشحات الخاصة بهذه المناسبات ..ويدخل بعد هذا الى غرفة أخرى ليرى « ليلة الزكريا » حيث الصواني المليئة بالشموع ، والجكليت وحب الركي والاسكلة والباسورك والابريق « ابو البلبولة » والتنك وقد التفت النساء وبمعيتهن أطفالهن حول هاتيك الصواني ، وهن بملابسهن الشعبية .... فرحات مرحات ، يصفقن ويغنين : « يا زكريا ..عودي عليه .. كل »

سنة وكل عام • أنصب صينية » ..
وبعد ان يواجه الزائر سلما فيصعده الى الطابق العلوي ، سيشاهد امرأة بغدادية ضعيفة البنية ، قليلة الطاقة ، قد أخذت تغسل الملابس في طشت وجلس بالقرب منها زوجها السمين (ابو كرش) وهو يتناول السميط اي (التشريب) والى جانبه ولده الصغير « يهفي له بالمهفة » اي المروحة اليدوية ، وما أن يلتفت الزائر الى اليمين ، حتى يشاهد « الملا » المعلم القديم ، وقد وضع على رأسه العمامة وربط ظهره بقطعة من القماش الأخضر وأمسك بيده خيزرانة طويلة وراح ينهال بها ضربا على رأس أحد المصروعين وقد ربطه الى « دلك » او « دنكة » ويتفوه بعبارات غير مفهومة ومضحكة ... وعند دخول الزائر غرفة أخرى سيرى صورة شعبية صميمة ، انها (ليلة الدخلة) أي (ليلة الزواج) فالعروس جالسة بملابسها البيضاء الناصعة ، وقد التفت حولها بعض قريباتها وصويحباتها وهن يهلهلن ويغنين ويصفقن بينما راحت « الكاولية » اي ـ فرقة الغجر ـ تؤدي رقصتها في وسطهن .

ويضم المتحف بين موجوداته ايضا الهياكل التالية : البلم والبلام (القارب) ، التتنجي (بائع التبغ) أم الباقلاء ، جراخ الخشب ، الجلج (من وسائط النقل النهرية القديمة) ، الحائك جراخ السكاكين ، الملا والصبيان ، مبيض القدور ، أبو الفرارات ، أم المهافيف زفة العريس ، مجلد الكتب ، الغزالة الصفار ، المجاري ، النداف ، الحفاف، السقاء ، الجالفي البغدادي ـ الكورس الغنائي القديم ـ الفخار ، الزورخانة ـ لعبة رياضية قديمة ـ القهوة البغدادية ، المدلكجي (دلاك الحمام) ، ابو الجقجقدر ، أبو الربابة ، صوم زكريا، الخبازة ، خياط الفرفوري ، الختان ، السراج ـ الحلاق ، الشيخ حسون (السحار) ليلة الدخلة ، الحمال ، صبباغ الاحذية : جماع الكطوف ، ابو المعلاك ، الحداد ، صياد السمك بالكفة (الكفة واسطة نقل نهرية منقرضة) ، المولد النبوي ، الديوه خانه ، مراقب البلدية : الزبال الكناس ، وكل هذه من حصيلة المتحف بمرحلته الثالثة .

وكل هذه الموجودات بهياكلها المنحوتة وبالاصوات التي تنبعث من

اعماقها بصورة متتالية ودورية تجسد الملامح الحقيقية لبغداد قبل قرن من الزمان ويزيد . حيث يقف الماضي امامك ملونا .. مجسما .. حيا ، ناطقا .

اما الفنان الذي خلد بفنه الرائع حياة بغداد القديمة فهو (عبد الحسين محروسي) .. وله رأي في المتحف البغدادي حيث يقول :

(استخدمت المواد التي تقاوم عوامل الجو ، لأن طريقة العرض تستوجب ذلك ، والاشكال التي عرضت تصور تصويرا ناقصا الحرف ومظاهر الحياة البغدادية ...)

والاستاذ محروسي يطمح الى استخدام الاشخاص بلحمهم ودمهم بدل الشخوص !

ان المتحف البغدادي قدم معروضاته بفولكلورية رائعة في التعبير عن مشاغل الماضي وحيويته فقد صور تلك البساطة التي هي طابع حياة القوم الظاهرة والتعامل بالحرف البدائية ، ثم مجالس السمر وحفلات الاعياد والمناسبات المفرحة .. وصور أيضا كيف كان البغدادي يقضي يومه منهمكا بعمله المترف بالأتعاب ، مما يحيرنا السؤال المهم : كيف كانت هذه الحياة ؟ هل هي حياة قلقة مثقلة بالآلام ؟ أم كانت سعيدة تضفي عليهم الاستقرار والانسجام والقناعة ؟

لاشك ان المتحف يصور هذا الجانب بشكل هادىء ومبسط .

والمتحف أيضا قام باعادة وحفظ التراث الشعبي البغدادي ذلك أن التقدم الصناعي الذي يمر الآن عليها بسرعة سوف يطغي على امكان اعادة النظر بحياة الأجداد في هذه المدينة الخالدة .. فهيأ لها ولنا الجو المناسب لمعايشة دقائق معدودة في زمن الماضي ...

وليس بعيدا أن يكون المتحف مشجعا لتقديم دراسة اكاديمية علمية عن الحياة البغدادية بما يقارن الدراسات التاريخية العالية فينبغي دراسة اكثر كتب التاريخ الباحثة عن بغداد وتصوير الملامح العامة لعصورها الزاهية ومراجعة الوثائق العامة والاطلاع الوافي بحياة الناس المادية والروحيةوالعلمية وتقديم نتائج هذه الدراسة .

Weaving in Al-Kerak

By : Jihad Khasawneh

Folk weaving is rather famous in Al-Kerak; some of the hand woven carpets are internationally known.

The author emphasizes in this survey the folk traditions in weaving those materials for everyday use.

Popular Medicine in Al-Kerak

By : Nasr Al-Majali

Thirty nine different herbs are used by folks in Al-Kerak region to heal various ailments and diseases to which thirty eight names are attached. The author also analyzes popular methods used to deal with non-physical diseases.

Women In Al-Kerak Popular Tradition

By : Nimr Serhan

Negative and positive attitudes towards women are analyzed by the author who concludes that popular tradition places women in second place to men.

The woman's role in the working community and in the house is studied, and also how folk poetry realized these different roles.

Glimpses of Folk Dresses in Al-Kerak

By : Mohammad Tahat

Dresses for both sexes - their tailoring, decorations, use and value - are the theme of this survey.

Sanctuaries in Al-Kerak Region

By : Mohammad Haza' Al-Dowairy

Al-Kerak region is rich with religious sanctuaries of Moslem heroes that date back to the first century of Higra. The author describes in detail the traditions that go with the building, maintenance and visiting of these sanctuaries.

ENGLISH SUMMARY

By : Faruk Jarrar

This special issue of Al-Fonoon Al-Sha'beyya about Al-Kerak region is the first of a series which we hope will cover the various regions of Jordan. The ultimate aim of each special issue is to supply interested readers with first hand information and surveys that would be of great help to researchers in the field of folklore.

Raising Horses in Al-Kerak Region

By : Najib Qusoos

Horses in Al-Kerak are highly attended to by owners who are proud of their stock.

The physical traits of each horse - big eyes, big nose, long legs and tail - are all taken into account when horses are estimated. The author also details the different ways followed in raising horses and methods and traditions followed in horse sales.

Ibrahim So'oub : Famous Poet From Al-Kerak

By : Issa Jarajrah Al-Dumour

The life of this famous folk poet and his family are thoroughly analyzed. Mr. Dumour also studies the different types of Mr. So'oub's poetry that covered most well known subjects of Arab Poetry.

Al-Fonoon Al-Sha'beyya

A Quarterly Journal

for Folklore

Published by

Department of Culture and Arts

Tel. 36391 - P. O. B. 6140

Amman - Jordan

Volume 3, No. 4, November 1975

كتب الفنون الشعبية

الصادرة عن

دائرة الثقافة والفنون

١ ـ أغانينا الشعبية في الضفة الغربية

١٩٦٨ نمر سرحان / نفد

٢ ـ أغانينا الشعبية في الضفة الشرقية

١٩٦٩ هاني العمد / نفد

٣ ـ قاموس العادات والتقاليد والالفاظ الأردنية

١٩٧٤ روكس العزيزي

٤ ـ تراث البدو القضائي

١٩٧٤ محمد ابو حسان

٥ ـ المجتمع البدوي في الأردن

١٩٧٤ احمد الربايعة

ومن كتب الفنون الشعبية

(قطاع خاص)

١ ـ المراة البدوية في الأردن ١٩٧٤ احمد العبادي

٢ ـ إحياء التراث الشعبي ١٩٧٣ نمر سرحان

٣ ـ الحكاية الشعبية الفلسطينية ١٩٧٤ نمر سرحان/نفد



مشاهد من الحياة

الشعبيـة الكركيـة





جمعية عمال المطابع التعاونية ـ عمان

كتب الفنون الشعبية

الصادرة عن

دائرة الثقافة والفنون

١ ـ أغانينا الشعبية في الضفة الغربية

١٩٦٨ نمر سرحان / نفد

٢ ـ أغانينا الشعبية في الضفة الشرقية

١٩٦٩ هاني العمد / نفد

٣ ـ قاموس العادات والتقاليد والالفاظ الأردنية

١٩٧٤ روكس العزيزي

٤ ـ تراث البدو القضائي

١٩٧٤ محمد ابو حسان

٥ ـ المجتمع البدوي في الأردن

١٩٧٤ احمد الربايعة

ومن كتب الفنون الشعبية

(قطاع خاص)

١ ـ المراة البدوية في الأردن ١٩٧٤ احمد العبادي

٢ ـ إحياء التراث الشعبي ١٩٧٣ نمر سرحان

٣ ـ الحكاية الشعبية الفلسطينية ١٩٧٤ نمر سرحان/نفد

عمّان - لندن

مروراً بفرانكفورت

وأيضاً إلى روما ، پاريس ، أثينا ، مدريد



منذ البداية ، اخترنا اسماً يوحي بالكثير ، فكان علينا ان نعمل لنكون جديرين به •
لم نحلم بتحقيق معجزة ، انما عملنا بجد لتحقيق الممكن الافضل ، واستطعنا في سنوات قلائل ان نختصر خطوات كبيرة في عمر الطيران •
ان بداية رحلاتنا بطائرات متواضعة ، وخطوط اقليمية ، لم تعد سوى ذكرى • اما الان فان جميع طائراتنا نفاثة من طراز كرافيل وبوينغ ٧٠٧ المتعددة المزايا • والتي زينت الى جانب تصميمها الممتاز ، لتحيط رحلاتكم بكل مريح وجميل •
واستكمالا للمظهر العصري الذي نحيط به رحلاتنا ابتكرت مؤسسة كارفن بباريس زيا جذابا ذا الوان بهيجة لمضيفاتنا ، مستوحى من شمس بلادنا وقد راعت في تصميمه سهولة الحركة المريحة لخدمة المسافرين على علو ٣٥ الف قدم وعند سرعة ٦٠٠ ميل بالساعة •
حديثا ، فزنا في الولايات المتحدة بالجائزة الاولى بين اربعمئة متنافس لتصميم المظهر الخارجي والداخلي لطائراتنا • ولكن قبل ذلك ، كان هدفنا دائما الفوز بتقدير مسافرينا ورضاهم ، والسهر على سلامتهم وراحتهم فحرصنا منذ الرحلة الاولى على توفير افضل مستويات الصيانة لطائراتنا وجهدنا ان يكون لدينا طيارون ذوو كفاءة عالية وملاحون يشاركونهم هذه الصفات •
امتلاك العالم امر مستحيل ، ولكننا نعتقد ان معرفة العالم جزء من امتلاكه ، ومن اجل ذلك ، امتدت خطوطنا عبر ثلاث قارات ، الى ٢٢ عاصمة ومدينة من اقصى الشرق الى اقصى الغرب ، بين كراتشي و لندن •
لقد اصبحنا في اقل من ثماني سنوات مؤسسة طيران دولية ، نعمل على خطوط تمتد عبر القارات غير ان المسافر ظل محور اهتمامنا ، لا نفرق من حيث توفير الخدمة المضيافة بين خطوطنا البعيدة والقريبة •
فمن اجلكم أولا ، عملنا دائما على تعزيز انتمائنا الى التطورات الدائمة في عالم الطيران • وبما حققناه ، وبما يوحيه اسمنا ، نستطيع ان نقول الان : ان عالية جديرة باسمها •

عالية
جديرة
برسمها

عالية
الخطوط الجوية الملكية الأردنية





عمّان - لندن
الأحد والخميس

للاستعلامات والحجز
اتصلوا بمكاتب
مؤسسة عالية
أو وكيل سفركم المعتمد لدى
« اياتا »